



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

النُّحْرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

دراسة قرآنية موضوعية

إعداد الباحث
إبراهيم محمد ماضي

إشراف فضيلة الدكتور
عبد السلام حمدان اللوح

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين

العام الجامعي
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

الإهداء

✽ إلى هذا المارد الإسلامي المتململ في قيوده، الذي تكالب عليه شذاذ الآفاق، وأراذل الأمم، عله يصحو من سكرته، ويحطم قيوده، ويعود إلى مكانه الطبيعي، في القيادة.

✽ إلى هذا الشعب البطل، الشعب الفلسطيني، الذي مهما اشتدت به رياح المؤامرات، وعواصف الفتن، فسيبقى مسلماً حراً أياً، ومعلماً لشعوب العالم معنى التضحية والفداء.

✽ إلى تلك الروح الطاهرة، التي عاشت تحلم بهذا اليوم، وفاضت إلى بارئها وهي ترتقبه، أمي الحنون.

✽ إلى المربي الفاضل، والشيخ الجليل، والوالد المعلم أبي الدكتور محمد إبراهيم ماضي، الذي شجعني ودعمني طوال هذه الفترة، حتى خرجت هذه الرسالة إلى حيز النور.

✽ إلى تلك الإنسانية التي اختارت معي طريق الحياة الإسلامية، وشحذت من همتي لإكمال هذه الرسالة، زوجتي الفاضلة التي كانت عوناً لي، وسنداً حتى النهاية.

✽ إلى عيني الاثنتين، وقلدة كبدي، ومهجة فؤادي، ومعنى حياتي، واستمراريتي، ابنتي العزيزتين.

✽ إلى إخوتي الأعزاء، سندي وعوني - بعد الله عز وجل - في هذه الحياة.

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع.

شُكْرُ وَعِرْفَانُ

أتقدم في بداية بحثي هذا بأسمى آيات الشكر والعرفان لكل من شاركني، ودعمني، وساندني، حتى خرج هذا الجهد المتواضع إلى حيز النور، سواءً بالكلمة الطيبة، أو الملاحظة الهادفة، أو المساعدة والتوجيه. وأخص بالذكر:

✦ أستاذي الفاضل ومشرفي الكريم، فضيلة الشيخ الدكتور عبدالسلام حمدان اللوح، الذي اختار لي عنوان الرسالة، وبذل لي من وقته وجهده وفكره الكثير، وكسر حاجز الخوف في نفسي، وأعاد لي الأمل في إكمال هذه الرسالة، وذلّل لي الصعاب، ووضعني على أول طريق البحث العلمي الرصين، فجزاه الله عني خير الجزاء.

✦ ولا أنسى شيخي الدكتور عبدالكريم الدهشان الذي ساندني منذ البداية، وأتحفني بملاحظاته الهامة، وما بخل علي من وقته، وجهده، وصبره.

✦ كما وأتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الفاضلين:

فضيلة الشيخ الدكتور زكريا الزميلي حفظه الله

وفضيلة الشيخ الدكتور محمود هاشم عنبر حفظه الله

اللدان منحاني شرف الموافقة على مناقشة هذا البحث، وإثرائه، للوقوف على ما فيه من محاسن وتدارك ما فيه من عيوب ومثالب، بما أنعم الله عليهم من خبرة طويلة، وتجربة خلاقة في ميدان البحث العلمي، حتى تخرج هذه الرسالة في ثوب بحثي علمي قشيب، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

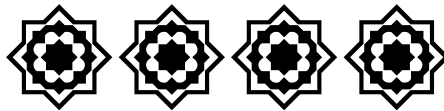
✦ كما وأقف مشدوهاً أمام هذا الصرح العلمي المتين، والجامعة الغراء، رائدة التعليم، ودوحة المستنيرين، وقبله الباحثين، الجامعة الإسلامية، رئاسة، وإداريين، وعمداء، وأكاديميين، وموظفين؛

وأخص بالذكر كليتي الحبيبة كلية أصول الدين عمادة، وإداريين، وأكاديميين، وعمادة الدراسات العليا، والمكتبة المركزية، ومجلس الطلاب، على ما بذلوه، ويبدلونه في خدمة طلاب العلم، وتذليل العقبات التي تواجههم.

✦ كما وأشكر وزارتي وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ممثلة في شخص السيد الوزير، والموظفين الكرام، ودائرتي دائرة التوثيق والمخطوطات والآثار، ممثلة في مديرها، وإخوتي الموظفين، فبارك الله فيهم جميعاً.

✦ ولا أنسى الأستاذ الفاضل والمترجم المحلف محمد طينة، الذي أتخفني بترجمة ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية، وطباعة هذا الملخص، فجزاه الله خير الجزاء.

فبارك الله فيهم جميعاً، وأجزل لهم المثوبة والعطاء



المقدمة

الحمد لله قيوم السموات والأرضين، منذر الخلائق أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا معين، وأشهد أن محمداً عبده ونذيره، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد..

في زمن غاب فيه الحق، واختلطت فيه المفاهيم، وابتعدت فيه خير الأمم عن دينها، وتعاضمت فيه شوكة الباطل، وضيعت فيه عرى الفضيلة، واتسعت فيه الهوة بين الإنسان وربّه، حتى قال شرار الناس كما أخبر الله تعالى: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾^(١).

وفي وقت علا فيه صوت الباطل، واستمرأت فيه الرذيلة، وعزت فيه البشرية الإنذارات الربانية - كالأمراض الغريبة، والأعاصير المدمرة، والزلازل والبراكين المهولة - إلى غضب الطبيعة، ولعنة الأرض ونحوها، من المخلوقات التي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً. وفي وقت أضاعت فيه هذه الأمة بوصلتها، وتاهت في بحار الشبهات والشهوات، وركنت إلى رغد العيش، وبريق المظاهر، وزخرف الدنيا، ونست أو تناست وعد الله، ووعيده، ورضت بحياة الذلة والخنوع، واستسلمت لحياة القطيع؛

رأى الباحث في هذه الرسالة المتواضعة، حلاً ربانياً، لكل تلك العضلات، وعلاجاً لأوضاع أمتة المزري، فانطلق ومن خلال التفسير الموضوعي، ليضع بين يدي الناس آيات

(النذير) المتناثرة في القرآن الكريم عليهم يعودوا لدينهم فلا يـ ﴿تَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾^(٢)

١- سورة المائدة- الآية ١٩

٢- سورة القمر- الآية ٣٦

أهمية الموضوع وبواعث اختياره

لهذا الموضوع حاجة ملحة، ودواع مهمة، ساقط قلبي لخوض غماره، وسبر أغواره، ومن هذه الأسباب:

- ١- اعتناء القرآن الكريم بموضوع (الإنذار) - بما يحتويه من إقامة الحجة على الناس - وتناثر مفردات هذا الموضوع في معظم سور القرآن الكريم بألفاظٍ متنوعة، ومعانٍ عديدة.
- ٢- مواكبة الإنذار لحياة البشر، منذ بدء الخليقة، وحتى نهايتهم وفنائهم.
- ٣- إن الإنذار هو الهدف الأسمى لإرسال الرسل، فلم تخل أمة من نذير، ولم يرسل رسولٌ إلا وأنذر قومه من عذاب الله، وحذرهم من عقابه إن هم عصوه.
- ٤- عصريّة هذا الموضوع وحدثه، فكثيرة هي الدراسات والأبحاث التي تضعها المراكز الغربية المتخصصة، والتي تتوقع وتبحث في أسباب صعود الأمم وعلو مكانتها، وأسباب سقوطها وانهارها، وأفول نجمها، إلا أنها غيّبت الجانب الديني الذي به تعلوا الأمم وتتقدم، وبتركه والتكص عنه تنهار وتزول.
- ٥- ارتباط الإنذار بطبيعة النفس البشرية، التي تركز للبشارات والترغيب، وتستحث وتحفز بالإنذار والترهيب.
- ٦- تنوع واختلاف الأغراض التي سيقّت من أجلها آيات الإنذار في القرآن الكريم.
- ٧- إثراء الدراسات القرآنية الجادة من خلال التفسير الموضوعي لمادة (الإنذار).
- ٨- اتساع دائرة المستهدفين بهذا الموضوع، وتنوع طبقاتهم، وتباين مداركهم وأفكارهم.

أهداف البحث

يمكن إجمال الأهداف التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع في النقاط التالية :

- ١- جمع الآيات المتناثرة في سور القرآن الكريم والتي تناولت مادة (الإنذار).
- ٢- إظهار هذه الآيات، وترتيبها، في بحثٍ تفسيري موضوعي رصين.
- ٣- الكشف عن عناية القرآن الكريم بموضوع (الإنذار)، ومدى تركيزه عليه.
- ٤- إبراز مدى الاختلاف والتباين في مادة (نذر) الواردة في القرآن الكريم، وملائمة كل مفردة منها مع ما يناسبها.
- ٥- إظهار ما في آيات (الإنذار) من أوجه البلاغة والإعجاز المختلفة، استناداً إلى كتب اللغة والأدب - بقدر الاستطاعة - .
- ٦- ربط هذه المادة بواقع الأمة الإسلامية المعاصر، والتوضيح بأن (الإنذار) لم ينته، وأنه واجب على الأمة الإسلامية في علاقتها مع بعضها البعض، أو مع الأمم الأخرى سواءً على صعيد الأفراد أو الجماعات.
- ٧- استنباط الحقائق والتوجيهات والعبر القرآنية لهذا الموضوع الثري.
- ٨- بيان خطورة الإعراض عن إنذارات الله عز وجل، وربط هذا الإعراض والتجاهل بحالة الانحطاط الأخلاقي، والتردي الفكري، والانحراف السلوكي الذي وصلت إليه البشرية اليوم.

الجهود السابقة

حاول الباحث جاهداً استقصاء الدراسات السابقة لهذا الموضوع فبحث بفهارس :

✦ مكتبة الجامعة الإسلامية بغزة.

✦ ومكتبة جامعة الأزهر بغزة.

✦ ومكتبة جامعة الأقصى بغزة.

✦ ومكتبة جامعة القدس المفتوحة بغزة.

وراسل كل من :

✦ مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.

✦ ومكتبة الإسكندرية بجمهورية مصر العربية.

✦ ومكتبة الجامعة الأردنية بالمملكة الأردنية الهاشمية.

وكانت النتائج والردود متطابقة، بجدية هذا الموضوع، وحدثته، وعدم طرقة - رغم

أهميته - من قبل الباحثين، مما زاد من عزيمة الباحث، وشحذ همته لسبر أغوار هذا

الموضوع، واقتحام لجته - مستعيناً بالله عز وجل - .

❖ منهج البحث وطبيعة عمل الباحث

سيعتمد الباحث المنهج التفسيري الموضوعي في تطرقه لمادة (نذر) ملتزماً - بقدر الإمكان

وبما يعينه الله عليه - بالمنهجية التالية:

١- حصر الآيات القرآنية التي تتناول لفظة (الإنذار) ، وتخريجها ، مع إثبات ذلك

في الحاشية ، كل آية في موضعها ، مستعيناً بالمعاجم المفهرسة للقرآن الكريم.

٢- قام الباحث بترتيب كل مجموعة من الآيات التي تتحدث عن جزئية واحدة من

البحث.

٣- استخراج الألفاظ القرآنية لمادة (نذر) ، وتوضيح معناها اللغوي ، واستنباط

مفهومها الشرعي ، مستعيناً بأمهات المعاجم اللغوية.

٤- استقراء هذه الآيات من وتفسيرها من أمهات كتب التفسير ، كتفسير "الطبري" ،

و"ابن كثير" ، و"الزمخشري" ، و"القرطبي" و"الرازي" .. وغيره ، مع الاستعانة ببعض

كتب التفسير الحديثة ، كتفسير "الظلال" ، و"المنار" ، ونحوها.

٥- سرد مناسبة الآية وسبب نزولها - إن وجدت - كمدخل للتفسير ، وذلك لأن

قصة الآية وسبب نزولها تعين على فهم الآية ، وإدراك فحوى خطابها.

٦- تتبع أقوال المفسرين المختلفة والمتنوعة والمتباينة أحياناً في بعض الآيات محل

الخلاف ، ثم توجيه هذه الأقوال ، وبيان الراجح منها ، مع الاعتماد على الدليل.

- ٧- تقسيم الآيات إلى مكية ومدنية، وبيان الملاحظات المستنبطة من هذا التقسيم.
- ٨- الاستعانة بصحيح الأحاديث الشريفة، التي تخدم الموضوع، والاستشهاد بها على ما ورد في الرسالة، مع تخرجها حسب الأصول المتبعة، ونقل أقوال العلماء الثقات في الحكم عليها، وتوثيق كل ذلك في الحاشية.
- ٩- إسناد كل قول ورد في الرسالة لقائله، مع الاختصار والتصرف، وإثبات لفظة "أنظر" كدلالة على الاختصار أو النقل بالمعنى أو التصرف، أما إذا كان المنقول نصاً حرفياً فإن الباحث يضع هذا النص بين قوسين، ويكتفي بذكر المصدر والجزء والصفحة في الهامش.
- ١٠- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب، مستخدماً الألفاظ القرآنية بقدر الإمكان.
- ١١- تتبع منهجية التحقيق السليمة: بذكر اسم السورة، رقم الآية، تخرج الحديث، ذكر المرجع، والجزء، والصفحة، والمؤلف، حسب الأصول المتبعة.
- ١٢- تذييل الرسالة بخاتمة تلخص لموضوع الرسالة، ولأهم النتائج التي وصل إليها الباحث، وتذييلها بأربعة فهارس: أولها: للآيات القرآنية، والثاني: للأحاديث الشريفة، والثالث: للمصادر والمراجع، والرابع: لموضوعات الرسالة.
- وإبرازاً لهذه المنهجية، وتحقيقاً لهذه الأهداف فقد ارتأى الباحث أن تكون خطة البحث على النحو الآتي:

❖ خطة البحث

يشتمل هذا البحث على تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي :

التمهيد

وقفات مع الإنذار

❖ الوقفة الأولى : معنى الإنذار لغة وشرعاً

❖ الوقفة الثانية : لفظة الإنذار في السياق القرآني

❖ الوقفة الثالثة : الإنذار ونظائره الأخرى

الفصل الأول

الإنذار بين الأنبياء والرسل

البحث الأول : إنذار الرسل السابقين لأقوامهم

❖ بين يدي المبحث

❖ المطلب الأول : نماذج قرآنية على إنذار الرسل السابقين

❖ النموذج الأول : سورة نوح عليه السلام

❖ النموذج الثاني : سورة القمر..نذر متتابعة

❖ المطلب الثاني : طبيعة الإنذار عند الرسل السابقين

❖ الإنذار بالصاعقة

❖ الإنذار بالعذاب القريب

❖ الإنذار بالبطشة

❖ الإنذار بالبأس الشديد

✽ الإنذار بقاء يوم القيامة

✽ الإنذار بيوم الحسرة

✽ الإنذار بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)

البحث الثاني: إنذار الرسول ﷺ للناس

✽ بين يدي المبحث

✽ المطلب الأول : الإنذار بالقرآن الكريم

✽ المطلب الثاني : الإنذار بالدعوة إلى الله والتبليغ

✽ المطلب الثالث : الإنذار بالدعاء

✽ المطلب الرابع : الإنذار بالرسالة

✽ المطلب الخامس : الإنذار بالنار

البحث الثالث: الإنذار سنة إلهية ثابتة

✽ المطلب الأول : سنة الإنذار ثم الإهلاك

✽ المطلب الثاني : إنذارات معاصرة

✽ المعاصي سبب المصائب

✽ العقوبة الإلهية تشمل الجميع

✽ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل النجاة

✽ حذرت الآيات والأحاديث من الذنوب والمعاصي

✽ العقوبة تحمل بالعاصين حتى ولو أدوا شعائر الإسلام

✽ العقوبات أنواع عديدة

- ✽ الله سبحانه يحدث آيات تخويفاً لعباده
- ✽ موقف المؤمنين والكافرين عند حلول النكبات
- ✽ الدعاء والصلاة من أعظم أسباب النجاة
- ✽ التوبة والاستغفار من أسباب النجاة
- ✽ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل النجاة
- ✽ الجهاد في سبيل الله بجميع أنواعه يدفع البلاء
- ✽ يجب الخوف من نقمة الله وعقوبته
- ✽ صلاح القلب واستقامته سبيل النجاة في الدنيا والآخرة
- ✽ الإنذار مهمة الأنبياء والرسل

الفصل الثاني

الإنذارات بين القبول والرفض

البحث الأول: أقوام الأنبياء السابقين

✽ المطلب الأول : الأقوام التي استجابت للنذر

✽ المطلب الثاني : الأقوام التي أعرضت عن النذر

البحث الثاني: المنذرون في عهد الرسول ﷺ

✽ المطلب الأول : أهل مكة (بين المستجيب والمنكر)

✽ المطلب الثاني : أهل المدينة (بين الكافر والمؤمن والمنافق)

✽ المطلب الثالث : أهل الكتاب

✽ المطلب الرابع : كفار العرب

البحث الثالث : عالمية الإنذار والدعوة

✻ المطلب الأول : أدلة عالمية الإنذار من القرآن الكريم

✻ المطلب الأول : أدلة عالمية الإنذار من السنة النبوية

✻ المطلب الثالث : الأدلة على عالمية الرسالة من كتب أهل الكتاب

الفصل الثالث

نماذج للإنذارات الفردية في القرآن الكريم

النموذج الأول : إنذار الأب لابنه (نوح عليه السلام وابنه الكافر)

النموذج الثاني : إنذار الابن لأبيه (إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر)

النموذج الثالث : إنذار الصاحب لصاحبه (قصة صاحب الجنتين)

النموذج الرابع : إنذار الأخ لإخوته (قصة أصحاب الجنة)

الخاتمة

✻ ولخص فيها الباحث الرسالة ، وبين أهم النتائج التي خرج بها من بحثه.

الفهارس

✻ فهرس الآيات القرآنية

✻ فهرس الأحاديث الشريفة

✻ فهرس المصادر والمراجع

✻ فهرس الموضوعات

ترجمة ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

والله الموفق وعليه الاتكال..

التهميد

وقفات مع الإنذار

❖ الوقفة الأولى : معنى الإنذار لغة وشرعاً

❖ الوقفة الثانية : لفظة الإنذار في السياق القرآني

❖ الوقفة الثالثة : الإنذار ونظائره الأخرى

التمهيد: وقفات مع الإنذار

الوقفة الأولى: معنى الإنذار لغة وشرعاً

أولاً: الإنذار لغة

إن المتتبع لأمّهات كتب اللغة والمعاجم العربية يجد أنها تجمع على معان مشتركة للإنذار ويتفرد بعضها بذكر معان أخرى.

* نذر القوم بالعدوّ: علموا به فحذروه واستعدّوا له، وأنذرتهم به، وأنذرتهم إياه، وهو نذير القوم ومنذرتهم، وهم نذر القوم. ﴿فَسَتَّعَلْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾^(١) أي إنذاري ﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَكُتْرُ﴾^(٢): وإنذاراتي. وهو نذيرة القوم: لطيعتهم الذي يندرتهم العدو. وتناذروه: خوف منه بعضهم بعضاً^(٣)

* والإنذار: الإبلاغ. ولا يكون إلا في التخويف. والاسم النذُر، ومنه قوله تعالى: "فكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي"، أي إنذاري. والتذيرُ: المنذُر. والتذيرُ: الإنذار. والتذُرُ: واحد التذور. وتناذَرَ القومُ كذا، أي خوَّف بعضهم بعضاً.^(٤)

* والتذيرةُ من الجيش: طليعتهم الذي يُنذِرهم أمرَ عدوّهم، وقد نذِرُهُ، ونذيرةُ الجيش: هو الذي يعلمهم بأمر عدوهم. ونذِرَ بالشيءِ وكذلك بالعدوّ، كفرِح، نذراً عَلِمَهُ فَحَذِرُهُ، ومنه الحديث "أُنذِرِ الْقَوْمَ" أي احذِرْ منهم وكن منهم على علمٍ وحذِرٍ. وأُنذِرَهُ بِالْأَمْرِ أَي أَعْلَمَهُ، وقيل: حَذَرَهُ وَخَوَّفَهُ فِي إِبْلَاغِهِ وَبِهِ فَسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾^(١) والاسم، أي من الإنذار بمعنى التَّخْوِيفِ فِي الْإِبْلَاغِ.

١- سورة الملك- الآية ١٧

٢- سورة القمر - الآية ١٦

٣- أساس البلاغة - للإمام محمد بن عمر بن محمد الزمخشري - ص ٢٨٩

٤- مختار الصحاح - للإمام اسماعيل بن حماد الجوهري - ج ٢ - ص ١٧٦

وقوله عز وجل ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾^(٢) قال ثعلب: هو الرسول، وقال بعضهم: النذير هنا الشيب. قال الأزهرى: والأول أشبه وأوضح. قال أهل التفسير: بعني النبي ﷺ، كما قال عز وجل ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣). وفي الحديث: "كان إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، كأنه مُنذرٌ جيشٍ يقول صبحكم ومساءكم".^(٤)

* ومن أمثال العرب في الإنذار: أنا النذيرُ العريانُ.

وإنما قالوا: أنا النذير العريان لأن الرجل إذا رأى الغارة قد فجتهم وأراد إنذار قومه تجرد من ثيابه، وأشار بهم ليعلم أن قد فجتهم الغارة. ثم صار مثلاً لكل شيء يخاف مفاجأته. وقال ابن عرفة: ﴿لْتُنذِرَ قَوْمًا﴾^(٥) الإنذار الإعلام بالشيء الذي يحذر منه، وكل مُنذِرٍ مُعلم وليس كل معلم مُندراً، ومنه قوله: ﴿أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾^(٦) أي حذرهم، أنذرتهم فنذر: أي علم، والاسم من الإنذار النذير لقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾^(٧) تأويله إنما ينفع إنذارك الذين يخشون ربهم الغيب.^(٨)

* وأصل الإنذار الإعلام. يقال: أنذرتهم أنذره إنذاراً إذا أعلمته، فأنا منذر ونذير أي معلم

ومخوف ومحذر.

١- سورة غافر- الآية ١٨

٢- سورة فاطر- الآية ٣٧

٣- سورة الأحزاب- الآية ٤٥

٤- تاج العروس من جواهر القاموس- للإمام محمد بن محمد الزبيدي- ج ٣ ص ٨٩

٥- سورة السجدة- الآية ٣

٦- سورة مريم- الآية ٣٩

٧- سورة فاطر- الآية ١٨

٨- تهذيب اللغة- للإمام الشيخ محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي- ج ٢ ص ١٤٠

ومن أمثال العرب: قد أعذرَ من أنذرَ أي من أعلمك أنه يُعاقِبك على المكروه منك فيما يستقبله

ثم أتيت المكروه فعاقبك فقد جعل لنفسه عُذراً يكفُّ به لائمة الناس عنه.

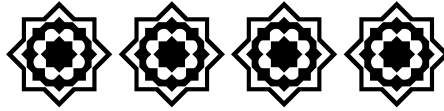
والعرب تقول: عُذراك لا نُذراك أي أعذر ولا تُنذر.^(١)

وبعد هذه الجولة في أمهات كتب اللغة نخلص إلى معان رئيسة للإنذار وهي:

١- التبليغ والإعلام.

٢- التخويف من الشيء المجهول.

٣- التحذير من الشر المرتقب.



ثانياً: الإنذار شرعاً

بعد استعراض الباحث لأقوال العلماء الشرعيين وتعريفاتهم للفظه الإنذار لم يجد تعريفاً شافياً شرعياً واصطلاحياً للفظه الإنذار اللهم إلا محاولات هي للتعريف اللغوي أقرب منها للشرعي ومن ذلك تعريف الإمام القرطبي في تفسيره حيث يقول:

(الإنذار هو الخبر في مدة يمكن فيها النجاة)^(١) ، فإنسان بقي عليه حتى يسقط في البئر أمتار، فتقول: قف مكانك! أمامك بئر، هذا إنذار، لكن إذا وقع إنسان في البئر فإن هذا إشعار، أما إذا وقع إنسان في البئر فلا تقل: انتبه أمامك بئر، وقد وقع فيها هذا لا يكون.

ويقول في موضع آخر: الإنذار في القرآن هو: الذي يكون فيه وقت يمكن النجاة فيه؛ ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام في وصف نفسه: (أنا النذير العريان) والحديث في صحيح البخاري عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (مثلني ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوما فقال رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأتوا طائفة فأدجوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة فصحبهم الجيش فاجتاحهم)^(٢) والنذير العريان عند العرب هو: رجل يأتي قومه فيخلع ثيابه فيبقى كيوم ولدته أمه ويأتي بثوبه يطير به في الجو يعني الهلكة الهلكة، محذراً لهم بأمر عظيم.^(٣) ولذلك لما أرسل أبو سفيان أبا ضمضم الغفاري ماذا فعل؟ مزق ثيابه أمام أهل مكة وقال: اللطيمة اللطيمة! يعني أدركوا غيركم، لما قطع ﷺ طريق العودة، فالنذير العريان: هو الذي يخلع ملا بسه ويبقى عرياناً، ويصيح من على جبل، يقول ﷺ: (أنا مثلي ومثل الناس، كالنذير العريان أتيتكم بالويل والدمار أو بالفلاح في الدنيا والآخرة).^(٤)

١- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ٦ ص ١٣١

٢- صحيح البخاري - كتاب الرقائق - باب الانتهاء عن المعاصي - ح ٦١١٧ - ج ٥ ص ٢٣٧٨

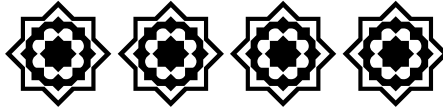
٣- نفس المرجع - ج ٥ ص ٦٩

٤- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق - ج ١ المقدمة ص ٤

والإنذار: إخبار فيه تخويف، كما أن التبشير إخبار فيه سرور. قال تعالى: ﴿أَنْذَرْتُمْكُمْ نَارًا تَلَطَّى﴾^(١)، ﴿أَنْذَرْتُمْكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(٢)، ﴿وَأَذَكَّرَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾^(٣)، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾^(٤)، ﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْبَبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٥)، ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾^(٦)، والنذير: المنذر، ويقع على كل شيء فيه إنذار؛ إنسانا كان أو غيره. ﴿إِنَّمَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٧)، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٨)، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٩)، وقد نذرت. أي: علمت ذلك وحثرت.

وإذا أردنا الجمع بين الإنذار بالمعنى اللغوي وبواقعه الاصطلاحي الشرعي نستطيع القول أن الإنذار هو:

تبليغ وإعلام يخوف الناس ويحذرهم من عذاب الله وعقابه إن هم عصوه وخالفوا شرعه.^(١٠)



١- سورة الليل- الآية ١٤

٢- سورة فصلت- الآية ١٣

٣- سورة الأحقاف- الآية ٢١

٤- سورة الأحقاف- الآية ٣

٥- سورة الشورى- الآية ٧

٦- سورة يس- الآية ٦

٧- سورة نوح- الآية ٢

٨- سورة الحجر- الآية ٨٩

٩- سورة الأحقاف- الآية ٩

١٠- هذا التعريف تم بمساعدة المشرف الدكتور عبدالسلام اللوح.

الوقف الثانية: لفظة الإنذار في السياق القرآني

بعد البحث والاستقصاء حول مادة (نذر) في السياق القرآني وجد الباحث أنها على الصيغ

الآتية:

(نَذَرْتُ - نَذَرْتُمْ - النَّذْرُ - النَّذْرُ - نُذِرُهُمْ - أَنْذَرْتُكُمْ - أَنْذَرْتَهُمْ - أَنْذَرْنَاكُمْ - أَنْذَرَهُمْ - أَنْذَرْتُمْ - تُنذِرُ - تُنذِرُهُمْ - يُنذِرُ - يُنذِرُهُمْ - لِيُنذِرَكُمْ - لِيُنذِرُوا - يُنذِرُونَكُمْ - يُنذِرُونَ - أَنْذِرْ - أَنْذِرْهُمْ - أَنْذِرُوا - أَنْذِرْ - لِيُنذِرُوا - يُنذِرُونَ - مُنذِرٌ - مُنذِرُونَ - مُنذِرِينَ - مُنذِرِينَ - نُذِرًا - نَذِيرٌ - نَذِيرًا - النَّذِيرُ - نُذِرُ).

وإذا ما استثنت (نَذَرْتُ - نَذَرْتُمْ - النَّذْرُ) لأنها خارج موضوع البحث تكون صيغ

وإشتقاقات المادة قد وردت في القرآن الكريم (١٢٠) مائة وعشرين مرة وجاءت على الصيغ

والإشتقاقات التالية:

﴿ أَنْذَرْتُ ﴾ : فعل ماضٍ مجرد من الضمائر: مرة واحدة.

﴿ أَنْذَرْتُكُمْ ﴾ : فعل ماضٍ مسند لتاء الفاعل المتكلم ومتصل بكاف الخطاب المفعول وميم الجمع: مرتين.

﴿ أَنْذَرْتَهُمْ ﴾ : فعل ماضٍ مسند لتاء الفاعل المخاطب ومتصل بهاء الغائبين وميم الجمع: مرتين.

﴿ أَنْذَرْنَاكُمْ ﴾ : فعل ماضٍ مسند لنا الفاعلين ومتصل بكاف الخطاب وميم الجمع: مرة واحدة.

﴿ أَنْذَرَهُمْ ﴾ : فعل ماضٍ مسند إلى الضمير المستتر (هو) ومتصل بضمير نصب (هم): مرة واحدة.

﴿ أَنْذَرِكُمْ ﴾ : فعل مضارع مسند للمتكلم المفرد الفاعل متصل بكاف الخطاب المفعول وميم الجمع: مرتين.

﴿ تَنْذِرَ ﴾ : فعل مضارع مفتوح بتاء الخطاب للمفرد ومسند للمخاطب المفرد الفاعل المستتر مجرد من

الضمائر: عشر مرات.

﴿ تَنْذِرُهُمْ ﴾ : فعل مضارع مفتوح بتاء الخطاب للمفرد متصل بهاء الغيبة وميم الجمع: مرتين.

﴿ يُنذِرُ ﴾ : فعل مضارع مفتوح بياء الغيبة مجرد من الضمائر: خمس مرات.

﴿ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ : فعل مضارع مفتوح بياء الغيبة قبلها لام التعليل متصل بكاف الخطاب وميم

الجمع: مرتين.

﴿ لِيُنذِرُوا ﴾ : فعل مضارع مفتوح بياء الغيبة قبلها لام التعليل مسند إلى واو الجماعة: مرة

واحدة .

﴿ يُنذِرُونَكُمْ ﴾ : فعل مضارع مفتوح بياء الغيبة مسند إلى واو الجماعة متصل بكاف الخطاب

وميم الجمع: مرتين.

﴿ أَنْذِرَ ﴾ : فعل ماضٍ مبني للمجهول مجرد من الضمائر: مرة واحدة.

﴿ أَنْذِرْ ﴾ : فعل أمر للمفرد مجرد من الضمائر: ست مرات.

﴿ أَنْذِرُوا ﴾ : فعل ماضٍ مبني للمجهول مسند إلى واو الجماعة: مرتين.

﴿ أَنْذِرْهُمْ ﴾ : فعل أمر للمفرد المخاطب متصل بهاء الغيبة وميم الجمع: مرتين.

﴿ أَنْذِرُوا ﴾ : فعل أمر مسند إلى واو الجماعة: مرة واحدة.

﴿لِيُنذِرُوا﴾ : فعل مضارع مبني للمجهول بياء الغيبة قبلها لام التعليل مسند إلى واو الجماعة: مرة واحدة.

﴿يُنذِرُونَ﴾ : فعل مضارع مبني للمجهول بياء الغيبة مسند إلى واو الجماعة: مرة واحدة.

﴿مُنْذِرٌ﴾ : اسم فاعل للمفرد: خمس مرات.

﴿مُنْذِرُونَ﴾ : اسم فاعل للجمع بواو الرفع: مرة واحدة.

﴿مُنْذِرِينَ﴾ : اسم فاعل للجمع بياء النصب أو الجر: تسع مرات .

﴿مُنْذَرِينَ﴾ : اسم مفعول للجمع بياء النصب أو الجر: خمس مرات.

﴿نُذْرًا﴾ : مصدر منصوب

﴿نَذِيرٌ﴾ : على صيغة (فعل) بمعنى فاعل، نذير أي منذر، مرفوع أو مجرور: اثنان وثلاثون مرة.

﴿نَذِيرًا﴾ : فعيل بمعنى فاعل، أي منذر، منصوب: ثمان مرات.

﴿النُّذْرُ﴾ : جمع تكسير على صيغة (فعل) معرف بآل: ثمان مرات.

﴿نُذْرٌ﴾ : جمع تكسير على صيغة (فعل) مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة تخفيفاً: ست مرات. (١)

١- بتصريف من المراجع الآتية مع زيادات للباحث:

* تفصيل آيات القرآن الحكيم - لجول لا بوم
* المعجم كلمات القرآن الكريم - محمد عدنان سالم
* الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - حسين الشافعي
* المعجم ألفاظ القرآن الكريم - لناصر خسرو
* المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن الكريم - د/محمود روحاني

مراتئ التكرار	مكية/مدنية	رقم الآية	اسم السورة	الكلمة المشتقة	٥
٦	مكية	٩-٢١-٢٩-١٢-٣-٢١	الأحقاف	أنذر- أنذروا- لينذر- منذرين- النذر- نذير	١
٥	مكية	١٣٠-١٩-٤٨-٩٢-٥١	الأنعام	أنذر- لأنذركم- يندوونكم- لتنذر- منذرين	٢
٥	مكية	١١٥-١٩٤-١٧٣-٢٠٨-٢١٤	الشعراء	أنذر- منذرون- المنذرين- المنذرين- نذير	٣
٢	مكية	٢-١	نوح	أنذر- نذير	٤
	مكية	٧٤	المدثر	أنذر	٥
٣	مكية	٢-١٠١-٧٣	يونس	أنذر- المنذرين- النذر	٦
٢	مكية	٥٢-٤٤	إبراهيم	أنذر- لينذروا	٧
٥	مكية	١١-٧٠-٦-١٠-٦	يس	أنذر- لتنذر- تنذر- أنذرتهم- تنذرهم	٨
	مكية	١٣	فصلت	أنذرتكم	٩
	مكية	١٤	الليل	فأنذرتكم	١٠
٤	مدنية	٢٧٠-٢١٣-٦-٦	البقرة	أنذرتهم- تنذرهم- منذرين- نذيراً	١١
٤	مكية	٤٨-١٣٠-١٩-٥١	الأنعام	لأنذركم- يندوونكم- لتنذر- منذرين	١٢
	مكية	٤٥	الأنبياء	أنذركم	١٣
	مكية	٤٠	النبا	أنذرتكم	١٤
١٢	مكية	-٢٣-٢١-١٨-١٦-٤١-٥-٣٦ ٣٩-٣٧-٣٦-٣٣-٣٠	القمر	أنذرهم- النذر- نذر	١٥
٢	مكية	٩٧-٣٩	مريم	أنذرهم- تنذر	١٦
٣	مكية	١٨-١٥	غافر	أنذرهم- ينذر	١٧
	مكية	٢	النحل	أنذروا	١٨
٣	مكية	٥٦-٤-٢-٥٦	الكهف	أنذروا- ينذر- منذرين	١٩
٥	مكية	١٨٨-١٨٤-٢-٦٩-٦٣	الأعراف	ينذركم- تنذر- نذير	٢٠
	مدنية	١٢٢	التوبة	لينذروا	٢١
	مكية	٧١	الزمر	ينذوونكم	٢٢
	مكية	٤٦	القصص	تنذر	٢٣
	مكية	٣	السجدة	تنذر	٢٤
٢	مكية	٧-٧	الشورى	تنذر	٢٥
٦	مكية	١٨-٤٢-٤٢-٢٤-٢٣-٣٧	فاطر	تنذر- النذير- نذير	٢٦
٦	مكية	٥٤	النازعات	منذر	٢٧
	مدنية	٧	الرعد	منذر	٢٨
٢	مكية	٦٥-٤	ص	منذر	٢٩
	مكية	٢	ق	منذر	٣٠
	مكية	٥٨	النمل	المنذرين	٣١
	مكية	١٧٧-٧٣	الصفات	المنذرين	٣٢
	مدنية	١٦٥	النساء	منذرين	٣٣
	مكية	٣	الدخان	منيرين	٣٤
٢	مكية	٥٦-٥٦	النجم	نذير- النذر	٣٥
	مكية	٦	المرسلات	نذرا	٣٦
	مكية	٨٩	الحجر	نذير	٣٧
	مدنية	١٩	المائدة	نذير	٣٨
٣	مكية	٢٥-١٢-٢	هود	نذير	٣٩
	مدنية	٤٩	العنكبوت	نذير	٤٠
	مكية	٥٠	العنكبوت	نذير	٤١
٤	مكية	٢٨-٤٤-٣٤-٤٦	سبا	نذير	٤٢
٢	مكية	٥١-٥٠	الذاريات	نذير	٤٣
٤	مكية	١٧-٢٦-٩-٨	الملك	نذير	٤٤
	مكية	١٠٥	الإسراء	نذيراً	٤٥
٤	مكية	٥٦-٥١-٧-١	الفرقان	نذيراً	٤٦
	مكية	٢٣	الزخرف	نذير	٤٧
	مدنية	٤٥	الأحزاب	نذيراً	٤٨

ومن خلال هذا الجدول نلاحظ الملحوظات التالية :

- ١- وردت مادة (نذر) واشتقاقاتها في القرآن الكريم (١٢٠) مرة، وفي (٤٩) سورة، (٤٢) سورة مكية، و(٧) سور مدنية.
- ٢- كان التركيز على لفظة (الإنذار) في القرآن المكي، ليقرع مسامع الكفار الصماء، ويقطع نياط قلوبهم الغليظة، ويهز مشاعرهم البليدة، عليهم يعودوا إلى صوابهم، ويحكموا عقولهم.
- ٣- تكررت لفظة (نذر) ومشتقاتها في بعض السور المكية أكثر من مرة، بل إنها جاءت في سورة القمر- على سبيل المثال- (١٢) مرة، وهذا يصب في نظرية الجوى النفسي للسورة المكية، والتي نزلت لترهب الكفار وتخوفهم من عذاب الله وشديد عقابه، إن هم عصوه وكذبوا رسله، واستهزؤوا بإنذاراته.
- ٤- ليس غريباً في سورة كسورة (يس) والتي أقسم الله تعالى فيها بنبيه محمد ﷺ، أن تتكرر مادة (نذر) بالإشتقاقات التالية: (أنذر، لتنذر، تنذر، أنذرتهم، تنذرهم) لنرى بوضوح المهمة الأساس لبعثة النبي ﷺ وهي الإنذار والتبليغ.
- ٥- مادة (نذر) واشتقاقاتها وردت في القرآن المدني بالاشتقاقاقات التالية: (لينذروا)، (منذرين)، (نذيراً)، ونحوها من الاشتقاقاقات التي تركز على لغة الجمع، وصيغ المبنى للمجهول، وكأن القرآن يشير إلى نضوج الجماعة المؤمنة في المدينة، ويذكرهم بواجبهم وهو إنذار الخلائق أجمعين.
- ٦- في السور السبعة المدنية التي وردت فيها لفظة (نذر) ومشتقاتها، سارت مادة الإنذار مع التنزيل المدني لحظة بلحظة، بل إنها جاءت في (سورة التوبة) - وهي من أواخر السور التي نزلت- بلفظة (لينذروا) لبيان استمرارية الإنذار وبقاء واجبه، مابقيت هذه الحياة.

الوقفة الثالثة : نظائر الإنذار في القرآن الكريم

من السنن التي نجدتها في التاريخ البشري منذ خلق الله آدم (عليه السلام)، أنه سبحانه وتعالى بعث لكل مجموعة من الناس - سواء كانوا في قرية أو مدينة أو كانوا أمة بالمعنى اللغوي أو غير ذلك - بعث نبياً أو نذيراً ليهديهم إلى الصراط المستقيم، وهذه هي الهداية المطلقة والسنة الدائمة التي أشار إليها القرآن الحكيم ابتداءً من أول الخليقة وانتهاءً بيوم القيامة، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١) ، وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٢) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٣) ، وذلك لتوافق الهداية الخارجية مع الهداية الداخلية، فقد فطر الله سبحانه وتعالى الناس على معاني الخير الواقعي سواء كان ألوهية أو رسالة أو قيامة أو أخلاقاً أو معاملات صحيحة أو ما شابه ذلك، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٤) . وهذا ما يشاهده كل فرد في داخله، وليس معنى قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٥) أن في كل قرية يكون نذير لأن الله سبحانه وتعالى يقول في آية أخرى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾^(٦) ، بل أحياناً كثيرة يكون النذير في أم القرى وليس في القرى المتناثرة، قال تعالى: ﴿وَمَا

١- سورة يونس - الآية ٤٧

٢- سورة النحل - الآية ٣٦

٣- سورة فاطر - الآية ٢٤

٤- سورة الروم - الآية ٣٠

٥- سورة فاطر - الآية ٢٤

٦- سورة الفرقان - الآية ٥١

كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿١﴾

والعذاب الإلهي لا يكون على الأمة إلا بعد الإنذار والتحذير كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٢).

ومن هنا جاءت آيات الإنذار المتناثرة في القرآن الكريم لتحذر من وقوع العذاب بالأمم المكذبة والمعاندة. فأما الآيات التي تنذر الكفار بالعذاب من خلال لفظة (نذر) مباشرة فسيأتي مزيد بيان لها من خلال مفردات البحث.

والذي يهمنا في هذا المبحث تلك الألفاظ التي تحمل معنى (الإنذار) وتحذر من العذاب وتبين سنة الله في الإهلاك للأمم المكذبة والمعاندة وهي على نوعين:

أولاً: نظائر الإنذار اللفظية

من خلال البحث في آيات القرآن الكريم التي تنذر بالعذاب وتحذر منه نجد ألفاظاً تحدثت عن التخويف من العذاب بشكل مباشر.

وذلك كلفظة (البشارة): فالبشرى تكون عادة بالخير، وهذا هو الأصل فيها، ولكن قد يأتي التبشير في القرآن الكريم بمعنى الإنذار والوعيد، وذلك للكافرين، ولعل في ذلك تمكماً بالكافرين وتحقيراً لشأنهم وإشعاراً لهم بخيبة أملهم، إذ يبشر الله عباده المؤمنين بالخير والجنة والرضوان، ويبشر الكافرين والمنافقين والمعرضين عن القرآن والبخلاء بالعذاب الأليم، فكأنما هي بشارة معكوسة، وهذا وجه من أوجه بلاغة القرآن الحكيم وروعة أسلوبه.

١- سورة القصص - الآية ٥٩

٢- سورة الإسراء - الآية ١٥

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢)

وقال سبحانه مبيناً حال من يستمع إلى آيات الله ثم يعرض عنها مستكبراً كأنه لم يسمعها: ﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣)

وقال تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَنَلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤)

وقال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٥)

١- سورة النساء- الآية ١٣٨

٢- سورة التوبة - الآية ٣

٣- سورة لقمان- الآية ٧

٤- سورة الجاثية- الآيتان ٧، ٨

٥- سورة آل عمران- الآية ٢١

ثانياً : نظائر الإنذار المعنوية

من ركائز الإنذار في القرآن الكريم الإنذار بمصارع الأمم وسقوط الحضارات، والاعتبار قبل أن تحل الكارثة، والمراقب لآيات القرآن الكريم يجد أن بعضها تلمح بشكل أو بآخر للنظر في مصارع الأمم وأسباب انهيارها لأخذ العبرة والعظة قبل فوات الأوان، وآيات أخرى تنذر بالمصائب والمهالك إذا كثرت الفواحش وعمت واستمرت ذنوب. وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: - العبرة والعظة من الأمم السابقة:

١- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ يَرْبِكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾^(١).

قال القرطبي في تفسيرها: "ألا يعتبرون بمن أهلكنا من الأمم قبلهم لتكذيبهم أنبياءهم" ^(٢) قال الطبري: "وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قروناً كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به وتكذيب رسله على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه، فيعذب قوماً بما لا يعذب به آخرين أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين" ^(٣).

٢- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ

١- سورة الإسراء- الآية ١٧

٢- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ٦ ص ٣٩١

٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن- محمد ابن جرير الطبري - ج ١٥ ص ٥٧

٤- سورة الروم- الآية ٤١

اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاثِرٍ ظَالِمِينَ ﴿٥٥﴾^(١).

قال الشوكاني: "والمعنى أن ذلك العقاب بسبب أن عادة الله في عباده عدم تغيير نعمه التي ينعم بها عليهم حتى يغيروا ما بأنفسهم"^(٢).

٣- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُشْرِكِينَ﴾^(٣)

قال ابن تيمية: "وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا فنشبه حالنا بحالهم
ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين،
ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان"^(٤).

٤- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحْمَدُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْتَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ
الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥).

قال الطبري: " فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذي أعده لأعدائه في الدنيا من الحسف والمسح
والرجم والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم يبعيد منه"^(٦).

ثانياً:- الذنوب والمعاصي سبب المصائب والمهالك:

وذكرت الآيات أن المصائب والمهالك عقوبات تصيب الأمم بسبب ذنوبهم وآثامهم، فالله حكم

١- سورة الأنفال- الآية ٥٣، ٥٤

٢- فتح القدير- للإمام محمد بن علي الشوكاني - ج ٢ ص ٣١٨

٣- سورة الروم- الآية ٤٢

٤- العقود الدرية في شرح الفتاوى الحامدية - لشيخ الإسلام ابن تيمية - ج ١ ص ١٣٧

٥- سورة آل عمران- الآية ١٨٨

٦- جامع البيان - الطبري - ج ٤ ص ٢٠٩

عدل لا يظلم أحداً، ومن هذه الآيات:

١- ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهلكم وأموالكم فيما كسبت أيديكم يقول فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترحتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم، ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم فلا يعاقبكم بها"^(٢).

٢- ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمُ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣).

٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٤).

نقل الإمام القرطبي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: "لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان في جحرها. ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فمات الدواب، ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل كما قال ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٥) والعذاب والعقوبة التي أوعدها الله بها الأمم لها موعد صدق يأتيها وإن طال على سبيل الاستدراج أو الإمهال، إذ هو سنة كونية يعذب الله بها الأمم أمة تلو أمة، وهذه السنن لا تحايي أمة، ولا تتجاوز مستحقاً للعذاب، وإن تأخر ذلك إلى حين أجله، وقد قال الله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ

١- سورة الشورى - الآية ٣٠

٢- جامع البيان - الطبري - ج ٢٥ ص ٣٢

٣- سورة التوبة - الآية ٧٠

٤- سورة يونس - الآية ٤٤

٥- سورة الشورى - الآية ٣٠

أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ»^(١) أي أجل موقم ومنتهى أعمارهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون^(٢)

وقال: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٧﴾﴾^(٣)

قال القرطبي: "وأعلم المشركين أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم بل سنة الله إمهال العصاة مدة"^(٤)

فالعقوبة الإلهية سنة من سنن الله التي لا تتغير ولا تتبدل، كما قال الله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٥)

قال القرطبي: "المعنى قد خلت من قبلكم سنن يعني بالهلاك فيمن كذب قبلكم كعاد وثمود والعاقبة آخر الأمر وهذا في يوم أحد يقول فأنا أمهلهم وأملي لهم وأستدرجهم حتى يبلغ الكتاب أجله يعني بنصره النبي ﷺ والمؤمنين وهلاك أعدائهم الكافرين"^(٦)

وقال: ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٧)

قال القرطبي: "سنة الله في خلقه يرفع من تخشع، ويضع من ترفع"^(٨)

١- سورة الأعراف - الآية ٣٤

٢- الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ١٠ ص ١٠٦

٣- سورة ن- الآية ٤٤-٤٥

٤- الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ٩ ص ٣٧

٥- سورة آل عمران- الآية ١٣٧

٦- الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ٤ ص ٢١٦

٧- سورة فاطر- الآية ٤٣

ومن سنة الله في البشر أن كل ما يصيبهم من بلاء وأذى في الأنفس والأبدان وشئون الملك والسلطان إنما هي آثار للأعمال ونتائج للسلوك الفاسد، مع وجود عفو الله الكثير كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢) وتبقى سنة الله ثابتة تعمل عملها في حركة التاريخ، والله يتخذ من الظالمين والمترفين وأهل الشرك والضلال وغيرهم من كل ذوى الفساد والانحراف أدوات ووسائل يسوق بها القرى والدول والحضارات والأمم والمجتمعات نحو الفواجع والمصائر الكالحة.

و يتحدث الأستاذ محمد هيشور عن صورة متكاملة لسنن الله في إهلاك الأمم المعاندة في القصص المبتوثة في القرآن ومنها:

بين الله في القرآن أن الأمم التي أهلكت كان أكثر أفرادها غير مؤمنين فقال الله بين هذه السنة في قوم نوح عليه السلام ﴿أَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وعن ثمود قوم صالح: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْمَدَابُحُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤). وحتى لا يحسب الإنسان المعاصر نفسه أنه أصبح بمفازة ومناعة من هذه الأمراض والمهالك مع أنه يأتي أسبابها ويمارس عواملها — مجرد انتمائه لعصر التكنولوجيا والازدهار الطبي وتقدم وسائل العلاج، فليقرأ عن هذه الأمراض في الحضارة الغربية المعاصرة وما تفعله في أكبر عواصمها وما

١- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ٩ ص ٤٢

٢- سورة الشورى - الآية ٣٠

٣- سورة الشعراء - الآيات ١١٩-١٢٠-١٢١

٤- سورة الشعراء - الآية ١٥٨

يعانيه أبنائها من دمار وانتحار، ولأمر بسيط جداً وهو أنهم زاغوا عن أمر الله فحق عليهم قوله

تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

ويقينا في عدالة الرحمن انه سيحقيق بهؤلاء ما حاق بأهل تلك القرى الظالمة التي سبقتهم في التاريخ

والتي قال الله في أهلها: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِئِينَ﴾^(٢).

وسنة الله سائرة، ثابتة، باقية ببقاء الخلق، ومن عدل الله في الإنسانية ألا يخص الأمم بنوع واحد أو

صيغة واحدة من الدمار والسقوط بل جرت سنته تعالى بتنويع العذاب وكثرة ألوانه واختلافها

بطرق عديدة ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾^(٣).

وبحسب فساد الأمة وانحرافها كما ذكرنا يكون الهلاك والتعذيب الذي قد يجي صاعقة، أو غرقاً،

أو فيضاناً، أو ريحاً، أو خسفاً أو قحطاً، أو مجاعة وارتفاعاً في الاسعار، أو امراضاً، وأوجاعاً، أو

ظلماً وجوراً أو فتناً واختلافاً بين الناس، أو مسخاً في الصور والأشكال كما فعل بني إسرائيل،

أو ضعفاً في القلوب، ووهنا في النفوس كما هو حالة الأمة الإسلامية

فعن هلاك قوم نوح عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا

خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٤).

وعن عاد قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصِراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٥).

١- سورة الصف- الآية ٥

٢- سورة الأنبياء- الآية ١٥

٣- سورة المدثر- الآية ٣١

٤- سورة العنكبوت- الآية ١٤

٥- سورة فصلت- الآية ١٦

وعن ثمود قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾^(١).

والطاغية هي الصاعقة.

وهكذا كل الأمم آتاهما ما يناسب إجرامها، ففي الغرق يقول الله: ﴿فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ

بِأَثْمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٢).

وفي الريح يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(٣).

وفي الصاعقة يقول تعالى: ﴿فَمَتَّوْنَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(٤).

ويقول في الخسف ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾^(٥)، وهو قارون.

ويقول تعالى في القحط والجماعات والارتفاع في الأسعار وانتشار الأمراض ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ

أُمَّمًا مَّتَّهِمُ الصَّالِحُونَ وَمَتَّهِمٌ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَا لَهُمُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٦).

ويقول تعالى في الفتن بين الناس والتشيع للأفراد: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ

فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ

لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(٧).

١- سورة الحاقة- الآية ٥

٢- سورة الأعراف- الآية ١٣٦

٣- سورة الحاقة- الآية ٦

٤- سورة الذاريات- الآية ٤٤

٥- سورة القصص- الآية ٨١

٦- سورة الأعراف- الآية ١٦٨

٧- سورة الأنعام- الآية ٦٥

ويقول عن مسح الصور: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَإِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّكَ لَفُوقُ رَحِيمٍ﴾^(١).

وهذا المسخ حدث لبني إسرائيل، وكان مسخاً وتغييراً حقيقياً وتحويلاً من الصور الآدمية إلى صورة قردة وخنازير وهذا هو ظاهر النص القرآني.

وعن إمطار الحجارة على قوم لوط قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾^(٢).

ولقد أندر الله الذين كذبوا برسوله ﷺ من أن يزل بهم ما نزل بتلك الأمم السابقة التي خرجت عن سنن الاستقامة وحدود الامتثال لأمر الله فقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ جَبَّيْنَا لَكُمْ مِّن مَّسَاقِينِهِمْ وَزَكَّيْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّتْهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِدِينِهِ فَمِثَّهُمْ مِّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِثَّهُمْ مِّنْ أَخَذْتَهُ الصَّيْحَةَ وَمِثَّهُمْ مِّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِثَّهُمْ مِّنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣).

فهذه بعض الأمثلة لتلميحات القرآن الكريم بإنذار الأمم من اتباع طريق الأمم البائدة في العناد والتكذيب والإنكار، حتى لا يكون مصيرهم كمصيرهم، والعاقل من اتعظ واعتبر بغيره، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وأوقعها في المصائب والمهالك في الدنيا والآخرة.^(٤)

١- سورة الأعراف- الآية ١٦٦

٢- سورة هود- الآية ٨٢

٣- سورة العنكبوت- الآية ٣٨-٣٩

٤- انظر: مبحث سنن القرآن في سقوط الحضارات - محمد هيشور - على الشبكة العنكبوتية.

الفصل الأول

إنذار الأنبياء والمرسلين لأقوامهم

✿ المبحث الأول : إنذار الرسل السابقين لأقوامهم

✿ المبحث الثاني : إنذار الرسول ﷺ للناس

✿ المبحث الثالث : الإنذار سنة إلهية ثابتة

الرهبة الأول

إنذار الرسل السابقين لأقوامهم

بين يدي المبحث ❁

المطلب الأول: نماذج قرآنية على إنذار الرسل السابقين ❁

النموذج الأول: سورة نوح عليه السلام

النموذج الثاني: سورة القمر.. نذر متتابعة

المطلب الثاني: طبيعة الإنذارات في ضوء القرآن الكريم ❁

الإنذار بالصاعقة ❁

الإنذار بالعذاب القريب ❁

الإنذار بالبطشة ❁

الإنذار بالبأس الشديد ❁

الإنذار بقاء يوم القيامة ❁

الإنذار بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ❁

بين يدي البحث :

بعث الله للبشر أنبياء ورسلا يهدونهم لطريق الحق والخير، ويبشرونهم بالفلاح في الدارين أن هم اتبعوا، وينذرونهم بالخزي والدمار إن هم تنكصوا، وجعل غاية البعثة التبشير والإنذار.

فقال عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا يَبْغُونَ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١) وقال سبحانه أيضا: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٢).

وعلى هذا الأساس بعث النبي الأعظم ﷺ لأنه ليس بدعا من الرسل . لذلك قال الله جل وعلا عن بعثة النبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾^(٣)

وقال سبحانه أيضا: ﴿وَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَالْحَقُّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤)

وقال أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥)

وهذا لا يعني أن مهمة الرسل مختصرة بالتبشير والإنذار فهناك الشهادة على أقوامهم يوم القيامة .

لذلك قال جل وعلا عن النبي الأعظم ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٦)

كذلك بقية الأمم كل نبي منهم يشهد حينئذ على أمته ، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ

أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٧)

١- سورة البقرة- الآية ٢١٣

٢- سورة النساء- الآية ١٦٥

٣- سورة فاطر- الآية ٢٤

٤- سورة الإسراء- الآية ١٠٥

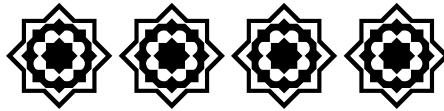
٥- سورة سبأ- الآية ٢٨

٦- سورة الفتح- الآية ٨

٧- سورة النساء- الآية ٤١

كذلك من جهة مهمة الأنبياء كما هو مودع في دعاء إبراهيم عندما دعا الله جل وعلا وهو في مكة أن يبعث في القوم الذين يسكنون مكة رسولا منهم وحدد له مهمته قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (١)

بالإضافة إلى هذه الآيات ، أخبر الله جل وعلا أن ما يأتي به النبي ﷺ ليس تبشيرا وإنذارا وتعليم حكمة ، إنما هو حقيقة الحياة ، لذلك يقول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢). والمراد بالتبشير إستشارة قوة الطمع والرغبة، فالإنسان يطمع من خلال دعوة الأنبياء بالحياة الصالحة في الدنيا وبالجنة في الآخرة، والإنذار هو استثارة مواطن الخوف والرهبة في النفس ، والرسل يخوفون أقوامهم من أمرين من الحياة التعيسة في الدنيا، ويخوفونهم من نار تلظى في الآخرة .



١- سورة البقرة- الآية ١٢٩

٢- سورة الأنفال- الآية ٢٤

المطلب الأول : نماذج قرآنية على إنذار الرسل السابقين :

يربط القرآن الكريم في قصص الأنبياء بين إنذارين، وهما:

الأول/ عن اليوم الآخر وما يتضمنه من نار تلظى وحساب عسير وموقف عند رب عظيم،
والآخر/ عن حادث دنيوي مرعب : كحادث الطوفان في قوم نوح، وحادث الناقة في ثمود قوم صالح، وفيما حدث لعاد قوم هود بعد إنذار، وغيرهم، ليكون الإنذار الدنيوي نموذجاً منهجياً للإنذار الأخروي من حيث استبعاد العقل النظري واستدعاء العقل العملي بحكم الضرورة العملية وهذه بعض الأمثلة القرآنية على إنذار الأنبياء الكرام لرسولهم وحرصهم على إيصال الرسالة التي كلفوا بها كاملة غير عابئين باستهزاء المستهزئين وتكذيب المكذبين وقلة المؤمنين.

وسوف نستعرض نموذجين لسورتين من كتاب الله، تعرضان عاقبة المكذبين لنذر الله، وهما:-

النموذج الأول / سورة نوح -عليه السلام-

تطلعنا هذه السورة على نوح عليه السلام هذا الطود الشامخ في زمنه، ذلك النبي الذي لم يدع طريقة إلا وحاول دعوة قومه بما فأخذهم بالإنذار والوعيد تارة، وبالبشارة والترغيب تارة أخرى ، ولم يأبه بمجحودهم واستهزائهم به، ولم يأبه كذلك بطول زمن مكثه فيهم، فكان بحق مثلاً ناصحاً على النذير المبين.

هذا على الرغم من قلة عدد أتباعه المؤمنين، ولكنه عليه السلام كان يتعامل مع دعوته على أنها تكليف إلهي خطير، ومسؤولية رسالية كبيرة، وهذا ما يفرض عليه أن يمضي في منهجه التبليغي حتى النهاية، بصرف النظر عن عدد الذين آمنوا، فهو لم يكن يبلغ دعوة الله من أجل مشروع شخصي، إنما من أجل هداية الناس إلى طريق الحق. فكان المجتمع بكل فئاته وطبقاته واتجاهاته الفكرية مادة عمله، ومساحة تحركه، وعلى هذا فان دعوته طويلة بلا ريب.

ولقد اعتمد نوح عليه السلام أساليب دعوية متجددة على الدوام، فكان كلما اكتشف عدم جدوى أسلوب مع قومه العتاة، ينتقل مباشرة لأسلوب آخر، وفي هذا التجديد والاستخدام المتكرر لأساليب التبليغ والإنذار، ما يؤكد الإحساس العميق بعظم المسؤولية عند نوح عليه السلام، فلقد أراد ان يجرب كل الأساليب المتاحة على أمل ان يهتدي الضالين، ولم يقتصر على أسلوب واحد.

وقد حدثنا القرآن الكريم عن تعدد الأساليب التي اعتمدها نوح عليه السلام في حديث مفصل استوعب قصته مع قومه.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا يُعْزِرْكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٤﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا سِكِّبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٥﴾ ثُمَّ إِنِّي أَغْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٦﴾﴾^(١)

ولنستمع للداعية الشهيد سيد قطب في الظلال وهو يتكلم عن إنذار نوح عليه السلام لقومه:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا يُعْزِرْكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾^(٢)

١- سورة نوح- الآيات من ١- ٩

٢- سورة نوح- الآيات من ١- ٩

"ومن مشهد التكليف ينتقل السياق مباشرة إلى مشهد التبليغ في اختصار ، البارز فيه هو الإنذار، مع الإطماع في المغفرة على ما وقع من الخطايا والذنوب ؛ وتأجيل الحساب إلى الأجل المضروب في الآخرة للحساب ؛ وذلك مع البيان الجمل لأصول الدعوة التي يدعوهم إليها:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا اللَّهَ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّدْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١) .

يا قوم إني لكم نذير مبين . . مفصح عن نذارته ، مبين عن حجته ، لا يتمم ولا يجمع ، ولا يتلعم في دعوته ، ولا يدع لبسا ولا غموضا في حقيقة ما يدعو إليه ، وفي حقيقة ما ينتظر المكذبين بدعوته ... فهذه الخطوط العريضة التي دعا نوح إليها قومه في فجر البشرية هي خلاصة دعوة الله في كل جيل بعده" (٢) .

لقد كان إنذار نبي الله نوح عليه السلام من أجل أن تقف القافلة البشرية. لتعيد التفكير بمنطق الفطرة، وتعود إلى رشدنا بعبادة ربها ولكن جبهة الكفر والعصيان، وقفوا من الإنذار الموقف الذي يأتيهم، بالعذاب. لقد وجد القوم أن دعوة نوح إليهم لعبادة الله وحده، وأمره إياهم أن يتقوا الله ويطيعوه.. رأوا في هذا خروجا عن نصوص الآباء وسنتهم القومية، ولهذا رموا نوحا عليه السلام بأكثر من قهمة. وكما أندرهم نوح من قبل أن يأتيهم العذاب الأليم. راح عليه السلام يندرهم وهم على طريق الانحراف ويخبرهم أنه يخاف عليهم عذاب يوم أليم. فهو أندرهم قبل أن يأتيهم العذاب الأليم. وعندما عصوا وعاندوا، أندرهم بأن العذاب الأليم ينحصر في يوم أليم.

١- سورة نوح- الآية ٢

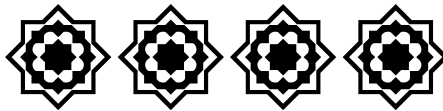
٢- تفسير الظلال - للشهيد سيد قطب - ج ٧ ص ١٧٨

وهو يخاف عليهم من هذا اليوم الذي وصفه الله بأنه أليم . فإذا كان هذا هو حال اليوم . فكيف يكون حال الذين يعيشون فيه. ^(١)

وقد جرت سنة الله وناموسه الكوني بربط أجزاء الكون ، وتسييره على نسق واحد، ونظام محكم ، والإنسان الذي هو أحد أجزاء الكون له في حياته خط خطه له الله عز وجل، فإن سلكه هداه إلى سعاده، ووافق بذلك سائر أجزاء الكون وفتحت له أبواب السماء ببركاتها، وسمحت له الأرض بكنوز خيراتها، وهذا هو الإسلام الذي هو الدين عند الله تعالى. المدعو إليه بدعوة نوح ومن بعده من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

أما إذا تخطاه الإنسان وانحرف عنه، وأعرض عن إنذارات الرسل وتحذيراتهم فقد نازع أسباب الكون وأجزاء الوجود في نظامها الجاري، وزاحمها في شؤون حياتها، وعلى هذا فليتوقع مر البلاء ولينتظر العذاب والعناء، فإن استقام في أمره وخضع لإرادة الله، وهي ما تحطمه من الأسباب العامة، فمن المرجو أن تتجدد له النعمة بعد النعمة. وإلا فهو الهلاك والفناء.

إن الذي يدور عكس دوران الفطرة التي فطر الله عليها الخلق، ويتنكص للإنذارات المتتالية التي تصله يعرض نفسه لضربات جميع أجزاء الكون، فقوم نوح خرجوا عن خط ميثاق الفطرة الذي يشهد الله بالربوبية، وأعرضوا عن دعوة نبيهم واستهزئوا بإنذاراته وأقبلوا على عبادة الأوثان والطواغيت، فاستحقوا الهلاك الشنيع في الدنيا، والعذاب المحيق بالآخرة.



النموذج الثاني / سورة القمر .. نذر متتابعة

وهذه السورة تحمل في طياتها ذكرا للعديد من الأقوام المندرين، وتتكلم عن إنذارهم ووعيد أقوامهم لهم بالعذاب والويل والثبور إن هم كذبوا رسلهم. ولنستمع إلى الإمام الشهيد سيد قطب في كتابه العظيم { في ظلال القرآن } وهو يعلق على هذه السورة:

"هذه السورة من مطلعها إلى ختامها حملة رعبية مفزعة عنيفة على قلوب المكذبين بالندر، بقدر ماهي طمأنينة عميقة وثيقة للقلوب المؤمنة المصدقة. وهي مقسمة إلى حلقات متتابعة، كل حلقة منها مشهد من مشاهد التعذيب للمكذبين، يأخذ السياق في ختامها بالحس البشري فيضغظه ويهزه ويقول له: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَكُذْرِي﴾.. ثم يرسله بعد الضغط والهز ويقول له ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

ومحتويات السورة الموضوعية واردة في سور مكية شتى. فهي مشهد من مشاهد يوم القيامة في المطلع، ومشهد من هذه المشاهد في الختام، وبينهما عرض سريع لمصارع قوم نوح. وعاد وثمود. وقوم لوط. وفرعون وملئه. وكلها موضوعات تزخر بها السور المكية في صور شتى..

ولكن هذه الموضوعات ذاتها تعرض في هذه السورة عرضا خاصا، يجيلها جديدة كل الجدة. فهي تعرض عنيفة عاصفة، وحاسمة قاصمة، يفيض منها الهول، ويتناثر حولها الرعب، ويظللها الدمار والفرع والانهار!

وأخص ما يميزها في السياق أن كلا منها يمثل حلقة عذاب رهيبه سريعة لاهثة مكروبة. يشهدها المكذبون، وكأنما يشهدون أنفسهم فيها، ويجسون إيقاعات سياطها. فإذا انتهت الحلقة وبدأوا

يستردون أنفاسهم اللاهثة المكروبة عاجلتهم حلقة جديدة أشد هولاً وروعاً.. وهكذا حتى تنتهي

الحلقات السبعة في هذا الجو المفزع الخانق".^(١)

ويحق لهذه السورة أن تسمى سورة (النذر).. فكانت البداية على النحو الآتي:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا

أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۗ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُعْنِ التُّدْرُ ۗ ﴾^(٢)

صورة مظلمة مقيتة لكفار مكة وعتاتها.. القمر يفلق أمامهم نصفين.. بناء على طلبهم.. فينعتوا

الرسول الكريم بالساحر، ويكذبوه اتباعاً لأهواءهم وأمزجتهم على الرغم من آيات الله الزاجرة،

والفاظ كتابه الحكيمة، ولكن هيهات أن يستفيد هؤلاء بكل هذه النذر والمعجزات والزواجر

لأنهم غيوا عقولهم وحكموا أهواءهم وأمزجتهم فاستحقوا الوبال والشبور يوم القيامة.

واختلف العلماء في هذه الحكمة البالغة التي كذب بها الكفار وفي حقيقة نفي تقبلهم للنذر:

فقال الإمام الطبري في تفسيره:

"وقوله ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ يعني بالحكمة البالغة هذا القرآن ورفعت الحكمة رداً على (ما) التي في

قوله ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ وتأويل الكلام ولقد جاءهم من الأنبياء النبأ الذي فيه

مزدجر حكمة بالغة ولو رفعت الحكمة على الاستئناف كان جائزاً فيكون معنى الكلام حينئذ

ولقد جاءهم من الأنبياء النبأ الذي فيه مزدجر ذلك حكمة بالغة أو هو حكمة بالغة فتكون

الحكمة كالتفسير لها".^(٣)

١- في ظلال القرآن ج ٩ - ص ٨٧

٢- سورة القمر - الآيات ١-٥

٣- جامع البيان - الطبري - ج ٢٧ ص ٨٩

وقال الشيخ الواحدي في تفسيره:

"﴿حِكْمَةٌ بِالْعَمَّةِ﴾ أي ما أتاهم من أخبار من قبلهم حكمة بالغة تامة ليس فيها نقصان أي القرآن

وذلك ان تلك الأخبار قد وردت في القرآن الكريم المتلو على مسامعهم".^(١)

وفسرها الإمام البغوي فقال:

"﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ من أخبار الأمم المكذبة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ لا

منتهي مصدر بمعنى الازدجار أي فني وعظة يقال زجرته وازدرجته إذا نهيته عن السوء وأصله

مزجر قلبت الناء دالا ﴿حِكْمَةٌ بِالْعَمَّةِ﴾ يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر ﴿فَمَا تُعْنِ

التُّدْرُ﴾ يجوز أن تكون (ما) نفيا على معنى فليست تعني النذر، ويجوز أن يكون استفهاما والمعنى

فأي شيء تعني النذر؟ إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: ﴿وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالتُّدْرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا

يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) ".^(٣)

"و(ما) في قوله فما تغن النذر جائز أن يكون استفهاما بمعنى التوبيخ فيكون المعنى: أي شيء تعني

النذر؟ وجائز أن يكون نفيا على معنى: فليست تعني النذر. قال المفسرون: والمعنى جاءهم القرآن

وهو حكمة تامة قد بلغت الغاية فما تعني النذر إذا لم يؤمنوا".^(٤)

عجيبة هي هذه السورة .. لخصت موضوع الإنذار وأركانه وغاياته وحال الناس معه في خمس

آيات، بل ووضحت أسباب جحود الناس بالنذر، وجزاء جحودهم بها.

١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - للإمام الواحدي - ج ٢ ص ١٠٤٦

٢- سورة يونس - الآية ١٠١

٣- معالم التنزيل - الإمام البغوي ج ٤ - ص ٢٥٩

٤- زاد المسير في علم التفسير - لأبي الفرج جمال الدين ابن الجوزي - ج ٨ ص ٩٠

وبعد هذه المقدمة الوافية لحال كفار مكة مع النذر ، تنتقل بنا السورة إلى الزمن الغابر في لفتة لا تخفى على ذي لب بأن الأقوام السابقة على قوتهم وصلفهم وعنادهم وتجبرهم وإنكارهم للنذر دمرهم الله، ومزقهم، وشتتهم بعذابات مختلفة. فما انتم يا كفار مكة عنهم ببيعد إذا سلكتهم طريقهم وحذوتم حذوهم. بل ما انتم يا كفار العالم عنهم ببيعد. لأن إلحاق العذاب بالمكذبين بالنذر سنة من سنن الله لا تتبدل ولا تتحول.

﴿ هود عليه السلام وقومه عاد : ﴾

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرِي ﴿١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿٢﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَارٌ نَّحَلٍ مُّنْقَعَةٍ ﴿٣﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرِي ﴿٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴿٥﴾ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٦﴾ ﴾ (١)

وهاهو المثال الثاني أيها الكفار قوم عاد أولئك العتاة الجبابرة الذين كذبوا رسولهم و آذوه فكيف كان عذاب الله لهم؟

فلنستمع للإمام الطبري في تفسيره:

"يقول تعالى ذكره كذبت أيضا عاد نبيهم هودا ﴿١﴾ فيما أتاهم به عن الله كالذي كذبت قوم نوح وكالذي كذبتهم معشر قريش نبيكم محمدا ﴿٢﴾ وعلى جميع رسله ﴿٣﴾ فكيف كان عذابي ونذيري ﴿٤﴾ يقول فانظروا معشر كفرة قريش بالله كيف كان عذابي إياهم وعقابي لهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسوله هودا وإنذاري بفعلي بهم ما فعلت من سلك طرائقهم وكانوا على مثل ما كانوا عليه من التمادي في الغي والضلالة وقوله ﴿٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا { يقول تعالى ذكره إنا بعثنا على عاد إذ تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله ريحا صرصرًا وهي الشديدة العصفوف في برد التي لصوتها صرير وهي مأخوذة من شدة صوت هبوبها إذا سمع فيها كهينة قول القائل صر فقيل

منه صرصر ، وقال كأنهم أعجاز نخل ومعنى الكلام فيتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعر فترك ذكر فيتركهم استغناء بدلالة الكلام عليه وقيل إنما شبههم بأعجاز نخل منقعر لأن رؤوسهم كانت تبين من أجسامهم فتذهب لذلك رقابهم وتبقى أجسادهم" (١).

❖ صالح عليه السلام وقومه ثمود :

ثم تمضي بنا السورة إلى المشهد التالي في السياق وفي التاريخ:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالثُّدْرِ ﴿١﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا تَبِعُهُ إِيَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٣﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٤﴾ إِيَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَبَهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٥﴾ وَتَبَّيْهُمُ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٦﴾ فَنَادَوْا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَفَقَرَ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴿٨﴾ إِيَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ يَسْرَنَا الْفَرَّانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٠﴾﴾ (٢)

وأرجع إلى الإمام الشهيد سيد قطب فهو خير من يحدثنا عن هذا الجانب :

"وتمود هي القبيلة التي خلفت عاد في القوة والتمكين في جزيرة العرب.. كانت عاد في الجنوب وكانت ثمود في الشمال، وكذبت ثمود بالنذر كما كذبت عاد، غير معتبرة بمصرعها المشهور المعلوم في أنحاء الجزيرة العربية.

﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا تَبِعُهُ إِيَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢﴾﴾

وهي الشبهة المكرورة التي تحيك في صدور المكذبين جيلا بعد جيل، إنما الكبرياء الجوفاء التي لا تنظر إلى حقيقة الدعوة، إنما تنظر إلى شخصية الداعية.

١- جامع البيان - الطبري - ج ٢٧ ص ٩٧

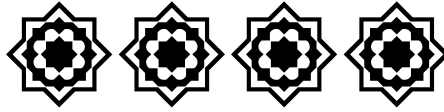
٢- سورة القمر - الآيات ٢٤-٣١

وماذا في أن يختار الله واحدا من عباده..والله أعلم حيث يجعل رسالته.. فيلقي عليه الوحي وما يحمله من توجيهات للتذكر والتدبر- ماذا في هذا الاختيار لعبد من عباده يعلم منه تميؤه واستعداده وهو خالق الخلق. وهو منزل الذكر؟ إنها شبهة واهية لا تقوم إلا في النفوس المنحرفة. النفوس التي لا تريد أن تنظر في الدعوة لترى مافيها من الحق والصدق، ولكن إلى الداعية فتستكبر عن اتباع فرد من البشر، مخافة أن يكون في اتباعها له إيثار وله تعظيم، وهي تستكبر عن الإذعان والتسليم.

إلى أن يصل إلى موضوعنا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَكُثْرٍ﴾ فيقول:

وهو سؤال التعجيب والتهويل. قبل ذكر ما حل من العذاب بعد النذير).^(١)

وهكذا نجد أن هذه السورة قد احتوت على خطوات الإنذار العملية للرسول مع أقوامهم، وسجلت ردود فعل أقوامهم، بصورة حية تبعث في نفس الداعية الأول نبينا محمد ﷺ التسلية وتعطي الدعاة من بعده مزيد الثقة بنصر الله، وتدهم على الطريق السليم للدعوة والإنذار.



المطلب الثاني : طبيعة الإنذارات في ضوء القرآن الكريم

يقف العالم اليوم في منعطف خطير، لما وصل إليه الكفر من عنجهية واستكبار وكفر بالله الواحد القهار، وخطير لما وصل إليه حال المسلمين اليوم من ذلة وفرقة واختلاف.

والناظر في هذا المآل يبحث عن السبب والمخرج، ما الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه من ضروب الذلة؟ وما هو مصير الأمة الكافرة الباغية المتجبرة؟ وهل هي أشد على الله من الأمم التي أهلكتها؟ ومتى يصيبها ما أصاب السابقين؟

في هذه السطور نقف مع أمثلة لإنذارات القرآن للمكذبين والطغاة، وصور العذاب الأليم الذي أنزله الله بهم، ليكون لنا في هذه الوقفة صرخة نذير أن يصيبنا ما أصابهم، وبشارة بشير بقرب هلاك الكفر والطغيان ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١).

أولاً: الإنذار بالصاعقة

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(٢)

قال بعض أهل اللغة : الصاعقة على ثلاثة أوجه :

- ١ - الموت كقوله ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) وقوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ﴾^(٣)
- ٢ - والعذاب كقوله : ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(٤)
- ٣ - والنار كقوله : ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥) .

١-سورة الأعراف- الآية ٣٤

٢- سورة الزمر- الآية ٦٨

٣- سورة النساء- الآية ١٥٣

٤- سورة فصلت- الآية ١٣

٥- سورة الرعد- الآية ١٣

وهذه أشياء حاصلة من الصاعقة فإن الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو ثم يكون منها نار

فقط أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الأشياء تأثيرات منها. ^(١)

"وأصل ﴿الصَّاعِقَةُ﴾ كل أمر هائل رآه المرء أو عينه أو أصابه حتى يصير من هولته وعظيم شأنه

إلى هلاك وعطب وإلى ذهاب عقل وغمور فهم أو فقد بعض آلات الجسم صوتا كان ذلك أو

نارا أو زلزلة أو رجفا ومما يدل على أنه قد يكون مصعوقا وهو حي غير ميت قول الله عز وجل :

﴿وَحَرَّ مَوْسَىٰ صَعِقًا﴾ ^(٢) يعني : مغشيا عليه .

وقد جاء إنذار الله عز وجل لكفار قريش من مغبة تكذيبهم للرسول الكريم ، ومن عاقبة صلفهم

وتعنتهم على آيات الكتاب الحكيم ، فأمر الرسول الكريم أن يحذرهم من صاعقة كصاعقة عاد

وثمود فقال تعالى ذكره: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ^(٣)

أي فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التي يبينها لهم يا محمد ونهتهم عليها فلم يؤمنوا

بها ولم يقروا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره فقل لهم : أنذرتكم أيها الناس صاعقة

تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود". ^(٤)

ولهذه الآية سبب نزول كما ذكره غير واحد من المفسرين:

"فروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : اجتمعت قريش يوما فأتاه عتبة بن ربيعة بن

عبد شمس فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرغت ؟ قال : نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ بسم الله الرحمن الرحيم } { حم * تنزيل الكتاب } حتى بلغ { فإن أعرضوا فقل أنذرتكم

١ - انظر: مفردات ألفاظ القرآن - للراغب الأصفهاني - ج ١ ص ٨٣٣

٢ - سورة الأعراف - الآية ١٤٣

٣ - سورة فصلت - الآية ١٣

٤ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد ابن جرير الطبري - ج ١١ ص ٩٣

صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود { فقال له عتبة : حسبك حسبك ما عندك غير هذا قال : لا فرجع عتبة إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا قد كلمته قالوا فهل أجابك ؟ قال : نعم لا و الذي نصيها بنبيه ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود قالوا : و بلك يكلمك رجل بالعربية و لا تدري ما قال قال : لا و الله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة" (١) . (٢)

وهذا يدل على عظم وقع الكلمة وتأثير الإنذار الشديد على نفوس العرب حتى أن عتبة قفز مسكاً بفيه الرسول ﷺ وكأنه يرى صاعقة العذاب أمام ناظريه.

"وقال محمد بن علي الباقر : الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر ، وقد أصابت الصاعقة بعض العتاة من كفار قريش وذلك كأربد بن ربيعة حيث قال للنبي ﷺ مم ربك أمن در أم من ياقوت أم من ذهب ؟ فترلت صاعقة من السماء فأحرقته" . (٣)

إذن فصاعقة العذاب ليست حكراً بقوم عاد أو ثمود، بل هي عذاب إلهي واقع بكل جبار عبيد، واستناداً إلى المعنى اللغوي فهي قد تكون ناراً من السماء، وقد تكون طوفاناً مروعاً، أو خسفاً مهولاً، أو طاعوناً مهلكاً، وليس شرطاً موت الإنسان المصاب بالصاعقة، بل إنه في بعض الأحيان بقائه حياً مع معاينته للعذاب أبلغ وأنكى، والله أعلم.

ثانياً : الإنذار بالعذاب القريب

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾

"قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ : إنا أنذرناكم أي بما ذكر في سورة النبأ من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي أو بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن.

١- المستدرک علی الصحیحین - للحاکم النیسابوری - کتاب التفسیر - باب قراءات النبی ﷺ - ح ٣٠٠٢ - ج ٢ ص ٢٧٨

وقال الذهبي في التلخيص: صحيح

٢ - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ٩ ص ٢٥١

٣ - الحقيقة الشرعية في تفسير ألفاظ القرآن العظيم - السنة النبوية - محمد بن عمر بازمول - ج ٢ ص ٨٠

(عذابا قريبا) هو عذاب الآخرة وقربه لتحقيق إتيانه حتما ولأنه قريب بالنسبة إليه تعالى وإن رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لأنه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر.

فالخطاب هنا لكفار قريش ومشركي العرب لأنهم قالوا : لا نبعث والعذاب عذاب الآخرة وكل ما هو آت فهو قريب وقد قال تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾^(١) قال معناه الكلبي وغيره .

وقال قتادة : عقوبة الدنيا لأنها أقرب العذابين قال مقاتل : هي قتل قريش ببدر والأظهر انه عذاب الآخرة وهو الموت والقيامة لأن من مات فقد قامت قيامته فإن كان من أهل الجنة رأى مقعده من الجنة وإن كان من أهل النار رأى الخزي والهوان ولهذا قال تعالى : { يوم ينظر المرء ما قدمت يدها }^(٢) بين وقت ذلك العذاب أي أنذرناكم عذابا قريبا في ذلك اليوم وهو يوم ينظر المرء ما قدمت يدها أي يراه قيل : ينظر إلى ما قدمت فحذف إلى والمرء ها هنا المؤمن في قول الحسن أي يجد لنفسه عملا فأما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى أن يكون ترابا ولما قال : { ويقول الكافر { علم أنه أراد (المرء) الإنسان المؤمن.

وقيل : (المرء) ها هنا : أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط (ويقول الكافر) أبو جهل.

وقيل : هو عام في كل أحد وإنسان يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب".^(٣)

وقال مقاتل : يجمع الله الوحوش والهوام والطيور فيقضي بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم : أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين إياهم أيام حياتكم فارجعوا إلى الذي

١ - سورة النازعات - الآية ٤٦

٢ - سورة النبأ - الآية ٤٠

٣ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ١٩ ص ١٦٥

كنتم كونوا ترابا فإذا التفت الكافر إلى شيء صار ترابا يتمنى فيقول : يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير وكنت اليوم ترابا.

وقيل : إن الكافر ها هنا إبليس وذلك أنه عاب آدم أنه خلق من التراب وافتخر بخلقه من النار فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال : يا ليتني كنت ترابا قال أبو هريرة فيقول التراب: لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي؟^(١)

وهنا تظهر بوضوح القاعدة الربانية "الجزاء من جنس العمل" فالكافر المتجبر والمتعالي على خلق الله، والمغتر بنفسه، أو جنسه، أو خلقته، سيتمنى عند رؤيته للعذاب الأخروي - الذي لاشك أنه سيكون قريبا- لو أنه كان كلباً أو خنزيراً، أو حيواناً حتى يفنى ويذوب ولا يصيبه العذاب الشديد، بل إنه يتمنى أن يعود تراباً، فيتذكر عندها أصل خلقه ويتندم على كبره وصلفه يوم لا ينفع الندم.

ثالثاً: الإنذار بالبطشة

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ إِذَا أُرْسِلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِينَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن صَٰغِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَكُذِّرِ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٤﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَكُذِّرِ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٦﴾﴾

"البطش : هو تناول الشيء بصولة قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ ﴾^(٣) وقال تعالى ﴿يَوْمَ نَبِّطِشُ الْبَطِشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾^(٤) وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِينَ ﴾^(١) وقال أيضا ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾^(٢) . يقال : يد باطشة أي تضرب بقوة"^(٣).

١ - انظر: معالم التنزيل - للإمام البغوي - ج ١ ص ٣١٨

٢ - سورة القمر - الآيات ٣٣-٣٨

٣ - سورة الشعراء - الآية ١٣٠

٤ - سورة الدخان - الآية ١٦

يقول تعالى مخبراً عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبعت بحجارة من سجيل منضود ولهذا قال ههنا : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ وهي الحجارة ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ أي خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالماً لم يمسه سوء ولهذا قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ وَلَقَدْ أُنذِرْتَهُمْ بِطُغْيَانِهِ ﴾ أي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أُنذِرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه بل شكوا فيه وتمازوا به. (٤)

وحق لعذاب قوم لوط عليه السلام أن يطلق عليه البطشة، فروي عن النبي ﷺ أنه قال : {بعث الله جبريل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التي كان لوط فيهم فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعوا نباح كلابها وأصوات دجاجها ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله بالحجارة يقول تعالى : ﴿ جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ (٥) فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات وكن خمس قريات صنعة و صعوة و عشرة دوما و سدوم — و سدوم هي القرية العظمى — ونجى الله لوطاً ومن معه من أهله إلا امرأته كانت فيمن هلك { (٦) .

١- سورة القمر - الآية ٣٦

٢- سورة البروج - الآية ١٢

٣- مفردات ألفاظ القرآن - الأصفهاني - ج ١ ص ١٢٥

٤- انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٤ ص ٣٣٩

٥- سورة هود - الآية ٨٢

٦- المستدرک علی الصحیحین - للحاکم النیسابوری ح ٤٠٩٥ - ج ٢ ص ٦١٣ وعلق الذهبي: صحيح على شرط مسلم

وحتى لا يظن كفار هذا الزمان، والعتاة المكذبين بالنذر من أمة الحبيب ﷺ بأنهم بمفازة من بطشة الحى القيوم، لنستمع لأبي أمامة رضي الله عنه في الحديث الصحيح الذي يرويه عن النبي ﷺ أنه قال : {بييت قوم من هذه الأمة على طعام و شراب و هو فيصبحون قد مسخوا خنازير و ليخسفن بقبائل فيها و في دور فيها حتى يصبحوا فيقولوا خسف الليلة بني فلان خسف الليلة بدار بني فلان و أرسلت عليهم حصاء حجارة كما أرسلت حجارة كما أرسلت على قوم لوط و أرسلت عليهم الريح العقيم فتسفههم كما نسفت من كان قبلهم بشرهم الخمر و أكلهم الربا و لبسهم الحرير و اتخاذهم القينات و قطيعتهم الرحم قال : و ذكر خصلة أخرى فنسيتها}

رابعاً: الإنذار بالبأس الشديد

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُونَهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ (٢)

"البؤس والبأس والبأساء : الشدة والمكروه إلا أن البؤس في الفقر والحرب أكثر والبأس والبأساء

في النكاية نحو : ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ (٣) ﴿فَلَاخَذْنَاَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (٤) وقال

١- المستدرک علی الصحیحین - للحاکم النیسابوری ح ٨٥٧٢ - ج ٤ ص ٥٦٠ وعلق الذهبي: صحيح على شرط مسلم

٢- سورة الكهف- الآية ١-٥

٣- سورة النساء - الآية ٨٤

٤- سورة الأنعام - الآية ٤٢

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحَيْثُ الْبَأْسِ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾^(٢) وقد يؤس
 يبؤس و ﴿عذاب بييس﴾^(٣) فعيل من البأس أو من البؤس ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾^(٤) أي : لا تلزم البؤس ولا
 تحزن وفي الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة يجب أن يرى أثر النعمة عليه ويكره البؤس والتبؤس
 ويبغض السائل الملحف ويجب الحبي العنيف المتعفف^(٥) أي : الضراعة للفقير أو أن يجعل نفسه
 ذليلا ويتكلف ذلك جميعا^(٦)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الله تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها فإنه المحمود على كل حال
 وله الحمد في الأولى والآخرة ولهذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد
 صلوات الله وسلامه عليه فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من
 الظلمات إلى النور حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ بل يهدي إلى صراط
 مستقيم واضحا بينا جليا نذيرا للكافرين بشيرا للمؤمنين ولهذا قال : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أي لم
 يجعل فيه اعوجاجا ولا ميلا بل جعله معتدلا مستقيما ولهذا قال : ﴿قِيَمًا﴾ أي مستقيما

﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بأسا شديدا عقوبة عاجلة في الدنيا
 وآجلة في الآخرة، وقيل هو بأس الحجاب والبعد عن الجناب وذلك أشد العذاب ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ

عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(١)

١ - سورة البقرة - الآية ١٧٧

٢ - سورة الحشر - الآية ١٤

٣ - سورة الأعراف - الآية ١٦٥

٤ - سورة هود - الآية ٣٦

٥ - شعب الإيمان - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - باب في الملابس والزي والأواني وما يكره منها - فصل فيمن كان متوسعا

ثوبا حسنا ليرى أثر نعمة الله عليه - ح ٦٢٠١ - ج ٥ ص ١٦٣

٦ - مفردات ألفاظ القرآن - للراغب الأصفهاني - ج ١ ص ١٦٥

" **﴿مِن لَّدُنْهُ﴾** أي من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد **﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح **﴿أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾** أي مشوبة عند الله جميلة وجنة الخلد الهانئة **﴿مَا كَثُرَ فِيهِ﴾** في ثوابهم عند الله وهو الجنة خالدين فيه **﴿أَبَدًا﴾** دائما لا زوال له ولا انقضاء.

ونكتة تغيير الأسلوب حيث لم يعطف جزاء الكافرين على جزاء المؤمنين فيقال : ويجزى الذين كفروا بعذاب الخ كما في قوله **﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** هو الإشارة إلى الاهتمام بجزاء المؤمنين الصالحين وأنه الذي يبادر بالإعلام به وأن جزاء الكافرين جدير بالإعراض عن ذكره لولا سؤال السامعين". (٢)

وليس أدل ولا أوضح من البأس والضنك الذي يجياه كفار اليوم، فهم على ما هم فيه من رغد في العيش، وزخرف الدنيا يحيون حياة الخوف وانعدام الأمان، من جرائم قتل واغتصاب، وسطو مسلح وغيرها، إضافة للأمراض النفسية وحالات الانتحار، وهذا بالفعل العذاب البئيس الدنيوي، هذا عدا عما ينتظرهم من عذاب شديد يوم القيامة.

خامساً: الإنذار بلقاء يوم القيامة

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (٣)
﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ "أي : يوم القيامة وتخصيصه بذلك لالتقاء من تقدم ومن تأخر والتقاء أهل السماء والأرض وملاقة كل أحد بعمله الذي قدمه ويقال : لقي فلان خيرا وشرا". (٤)

١ - انظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني - لشهاب الدين الألوسي - ج ١٥ ص ٢٥٨

٢ - تفسير التحرير والتنوير - للعلامة الطاهر بن عاشور التونسي - ج ١ ص ١٩٣٦

٣ - سورة غفر - الآية ١٥

٤ - مفردات ألفاظ القرآن - للراغب الأصفهاني - ج ١ ص ١٣١٥

وقوله { لينذر يوم التلاق } يقول : لينذر من يلقي الروح عليه من عباده من أمر الله بإنذاره من خلقه عذاب

يوم يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض وهو يوم التلاق وذلك يوم القيامة".^(١)

هذا ويجمع الإمام ابن كثير في تفسيره بين جميع هذه المعاني للالتقاء فيقول:

"قال عز وجل : { لينذر يوم التلاق } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يوم التلاق اسم من

أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده، وقال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما: يلتقي فيه

آدم وآخر ولده، وقال ابن زيد: يلتقي فيه العباد، وقال قتادة والسدي وبلال بن سعد وسفيان

بن عيينة: يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والخالق والخلق، وقال ميمون بن مهران: يلتقي

الظالم والمظلوم، وقد يقال إن يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيلقى ما عمله من

خير وشر كما قاله آخرون".^(٢)

واللقاء في هذه الآية استعارة تمثيلية : شبهت حالة الخلق عند المصير إلى تنفيذ وعد الله ووعيده

بجالة العبيد عند حضور سيدهم بعد غيبة ليجزيهم على ما فعلوه في مدة المغيب . وشاع هذا

التمثيل في القرآن وكلام الرسول ﷺ كما قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)^(٣) .^(٤)

فالتاب إذن أن يوم التلاق هو يوم القيامة، والاختلاف في سبب التسمية على أقوال خمسة:

أحدها: أنه يلتقي فيه أهل السماء والأرض.

والثاني: يلتقي فيه الأولون والآخرون.

والثالث: يلتقي فيه الخلق والخالق.

والرابع: يلتقي المظلوم والظالم.

والخامس: يلتقي المرء بعمله.

١- جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر ابن جرير الطبري - ج ١١ ص ٤٦

٢- تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء عماد الدين ابن كثير - ج ٤ ص ٩٥

٣- صحيح البخاري - كتاب الرقائق - باب صفة الجنة والنار - ح ٦١٤٢ - ج ٥ ص ٢٣٨٦

٤- انظر: تفسير التحرير والتنوير - للعلامة الطاهر بن عاشور التونسي - ج ١ ص ١٢٧٣

وهذا لا يمنع أن الآية تحتمل هذه المعاني كلها، فيوم القيامة يتزل أهل السماء فيلتقون بأهل الأرض، ويتقابل فيه الأولون والآخرون، ويحاسب الخالق عز وجل فيه خلقه ويقابلهم، ويقتص الله عز وجل في هذا اليوم للمظلوم من ظالمه، ويرى كل إنسان فيه ما عمل وقدم في الحياة الدنيا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

سادساً: الإنذار بكلمة التوحيد ((لا إله إلا الله))

﴿أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(١)

"لقد أحاطت جملة { أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون } بالشرعية كلها.

لأن جملة { أنه لا إله إلا أنا } تنبيه على ما يرجع من الشرعية إلى إصلاح الاعتقاد وهو الأمر

بكمال القوة العقلية.

فتأويل الكلام : يتزل الله ملائكته بما يحيا به الحق ويضحمل به الباطل { من أمره على من يشاء

من عباده } يعني على من يشاء من رسله { أن أنذروا } فإن الأولى في موضع خفض ردا على

الروح والثانية في موضع نصب بأنذروا ومعنى الكلام : يتزل الملائكة بالروح من أمره على من

يشاء من عباده بأن أنذروا عبادي سطوتي على كفرهم بي وإشراكهم في اتخاذهم معي الآلهة

والأوثان فإنه لا إله إلا أنا يقول : لا تنبغي الألوهة إلا لي ولا يصلح أن يعبد شيء سواي {

فاتقون } : يقول : فاحذروني بأداء فرائضي وإفراد العبادة وإخلاص الربوبية لي فإن ذلك نجاتكم

من الهلكة".^(٢)

١- سورة النحل - الآيتين ١، ٢

٢- جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر ابن جرير الطبري - ج ٧ ص ٥٥٧

وبنحو ذلك يفسر الآيتين الإمام البيضاوي فيقول:

" { ينزل الملائكة بالروح } بالوحي أو القرآن فإنه يجي به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك إشارة إلى الطريق الذي به علم الرسول ﷺ ما تحقق موعدهم به ودنوه وإزاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير و أبو عمرو { ينزل } من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تنزل وقرأ أبو بكر تنزل على المضارع المبين للمفعول من التنزيل { من أمره } بأمره أو من أجله { على من يشاء من عباده } أن يتخذة رسولا { أن أذروا } بأن أذروا أي اعلموا من نذرت بكذا إذا علمته { أنه لا إله إلا أنا فاتقون } أن الشأن { لا إله إلا أنا فاتقون } أو خوفوا أهل الكفر والمعاصي بأنه { لا إله إلا أنا } وقوله { فاتقون } رجوع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود و { أن } مفسرة لأن الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب يترع الخافض أو مخففة من الثقيلة والآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وأن حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كما القوة العملية وأن النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان اله شريكك لقدر على ذلك فيلزم التمانع".^(١)

أما الإمام ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير في علم التفسير) فقد أورد سبب لتزول الآيتين:
 "سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: { اقتربت الساعة }^(٢) فقال الكفار بعضهم لبعض إن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر فلما رأوا أنه لا يترز

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - عبدالله الشيرازي البيضاوي - ج ١ ص ٣٨٤

٢- سورة القمر - الآية ١

شيء قالوا ما نرى شيئاً فأنزل الله تعالى: {اقترب للناس حسابهم} ^(١) فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى: {أتى أمر الله} فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رؤوسهم فتزل: {فلا تستعجلوه} فاطمأنوا قاله ابن عباس". ^(٢)

"ولما كان معظم أغراض هذه السورة زجر المشركين عن الإشراف وتوابعه وإنذارهم بسوء عاقبة ذلك وكان قد تكرر وعيدهم من قبل في آيات كثيرة بيوم يكون الفارق بين الحق والباطل فتزول فيه شوكتهم وتذهب شدتهم، وكانوا قد استبطأوا ذلك اليوم حتى اطمأنوا أنه غير واقع، فصاروا يهزأون بالنبي ﷺ والمسلمين فيستعجلون حلول ذلك اليوم صدرت السورة بالوعيد المصوغ في صورة الخبر بأن قد حل ذلك المتوعد به، فجيء بالماضي المراد به المستقبل الخقق الوقوع بقريضة تفرغ (فلا تستعجلوه) لأن النهي عن استعجال حلول ذلك اليوم يقتضي أنه لما يحل بعد... ولما كان استعجال الكفار بالعذاب استهزاء بالرسول ﷺ وتكذيبه، وكان ناشئاً عن عقيدة الإشراف التي من أصولها استحالة إرسال الرسل من البشر.

وأبع تحقيق مجيء العذاب بتزيه الله عن الشريك ففي ذلك بتبرئة الرسول ﷺ من الكذب فيما يبلغه عن ربه ووصف لهم الإرسال وصفا موجزا . وهذا اعتراض في أثناء الاستدلال على التوحيد...". ^(٣)

١- سورة الأنبياء- الآية ١

٢- زاد المسير في علم التفسير - أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي - ج ٤ ص ٤٢٦

٣- تفسير التحرير والتنوير - للعلامة الطاهر بن عاشور التونسي - ج ١ ص ٢٣٢٤

البحث الثاني

إنذار الرسول ﷺ للناس

بين يدي البحث ❁

المطلب الأول : الإنذار بالقرآن الكريم ❁

المطلب الثاني : الإنذار بالدعوة إلى الله والتبليغ ❁

المطلب الثالث : الإنذار بيوم القيامة ❁

المطلب الرابع : الإنذار بالنار ❁

بين يدي البحث :

بُعِثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهو يضع في حسابه أن دعوته ستجابه بالرفض والتحدّي دون أدنى شكّ ، فعرب الجاهلية تشرّبت قلوبهم بعبادة الأوثان ، ورسول الله ﷺ تشغله هموم التبليغ ، وخاصة أنّه كان يتمنّى أن يسارع في الاستجابة له أهله وعشيرته ، وكلُّ من يتّصل به بنسب أو سبب ، لأنّهم آله وعشيرته الذين يشكّلون قوة مكينة ، لمكانتهم المرموقة في داخل مكّة وخارجها ، فسيعود عليه إسلامهم بالنصر حتماً ، فيصبح مرهوب الجانب وفي منعة من الأعداء الألداء ، وهذه وسيلة متينة لتثبيت دعائم دعوته .

ومع كلّ تمنياته تلك كان يخشى أيضاً أن يرفضوا دعوته إذا دعاهم لدين التوحيد ، فينضمّوا إلى غيرهم من الأعداء والمكذّبين والمستهزئين ببعثته صلوات الله وسلامه عليه ..

في تلك اللحظات الحاسمة دوى صوت جبرئيل ليماً أذني النبي بالندارة ، مبلغاً عن الله عزّ اسمه قوله : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(١) . ألقاها على عاتقه الشريف ، وليس له مناصر ومعين غير نفر قليل مستخفين بإيمانهم ، وكان هذا الحدث بعد مبعثه الشريف بثلاث سنين .

قال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم : « لما أنزل الله على رسوله (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) اشتدّ ذلك عليه وضاق به ذرعاً ، فجلس في بيته كالمريض ، فأتته عمّاته يعدّنه ، فقال : « ما اشتكيتُ شيئاً ، ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين » ^(٢) ..

بعد ذلك عزم رسول الله ﷺ امتثالاً لأوامر الله تعالى على إنذار آله وعشيرته ودعوتهم إلى الله ، فجمع بني عبدالمطلب في دار أبي طالب ، وكانوا أربعين رجلاً — يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً

١-سورة الشعراء-الآيات ٢١٤-٢١٥-٢١٦

٢- الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة- محمد تقي الدين الهلالي- ص ٣

— وكان قد قال لعلي عليه السلام : « اصنع لي صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملاً لنا عساً من لبن » ، قال علي عليه السلام وهو ينقل هذا الحديث واصفاً قومه : « وإن منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق » ، وأراد عليه السلام بإعداد قليل من الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية لهم في شعهم وريهم.

فقال ﷺ : « رأيتم لو أخبرتم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ » قالوا : بلى ، أنت عندنا غير متهم ، وما جرّبنا عليك كذباً ، فقال : « أني نذير لكم من بين يدي عذاب شديد » فقطع كلامه عمه أبو هب ، وقال : تبا لك ! ألهذا جمعنا ؟! ثم عاد فجمعهم ثانية ، فأعاد أبو هب مثل قولته الأولى ، فتفرقوا ، فأنزل الله تعالى عليه (تبت يدا أبي هب وتب) الى آخر السورة المباركة. ^(١)

وإذا علمنا أن الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم أول ما بدئ به موضوع الإنذار ، فالالفت للنظر أنه كذلك —أي الإنذار— هو آخر ما وصى به أمته ، وذلك فيما رواه عنه الإمام ابن مسعود رضي الله عنه، ونقله إلينا كل من البزار والطبراني في الأوسط والدارقطني وابن أبي الدنيا:

قال ابن مسعود: "دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق. فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال: مرحبا بكم! حياكم الله! آواكم الله! نصركم الله! وأوصيكم بتقوى الله. وأوصي بكم الله، إني لكم منه نذير مبين، ألا تعلقوا على الله في بلاده وعباده. وقد دنا المُنْقَلَبُ والمَرْجِعُ إلى الله، وإلى سِدْرَةِ المنتهى، وإلى جنة المأوى، وإلى الكأس الأوفى. فاقرأوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي السلام ورحمة الله". ^(٢)

١- انظر: دلائل النبوة- لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي- ص ٣٤

٢- السنن- لعلي بن عمر الدارقطني - ج ٢ ص ٧٧

المطلب الأول : الإنذار بالقرآن الكريم

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْتَكُمْ لَنَتَّشَهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللّٰهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾^(١)

قال أبو جعفر الطبري في تفسيره : "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل هؤلاء المشركين الذين يكذبونك : { الله شهيد بيني وبينكم } { وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به } عقابه وأنذر به من بلغه من سائر الناس غيركم إن لم ينته إلى العمل بما فيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والإيمان بجميعة نزول نعمة الله به.

عن قتادة في قوله : { لأنذركم به ومن بلغ } أن النبي ﷺ قال : بلغوا عن الله فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أي الله.^(٢)

وقال ابن زيد في قوله : { وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ } قال يقول : من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره وقرأ : { يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا }^(٣) قال : فمن بلغه القرآن فرسول الله ﷺ نذيره

فمعنى هذا الكلام : لأنذركم بالقرآن أيها المشركون وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم. قال مقاتل : من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له وقال محمد بن كعب القرظي : من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا ﷺ وسمع منه.^(٤)

١- سورة الأنعام- الآية ١٩

٢- مصنف عبدالرازق - كتاب فضائل القرآن - باب تعليم القرآن وفضله - ج ١ ص ٨٥

٣- سورة الأعراف- الآية ١٥٨

٤- جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر ابن جرير الطبري - ج ٥ ص ١٦١

"روي أن قريشا قالوا لرسول الله ﷺ : يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله فترلت، فأيُّ: مبتدأ، و أَكْبَرُ: خبره وشهادة: نصب على التمييز، وقوله تعالى: قُلِ اللَّهُ أَمْرٌ لَهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْجُؤَابَ بِنَفْسِهِ، إِمَّا لِلإِيدَانِ بَتَعِينِهِ وَعَدَمِ قَدْرَتِهِمْ عَلَيَّ أَنْ يَجْبِيُوا بغيره، أو لأنهم ربما يتلعثمون فيه لا لترددهم في أنه أكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا ، قوله تعالى شهيد خبر مبتدأ محذوف أي هو شهيد بيبي وبينكم ، وَأَوْحَى إِلَيَّ أَيَّ مِنْ جِهَتِهِ تَعَالَى هَذَا الْقُرْآنَ الشَّاهِدَ بِصِحَّةِ رِسَالَتِي لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ، واقتصر على ذكر الإنذار لما أن الكلام مع الكفرة، وَمَنْ بَلَغَ عَطْفَ عَلَيَّ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ، أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر، أو من الثقلين، أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن سيوجد إلى يوم القيامة، وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة". (١)

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٢﴾

"هو الذي أنزل إليك يا محمد هذا الكتاب مباركا مصدقا كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله. وأما قوله : { ولتنذر أم القرى ومن حولها } فإنه يقول : أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب مصدقا ما قبله من الكتب ولتنذر به عذاب الله وبأسه من في أم القرى وهي مكة { ومن حولها } شرقا وغربا من العادلين برهم غيره من الآلهة والأنداد والجاحدين برسله وغيرهم من أصناف الكفار.

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - ج ٣ ص ١١٨

٢- سورة الأنعام - الآية ٩٢

ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد في الآخرة إلى الله وبصدق بالثواب والعقاب، فإنه يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد، وبصدق به ويقر بأن الله أنزله، ويحافظ على الصلوات المكتوبات التي أمره الله بإقامتها، لأنه منذر من بلغه وعيد الله على الكفر به وعلى معاصيه وإنما يجحد به وبما فيه ويكذب أهل التكذيب بالمعاد والجحود لقيام الساعة لأنه لا يرجو من الله إن عمل بما فيه ثوابا ولا يخاف إن لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقابا".^(١)

والإشارة إلى القرآن لأن المحاولة في شأنه من ادعائهم نفي نزوله من عند الله ومن تبيكيتهم بإنزال التوراة يجعل القرآن كالحاضر المشاهد فأتي باسم الإشارة لزيادة تمييزه تقوية لحضوره في الأذهان وافتتاح الكلام باسم الإشارة المفيد تمييز الكتاب أكمل تمييز وبناء فعل (أنزلنا) على خبر اسم الإشارة وهو (كتاب) الذي هو عينه في المعنى لإفادة التقوية كأنه قيل : وهذا أنزلناه.

وجعل (كتاب) الذي حقه أن يكون مفعول (أنزلنا) مسندا إليه ونصب فعل (أنزلنا) لضميره لإفادة تحقيق إنزاله بالتعبير عنه مرتين وذلك كله للتبويه بشأن هذا الكتاب.

وجملة (أنزلناه) يجوز أن تكون حالا من اسم الإشارة أو معترضة بينه وبين خبره . و (مبارك) خبر ثان . والمبارك اسم مفعول من باركه وبارك عليه وبارك فيه وبارك له إذا جعل له البركة . والبركة كثرة الخير ونماؤه يقال : باركه . قال تعالى (أن بورك من في النار ومن حولها) ويقال : بارك فيه قال تعالى (وبارك فيها) . ولعل قولهم (بارك فيه) إنما يتعلق به ما كانت البركة حاصلة للغير في زمنه أو مكانه وأما (باركه) فيتعلق به ما كانت البركة صفة له و (بارك عليه) جعل البركة متمكنة منه (وبارك له) جعل أشياء مباركة لأجله أي بارك فيما له.

والقرآن مبارك لأنه يدل على الخير العظيم فالبركة كائنة به فكأن البركة جعلت في ألفاظه ولأن الله تعالى قد أودع فيه بركة لقارئه المشتغل به بركة في الدنيا وفي الآخرة ولأنه مشتمل على ما في العمل به كمال النفس وطهارتها بالمعارف النظرية ثم العملية . فكانت البركة ملازمة لقراءته وفهومه . قال فخر الدين قد جرت سنه الله تعالى بأن الباحث عنه " أي عن هذا الكتاب " المتمسك به يحصل له عز الدنيا وسعادة الآخرة . وأنا قد نقلت أنواعا من العلوم النقلية والعقلية فلم يحصل لي بسبب شيء من العلوم من أنواع السعادات في الدنيا مثل ما حصل لي بسبب خدمة هذا العلم " يعني التفسير "

والمراد ب (الذي بين يديه) ما تقدمه من كتب الانبياء وأخصها التوراة والإنجيل والزبور لأنها آخر ما تداوله الناس من الكتب المتزلة على الانبياء وهو مصدق الكتب النازلة قبل هذه الثلاثة وهي صحف إبراهيم وموسى .

ومعنى كون القرآن مصدقها من وجهين أحدهما أن في هذه الكتب الوعد بمجيء الرسول المقفى على نبوءة أصحاب تلك الكتب فمجيء القرآن قد أظهر صدق ما وعدت به تلك الكتب ودل على أنها من عند الله .

وثانيهما أن القرآن مصدق أنبيائها وصدقها وذكر نورها وهداها وجاء بما جاءت به من أصول الدين والشريعة . ثم إن ما جاء به من الأحكام التي لم تكن ثابتة فيها لا يخالفها . وأما ما جاء به من الأحكام المخالفة للأحكام المذكورة فيها من فروع الشريعة فذلك قد يبين فيه أنه لأجل اختلاف المصالح أو لأن الله أراد التيسير بهذه الأمة .

ومعنى (بين يديه) ما سبقه . وقد تقدم بيانه عند قوله تعالى (فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه) في سورة البقرة وعند قوله (ومصدقا لما بين يدي من التوراة) في سورة آل عمران .

وأما جملة (ولتنذر أم القرى) فوجود واو العطف في أولها مانع من تعليق (لتنذر) بفعل (أنزلناه) ومن جعل المجرور خبرا عن (كتاب) خلافا للتفتزاني إذ الخبر إذا كان مجرورا لا يقترن بواو العطف ولا نظير لذلك في الاستعمال فوجود لام التعليل مع الواو مانع من جعلها خبرا آخر ل (كتاب) فلا محيص عند توجيه انتظامها مع ما قبلها من تقدير محذوف أو تأويل بعض ألفاظها والوجه عندي أنه معطوف على مقدر ينسب عنه السياق . والتقدير : ليؤمن أهل الكتاب بتصديقه ولتنذر المشركين . ومثل هذا التقدير يطرد في نظائر هذه الآية بحسب ما يناسب أن يقدر . وهذا من أفانين الاستعمال الفصيح . ونظيره قوله تعالى (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب) في سورة إبراهيم .

ووقع في الكشف أن (ولتنذر) معطوف على ما دلت عليه صفة الكتاب كأنه قيل : أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه والإنذار آه . وهذا وإن استتب في هذه الآية فهو لا يحسن في آية سورة إبراهيم لأن لفظ (بلاغ) اسم ليس فيه ما يشعر بالتعليل و (للناس) متعلق به واللام فيه للتبليغ لا للتعليل فتعين تقدير شيء بعده نحو لينتبهوا أو لتلا يؤخذوا على غفلة ولينذروا به .

والإنذار : الإخبار بما فيه توقع ضرر وضده البشارة . وقد تقدم عند قوله تعالى (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) في سورة البقرة . واقتصر عليه لأن المقصود تخويف المشركين إذ قالوا (ما أنزل الله على بشر من شيء) .

وأما القرى : مكة وأما الشيء استعارة شائعة في الأمر الذي يرجع إليه ويلتف حوله وحقيقة الأم الأنتى التي تلد الطفل فيرجع الولد إليها ويلازمها وشاعت استعارة الأم للأصل والمرجع حتى صارت حقيقة ومنه سميت الراية أما وسمي أعلى الرأس أم الرأس والفاحة أم القرآن . وقد تقدم ذلك في تسمية الفاتحة . وإنما سميت مكة أم القرى لأنها أقدم القرى وأشهرها وما تقرت القرى في بلاد العرب إلا بعدها فسمها العرب أم القرى وكان عرب الحجاز قبلها سكان خيام.

وإنذار أم القرى بإنذار أهلها وهذا من مجاز الحذف كقوله تعالى (وأسأل القرية) وقد دل عليه قوله (ومن حولها) أي القبائل القاطنة حول مكة مثل خزاعة وسعد بن بكر وهوازن وثقيف وكنانة.

ووجه الاختصار على أهل مكة ومن حولها في هذه الآية أنهم الذين جرى الكلام والجدال معهم من قوله (وكذب به قومك وهو الحق) إذ السورة مكية وليس في التعليل ما يقتضي حصر الإنذار بالقرآن فيهم حتى نتكلف الادعاء أن (من حولها) مراد به جميع أهل الأرض.

وقرأ الجمهور (ولتنذر أم القرى) بالخطاب وقرأه أبو بكر وحده عن عاصم (ولينذر) بياء الغائب على أن يكون الضمير عائدا إلى (كتاب) ، وقوله (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) احتراس من شمول الإنذار المؤمنين الذين هم يومئذ بمكة وحولها المعروفون بهذه الصلة دون غيرهم من أهل مكة ولذلك عبر عنهم بهذا الموصول لكونه كاللقب لهم وهو مميزهم عن أهل الشرك لأن أهل الشرك أنكروا الآخرة.

وليس في هذا الموصول إيذان بالتعليل فإن اليهود والنصارى يؤمنون بالآخرة ولم يؤمنوا بالقرآن ولكنهم لم يكونوا من أهل مكة يومئذ.

وأخبر عن المؤمنين بأنهم يؤمنون بالقرآن تعريضا بأنهم غير مقصودين بالإنذار فيعلم أنهم أحقأ بضده وهو البشارة.

وزادهم ثناء بقوله (وهم على صلاتهم يحافظون) إيدانا بكمال إيمانهم وصدقه إذ كانت الصلاة هي العمل المختص بالمسلمين فإن الحج كان يفعله المسلمون والمشركون وهذا كقوله (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) ولم يكن الحج مشروعاً للمسلمين في مدة نزول هذه السورة. (١)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ (٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد هؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون : إنما أنذركم أيها القوم بتزييل الله الذي يوحيه إلى من عنده وأخوفكم به بأسه.

ووجه هذه التسمية أنه ألقى إلى النبي ﷺ بواسطة الملك وذلك الإلقاء يسمى وحياً لأنه يترجم عن مراد الله تعالى فهو كالكلام المترجم عن مراد الإنسان ولأنه لم يكن تأليف تراكيبه من فعل البشر. (٣)

﴿ وَأُنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴾ (٤)

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : وأنذر يا محمد بالقرآن الذي أنزلناه إليك القوم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم علماً منهم بأن ذلك كائن فهم مصدقون بوعد الله ووعيده عاملون بما يرضي الله دائبون في السعي فيما ينقذهم في معادهم من عذاب الله { ليس لهم من دونه ولي } أي ليس

١- انظر: تفسير التحرير والتنوير - للعلامة الطاهر بن عاشور التونسي - ج ١ ص ١٣٥٩

٢- سورة الأنبياء - الآية ٤٥

٣- جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر ابن جرير الطبري - ج ٩ ص ٣٢

٤- سورة الأنعام - الآية ٥١

لهم من عذاب الله إن عذبهم { ولي { ينصرهم فيستنقذهم منه { ولا شفيع { يشفع لهم عند الله تعالى ذكره فيخلصهم من عقابه { لعلهم يتقون { يقول : أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه.

وقيل : { وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا { ومعناه يعلمون أنهم يحشرون فوضعت المخافة موضع العلم لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم في ذلك وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه من وحيه وتذكيرهم والإقبال عليهم بالإنذار وصد عنه المشركون به بعد الإعذار إليهم وبعد إقامة الحجة عليهم حتى يكون الله هو الحاكم في أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم.

عن عكرمة في قوله : { وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم { الآية قال : جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل في أشراف من بني عبد مناف من الكفار إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فإنما هم عبيدنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له ! قال : فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب : لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون وإلام يصيرون من قولهم ! فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية : { وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون * ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه { إلى قوله : { أليس الله بأعلم بالشاكرين {.

فتأويل الكلام إذا : يا محمد أنذر بالقرآن الذي أنزلته إليك الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون فهم من خوف ورودهم على الله الذي لا شفيع لهم من دونه ولا نصير في العمل له دائبون إذ

أعرض عن إنذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك استكبارا على الله ولا تطردهم ولا تقصهم فتكون ممن وضع الإقصاء في غير موضعه فأقصى وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه وقرب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدناؤه فإن الذين هميتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألونه عفوهم ومغفرته بصالح أعمالهم وأداء ما ألزمهم من فرائضه ونوافل تطوعهم وذكرهم إياه بألسنتهم بالعادة والعشي يلتمسون بذلك القربة إلى الله. (١)

وأندر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم بعد ما حكى لرسول الله أن من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد إيفت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالأموات وقرر ذلك بأن كرر عليهم من فنون التبيكيت والإلزام ما يلقمهم الحجر فأبوا إلا الإباء والنكير وما نجح فيهم عظة ولا تذكير قوما أفادهم الإنذار إلا اصرار على الإنكار أمر عليه الصلاة والسلام بتوجيه الإنذار إلى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المحجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين بأصله كأهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعه آبائهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالأولين أو في شفاعه الأصنام كالأخرين أو مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم أنهم إذا سمعوا بمحدث البعث يخافون أن يكون حقا وأما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون ممن أمر بإنذارهم عليه. (٢)

١- جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر ابن جرير الطبري - ج ٥ ص ١٩٨

٢- انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - ج ٣ ص ١٣٧

﴿ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

أَجْرًا حَسَنًا ﴾^(١)

"يقول تعالى ذكره : أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه لينذركم أيها الناس باسا من الله شديدا وعنى بالبأس العذاب العاجل والنكال الحاضر والسطوة وقوله { من لدنه } يعني : من عند الله.

فحمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ بل يهدي إلى صراط مستقيم واضحا بينا جليا نذيرا للكافرين بشيرا للمؤمنين ولهذا قال : { ولم يجعل له عوجا } أي لم يجعل فيه اعوجاجا ولا ميلا بل جعله معتدلا مستقيما ولهذا قال : { قيما } أي مستقيما { لينذر بأسا شديدا من لدنه } أي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بأسا شديدا عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة { من لدنه } أي من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد { ويبشر المؤمنين } أي بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح { أن لهم أجرا حسنا } أي مثوبة عند الله جميلة { ماكتن فيه } في ثوابهم عند الله وهو الجنة خالدين فيه { أبدا } دائما لا زوال له ولا انقضاء".^(٢)

ولقن الله عباده وفقههم كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاحهم وفوزهم " ولم يجعل له عوجا " ولم

١- سورة الكهف - الآية ٢

٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - للإمام محمد بن علي الشوكاني - ج ٣ ص ٣٨٤

يجعل له شيئاً من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه .

" بأساً شديداً " والبأس من قوله ﴿بِعَذَابٍ يَبِيسٍ﴾^(١) ، وقد يؤس العذاب وبؤس الرجل بأساً وبآسة " من لدنه " صادراً من عنده . وقرئ من لدنه بسكون الدال مع إثم الضمة وكسر النون " ويبشر " بالتخفيف والتثقيل . فإن قلت : لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر ؟ قلت : قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق إليه فوجب الاقتصار عليه . والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله " وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً " متعلقاً بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله : " أن لهم أجراً حسناً " استغناءً بتقدم ذكره . والأجر الحسن : الجنة " ^(٢)

﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ﴾^(٣)

" قوله تعالى : { هذا بلاغ للناس } أي هذا الذي أنزلنا إليك بلاغ أي تبليغ وعظة { ولينذروا به } أي ليخوفوا عقاب الله عز وجل وقرئ { ولينذروا } بفتح الياء والذال يقال : نذرت بالشيء أنذر إذا علمت به فاستعددت له ولم يستعملوا منه مصدراً كما لم يستعملوا من عسى وليس وكأنهم استغنوا بأن والفعل كقولك : سرتي أن نذرت بالشيء { وليعلموا أنما هو إله واحد } أي وليعلموا وحدانية الله بما أقام من الحجج والبراهين { وليذكر أولو الألباب } أي وليتعض أصحاب العقول وهذه اللامات في (ولينذروا) (وليعلموا) (وليذكر) متعلقة بمحذوف التقدير : ولذلك أنزلناه وروى يمان بن رثاب أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسئل

١- سورة الأعراف - الآية ١٦٥

٢- انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - محمود بن عمر الزمخشري - ج ١ ص ٧٠١

٣- سورة إبراهيم - الآية ٥٢

بعضهم هل لكتاب الله عنوان ؟ فقال : نعم قيل : وإين هو ؟ قال قوله تعالى : { هذا بلاغ للناس ولينذروا به } إلى آخرها".^(١)

وعن ابن زيد رضي الله عنه في قوله : هذا بلاغ للناس قال القرآن ولينذروا به قال بالقرآن. والبلاغ : اسم مصدر التبليغ أي هذا المقدار من القرآن في هذه السورة تبليغ للناس كلهم، واللام في (للناس) هي المعروفة بلام التبليغ وهي التي تدخل على اسم من يسمع قولاً أو ما في معناه وعطف (ولينذروا) على (بلاغ) عطف على كلام مقدر يدل عليه لفظ " بلاغ " إذ ليس في الجملة التي قبله ما يصلح لأن يعطف هذا عليه فإن وجود لام الجر مع وجود واو العطف مانع من جعله عطفاً على الخبر لأن الجرور إذا وقع خبراً عن المبتدأ اتصل به مباشرة دون عطف إذ هو بتقدير كائن أو مستقر وإنما تعطف الأخبار إذا كانت أوصافاً . والتقدير : هذا بلاغ للناس ليستيقظوا من غفلتهم ولينذروا به.

والمعنى : وليعلموا مما ذكر فيه من الأدلة ما الله إلا إله واحد أي مقصور على الإلهية الموحدة .^(٢)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾^(٣)

"يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : قل يا محمد هؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون : إنما أنذركم أيها القوم بتزييل الله الذي يوحيه إلى من عنده وأخوفكم به بأسه

كما حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله : { قل إنما أنذركم بالوحي } أي بهذا القرآن.

١- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ٩ ص ٣٢٩

٢- انظر: تفسير التحرير والتنوير - للعلامة الطاهر بن عاشور التونسي - ج ١ ص ٢٢٨٩

٣- سورة الأنبياء - الآية ٤٥

وقوله : { ولا يسمع الصم الدعاء } اختلفت القراءة ذلك ن فقراته عامة قراء الأمصار و لا يسمع بفتح الياء من { يسمع } بمعنى أنه فعل للصم والصم حينئذ مرفوعون وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يقرأ (ولا تسمع) بالتاء وضمها فالصم على هذه القراءة مرفوعة لأن قوله : (ولا تسمع) لم يسم فاعله ومعناه على هذه القراءة : ولا يسمع الله الصم الدعاء.

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراءة عليه ومعنى ذلك : ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه إلى تذكر ما في وحي الله من المواعظ والذكر فيتذكر به ويعتبر فيتزجر عما هو عليه مقيم من ضلالة إذا تلي عليه وأريد به : ولكنه يعرض عن الإعتبار به والتفكر فيه فعل الأصم الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به".^(١)

وقوله تعالى : { قل إنما أنذركم بالوحي } أي أخوفكم وأحذركم بالقرآن { ولا يسمع الصم الدعاء } أي من أصم الله قلبه وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة عن فهم الآيات وسماع الحق وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن السميقيع ولا يسمع بياء مضمومة وفتح الميم على ما لم يسم فاعله { الصم } رفعا أي إن الله لا يسمعهم وقرأ ابن عامر والسلمي أيضا وأبو حيوة ويحيى بن الحارث ولا تسمع بتاء مضمومة وكسر الميم { الصم } نصبا أي إنك يا محمد لا تسمع الصم بالدعاء فالخطاب للنبي ﷺ .^(٢)

والمعنى : أن من أصم الله سمعه وختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة لا يسمع الدعاء، إذا دعوتهم إلى الحق ووعظتهم بمواعظ الله وذكرتهم الآخرة

١- جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر ابن جرير الطبري - ج ٩ ص ٣٢

٢- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ١١ ص ٢٥٦

المطلب الثاني : الإنذار بالرسالة

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾^(١)

"وقوله { هذا نذير من النذر الأولى } اختلف أهل التأويل في معنى قوله جل ثناؤه ﷺ { هذا نذير من النذر الأولى } ووصفه إياه بأنه من النذر الأولى وهو آخرهم فقال بعضهم : معنى ذلك أنه نذير لقومه وكانت النذر الذين قبله نذرا لقومهم كما يقال : هذا واحد من بني آدم وواحد من الناس.

وعن قتادة في قوله { هذا نذير من النذر الأولى } قال : أنذر محمد ﷺ كما أنذرت الرسل من قبله.

وقال آخرون معنى ذلك غير هذا كله وقالوا : معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت لكم أني أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى".^(٢)

فمحمد ﷺ نذير بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله فإن أعطتموه أفلحتم وإلا حل بكم ما حل بمكدي الرسل السالفة وقال قتادة : يريد القرآن وأنه نذير بما أنذرت به الكتب الأولى وقيل : أي هذا الذي أخبرنا به من أخبار الأمم الماضية الذين هلكوا تخويف هذه الأمة من أن يتزل بهم ما نزل بأولئك من النذر أي مثل النذر والنذر في قول العرب بمعنى الإنذار كالنكر بمعنى الإنكار أي هذا إنذار لكم وقال أبو مالك : هذا الذي أنذرتكم به من وقائع الأمم الخالية هو في صحف إبراهيم وموسى وقال السدي أخبرني أبو صالح قال : هذه الحروف التي ذكر الله تعالى من قوله تعالى : { أم لم ينبا بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفي } إلى قوله : { هذا نذير من النذر الأولى } كل هذه في صحف إبراهيم وموسى.^(٣)

١- سورة النجم - الآية ٥٦

٢- جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر ابن جرير الطبري - ج ١١ ص ٥٤٠

٣- انظر : الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ١٧ ص ١٠٧

المطلب الثالث : الإنذار بيوم القيامة

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ

قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴾^(١)

"والحسرة : الغم على ما فاته والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه أو

انحسر قواه من فرط غم أو أدركه إعياء من تدارك ما فرط منه قال تعالى : ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ

حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾^(٢) ، ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا

فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾^(٥)

وقوله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ ﴾^(٦) وقوله تعالى في وصف الملائكة : ﴿ لَأَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾^(٧) أي لا يملون ولا يتعبون على طول مكث عبادتهم له".^(٨)

ويروي الإمام الطبري بسنده في تفسيره هذه الآيات حديثا فيقول:

"حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ

إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أنهم أطاعوا الله فيقال

لهم : تلك مساكنكم لو أطعتم الله ! ثم تقسم بين المؤمنين فيرثونهم فذلك حين يندمون حدثنا محمد

بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال حدثنا أبو

الزعراء عن عبد الله - في قصة ذكرها - فقال : فليس نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت

١- سورة مريم - الآيات ٣٨، ٣٩، ٤٠

٢- سورة آل عمران - الآية ١٥٦

٣- سورة الحاقة - الآية ٥٠

٤- سورة الزمر - الآية ٥٦

٥- سورة البقرة - الآية ١٦٧

٦- سورة يس - الآية ٣٠

٧- سورة الأنبياء - الآية ١٩

٨- مفردات ألفاظ القرآن - للراغب لأصفهاني - ج ١ ص ٣٢١

في النار وهو يوم الحسرة قال : فيرى أهل النار الذين في الجنة فيقال لهم : لو عملتم ! فتأخذهم

الحسرة قال : فيرى أهل الجنة البيت الذي في النار فيقال : لولا أن من الله عليكم !"^(١)

أما شيخ المفسرين الإمام ابن كثير فله في تفسير الآيات روايات أخرى وتفسير آخر:

" قال تعالى : { وأنذرهم يوم الحسرة } أي أنذر الخلائق يوم الحسرة { إذ قضى الأمر } أي فصل

بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إلى ما صار إليه مخلدا فيه { وهم } أي اليوم { في غفلة }
عما أنذروا به يوم الحسرة والندامة { وهم لا يؤمنون } أي لا يصدقون به.

قال ابن عباس في قوله : { وأنذرهم يوم الحسرة } من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : { وأنذرهم يوم الحسرة } قال : يوم القيامة وقرأ {

أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله }"^(٢).

وينقل الإمام القرطبي في تفسيره كلاما جميلا للصحابي المفسر ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير

هذه الآية:

"روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال : ما من أحد يدخل النار إلا وله بيت في الجنة فيتحسر

عليه وقيل : تقع الحسرة إذا أعطي كتابه بشماله { إذ قضى الأمر } أي فرغ من الحساب وأدخل

أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال : قال ﷺ: [إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش

أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشربون وينظرون ويقولون :

نعم هذا الموت - قال - ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشربون وينظرون ويقولون : نعم

هذا الموت - قال - فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا

١- جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر ابن جرير الطبري - ج ٢ ص ٧٨

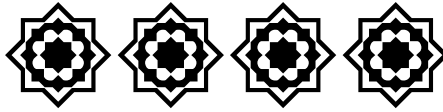
٢- تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء عماد الدين ابن كثير بتصرف - ج ٣ ص ١٦٥

موت - ثم قرأ رسول الله ﷺ - { وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون } [خروجه البخاري بمعناه عن ابن عمر و ابن ماجة من حديث أبي هريرة و الترمذي عن أبي سعيد يرفعه وقال فيه حديث حسن صحيح". (١)

وحول هذا المعنى يروي الإمام البغوي بسنده في تفسيره رواية أخرى:

"أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة] (٢). (٣)

ومن المعلوم أن العذاب النفسي في كثير من الأحيان أشد وأنكى من العذاب الجسدي، فما بالك حين يجمع الله للكافر يوم القيامة بين العذابين، عذاب الحسرة والأسى على مكانه الرغيد في الجنة الذي أضاعه بسبب كفره وعناده وتكذيبه للإنذارات الربانية التي وصلتته، والعذاب الشديد الذي ينتظره في نار وقودها الناس والحجارة والعياذ بالله.



١- جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر ابن جرير الطبري - ج ١١ ص ١٠١

٢- صحيح البخاري - كتاب الرقائق - باب صفة الجنة والنار - ح ٦٢٠٠ - ج ٥ ص ٢٤٠٢

٣- معالم التنزيل - للحسين بن مسعود البغوي - ج ١ ص ٢٣٢

المطلب الرابع : الإنذار بالنار

﴿ إِنَّمَا لِحَدَى الْكَبْرِ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴾^(١)

كم كان رسول الله ﷺ يتعاهد أصحابه بمواعظ توجل منها القلوب، وتذرف منه العيون، وترتعد منها الفرائض.

يقف رسول الله ﷺ يخطب أصحابه بكلمات قليلات يسيرات مباركات.

فيقول لهم أيها الناس:

(أريت الجنة والنار فلم أرى كاليوم في الخير والشر، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا،

ولبكيتم كثيرا، وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله).^(٢)

فما هو أن يتنام هذا الكلام من رسول الله ﷺ حتى يخفض الصحابة رؤوسهم، ويكبوا بوجوههم ولهم ضجيج وخنين بالبكاء.

أما إن نفوسنا بحاجة إلى أن نوردها المواعظ والنذر، ونذكرها بما خوف الله به عباده، وحذرهم منه، وقد حذر المولى جل وعلا وأنذر.

حذر عباده أشد التحذير وأنذرهم غاية الإنذار من عذاب النار ومن دار الخزي والبوار فقال المولى جل جلاله وتقدست أسمائه:

(فأنذرتكم نارا تلظى).

وقال: (إنما لإحدى الكبر، نذيرا للبشر).

فو الله ما أنذر العباد وخوفهم بشيء قط هو أشد وأدهى من النار.

وصف لهم حرها ولظاها،

١- سورة المدثر - الآية ٣٥

٢- المسند - للإمام أحمد بن علي بن المنفى التميمي أبي يعلى الموصلي - رقم الحديث ٣٦٩٠ - ج ٦ ص ٣٦١. قال حسن أسد: إسناده صحيح على شرط مسلم

وصف لهم طعامها وشرايها،

وصف أغلالها ونكالاتها،

وصف حميمها وغساقها،

وصف أصفادها وسراييلها.

وصف ذلك كله حتى إن من يقرأ القرآن بقلب حاضر، ويسمع وصف جهنم فكأنما أقيم على شفيرها فهو يراها يحطم بعضها بعضا، كأنما يرى أهل النار يتقلبون في دركاتهما، ويجرجرون في أوديتها.

كل ذلك من المولى جل وعلا إنذار وتحذير.

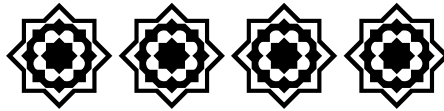
وكذا خوف نبينا ﷺ من النار وأنذر، وتوعد وحذر، وكان ﷺ شديد الإنذار والتحذير من النار.

وقف ﷺ على منبره فجعل ينادي ويقول:

(أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار)..

وعلا صوته ﷺ حتى سمعه أهل السوق جميعا، وحتى وقعت خميصة كانت على كتفيه ﷺ، ف وقعت

عند رجليه^(١)، من شدة تأثيره وانفعاله بما يقول عليه الصلاة والسلام.^(٢)



١- مسند الإمام أحمد بن حنبل - ح ١٨٤٢٢ - ج ٤ ص ٢٧٢

٢- انظر سلسلة محاضرات علمية عن (وصف النار) للشيخ حسن أيوب ، والشيخ محمد حسان ومحاضرة (أنذرتكم النار) للشيخ

البحث الثالث

الإنذار سنة إلهية ثابتة

❖ **المطلب الأول : سنة الإنذار ثم الإهلاك**

❖ **المطلب الثاني : سبل النجاة من الإنذارات الربانية**

❖ **الابتعاد عن الذنوب والمعاصي**

❖ **العقوبة الإلهية تشمل الجميع**

❖ **الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**

❖ **الدعاء والتضرع إلى الله تعالى**

❖ **التوبة النصوح والاستغفار**

❖ **الخوف من نقمة الله وعقوبته**

❖ **صلاح القلب واستقامته**

❖ **الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال**

المطلب الأول : سنة الإنذار ثم الإهلاك

من السنن التي نجدتها في التاريخ البشري منذ خلق الله آدم (عليه السلام)، أنه سبحانه وتعالى بعث لكل مجموعة من الناس - سواء كانوا في قرية أو مدينة أو كانوا أمة بالمعنى اللغوي أو غير ذلك - بعث نبياً أو نذيراً ليهديهم إلى الصراط المستقيم، وهذه هي الهداية المطلقة والسنة الدائمة التي أشار إليها القرآن الحكيم ابتداءً من أول الخليقة وانتهاءً بيوم القيامة، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١) ،

وقال أيضاً: ﴿وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٢) ،

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٣) ،

وذلك لتوافق الهداية الخارجية مع الهداية الداخلية، فقد فطر الله سبحانه وتعالى الناس على معاني الخير الواقعي سواء كان ألوهية أو رسالة أو قيامة أو أخلاقاً أو معاملات صحيحة أو ما شابه ذلك، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٤) .

وهذا ما يلمسه كل فرد في داخله، وليس معنى قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٥) أن في

كل قرية يكون نذير لأن الله سبحانه وتعالى يقول في آية أخرى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ

نَذِيرًا﴾^(٦) ، بل أحياناً كثيرة يكون النذير في أم القرى وليس في القرى المنتشرة، قال تعالى: ﴿وَمَا

١- سورة يونس- الآية ٤٧

٢- سورة النحل- الآية ٣٦

٣- سورة فاطر- الآية ٢٤

٤- سورة الروم- الآية ٣٠

٥- سورة فاطر- الآية ٢٤

٦- سورة الفرقان- الآية ٥١

كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلِهَا ظَالِمُونَ ﴿١﴾

والعذاب الإلهي لا يكون على الأمة إلا بعد الإنذار والتحذير كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾^(٣) فإن هذه الآيات تؤكد بأن الهلاك كان بعد الإنذار والتخويف ، وأن اشتراط الإنذار كناية عن البيان وإتمام الحجّة.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنْبِئَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾^(٤)

فإن هذه الآية تدلّ على أن التعذيب قبل بعث الرسول مردود بحجّة المعذّبين وهي قولهم: ﴿ لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنْبِئَ آيَاتِكَ ﴾^(٥)، فلا يصحّ التعذيب إلا بعد إتمام الحجّة عليهم ببعث الرسل. وهذا يعني أن الأشياء مباحة جائزة الارتكاب خالية عن العقوبة أصلاً ، إلا إذا ردع عنها الشارع بشكل من الأشكال التي منها إرسال الأنبياء.

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ قَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٦)

١- سورة القصص - الآية ٥٩

٢- سورة الإسراء - الآية ١٥

٣- سورة الشعراء - الآية ٢٠٨

٤- سورة طه - الآية ١٣٤

٥- سورة القصص - الآية ٤٧

٦- سورة المائدة - الآية ١٩

فإن ظاهر قوله: ﴿مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ ، أنه حجة تامة صحيحة ، ويحتج به على كل من عذّب قبل البيان ، ولأجل ذلك قام سبحانه بإرسال الرسل حتى لا يُحتج عليه ، بل تكون الحجة لله سبحانه.

فإن الله سبحانه وتعالى إذا رأى الناس يخالفون معطيات عقولهم لا يعدّهم بل يتركهم وشأنهم، حتى يبعث الأنبياء، وبمجرد بعث الأنبياء وإتمام الحجة لا يعاقب الله سبحانه وتعالى بل بعد أخذ الناس بالبأساء والضراء كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاَهُم بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّغُونَ﴾^(١) وقال في آية أخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٢)، وفي أحيان كثيرة يأخذ الله الأمم بالبأساء والضراء وبالחסنة فيمنحهم الله ما يشاءون من الخيرات والنعم أو الشرور حتى تكتمل عليهم الحجة كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّغُونَ﴾^(٣) ، والسراء والضراء هما الاختبار والامتحان، فكأن الله يريد أن يقول لهم أعطيناكم الحسنة فلم تؤمنوا وأرسلنا عليكم السيئات ولم تؤمنوا فتمت عليكم الحجة البالغة.

ومن سنن الله سبحانه وتعالى الهداية بسبب الأنبياء، وما نشاهده من ضلال في بعض الأمم لا يدل على عدم وجود المنذر والرسول، فلربما بعث الله المنذرين والرسل كما ورد في القرآن الكريم وكما دلت الروايات على ذلك لكنهم انحرفوا فالأنبياء هم سبب وطريق للهداية قد تأخذ بها الأمم فتسير إلى الطريق القويم وقد تعرض عن ذلك فتتحرف وتسقط.^(٤)

١- سورة الأنعام - الآية ٤٢

٢- سورة سبأ - الآية ٣٤

٣- سورة الأعراف - الآية ٩٤

٤- انظر: مبحث سنن القرآن في سقوط الحضارات - محمد هيشور - على الشبكة العنكبوتية.

المطلب الثاني : سبل النجاة من الإنذارات الربانية

يقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾^(١)

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ

وَعَدُّ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(٣)

إن هذه الآيات والنذر من العزيز الحكيم للبشرية لعلهم يتقون وعلهم يتذكرون وعلهم يتضرعون وعلهم يتعظون، ولكن البشرية حادت عن ربها وطمس على قلوبهم فهم لا يبصرون ولا يسمعون ولا يعلمون، فراحت تنسب هذه العقوبات إلى الجمادات التي لا تعقل ولا تعلم شيئاً ولا تعي ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، فيقولون: غضب الأرض وتمرد الطبيعة.

وزلزال (تسونامي) من أعظم الدلائل على عظمة الله تعالى ففي لحظة واحدة تدمرت كل هذه البقاع وهلك مئات الآلاف من البشر ومن الحيوانات البحرية والبرية، زلزال استمر دقيقتين امتدت آثاره إلى آلاف الأميال فكيف لو طال مدته، وكيف لو تعددت صورته في بقاع أخرى، إذا كان هذا زلزال الدنيا فكيف بزلزال يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾^(٤) ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾^(٥)

١- سورة الأنعام- الآية ٤٣

٢- سورة المؤمنون- الآية ٧٦

٣- سورة الرعد - من الآية ٣١

٤- سورة الروم- الآية ٣٠

٥- سورة التكوير - الآيات ٣-٢-١

﴿ إِذَا السَّمَاءُ اهْطَرَّتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَحَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾^(١) ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾^(٢)

لقد كانت لهذه الكوارث والآيات العظيمة معطيات كثيرة، منها:

حينما ادعى البشر العظمة والتقدم والسيطرة على الكون ومعرفة جل أسرارهِ وأن لديهم من القدرات والطاقات والإمكانات ما يعرفون به كل شيء يحدث أو سيحدث في الكون، وادّعوا أن ما اخترعوه من أجهزة الأرصاد التي يعرفون من خلالها أي حدث يمكن أن يحدث من زلازل وغيرها فيتلافون الكوارث والإصابات في حد زعمهم، فأحبط الله في هذه الحادثة ما قدروه، وأنهم ما لم يكونوا يحسبونه بمنزلة عظيمة وكارثة جسيمة لم يعرفوا مثلها ولم يحسبوا حسابها ولم يقدرها لها قدرها، بل لم يتنبأوا بما قبل حدوثها ولا بلحظات. ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسَفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٣) ، ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَحْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴾^(٤) ، ﴿ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَحْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾^(٥) ، ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾^(٦) .

١- سورة الإنفطار - الآيات ٣-٢-١

٢- سورة الزلزلة - الآية ٢-١

٣- سورة النحل - الآية ٤٥

٤- سورة الإسراء - الآية ٦٨

٥- سورة الملك - الآية ١٦

٦- سورة النمل - الآية ٦٥

لقد شاهد العالم التعامل العنصري مع ضحايا كارثة (تسونامي) في صورة من أقبح الصور التي أفرزتها الحضارة الغربية المعاصرة في التعامل حتى مع الأموات فبينما أناس ينقب عنهم من بين آلاف القتلى فيوضعون في التوابيت الفاخرة ويحملون على الطائرات، إذا بالآخرين يجرفون بالشيولات وعلى ظهور القلابات ويقذفون في الحفر الجماعية تدفنهم الآلات بالتراب وبدون كفن ولا غطاء. وهكذا كل حضارة لا تقوم على منهج الله فهي فساد وظلم وضلال في الأرض ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾^(١) ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٢) .

بينما تلك الشواطئ مقصد السائحين ومحط أنظار المستثمرين تباع بأعلى الأثمان يتسابق إليها رجال الأعمال وفي لحظة واحدة تحولت إلى أراضي بوار لا تساوي درهماً ولا ديناراً يتعد عنها كل من رام الصحة والسلامة.^(٣)

ما بين غمضة عين وانتباهتها *** يبدل الله من حال إلى حال

إن التفكير والاعتبار والانتفاع بالمواعظ من صفات المؤمنين قال تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَحْشَى﴾^(٤) .
والم تأمل في الأحداث والمتغيرات، وحلول كثير من العقوبات في هذا الزمان: من الزلازل، والأعاصير والفيضانات، والانهيارات، والجفاف والجذب، والحوادث المتجددة يجدها أمورا عظيمة تزيد يوماً بعد يوم، جدير بالمسلم أن يأخذ العبرة منها، ويتفكر في سبل النجاة والحذر منها.

١- سورة الفجر - الآية ١٢-١١

٢- سورة البقرة - الآية ١١

٣- بتصرف من بحث (تسونامي زلزال العصر) للشيخ الدكتور ناصر العمر

٤- سورة الأعلى - الآية ١٠

ومن باب الإنذار والتحذير، وتلمس سبل النجاة من هذه المهلكات الربانية، والكوارث الطبيعية نقف الوقفات التالية:

١- الابتعاد عن الذنوب والمعاصي

المعاصي سبب المصائب، فإذا وقعت المنكرات وأعلنت ولم تغير فسنة الله تعالى تجري على المستهترين بنذره والمكذبين برسله بجلول العقوبات والمصائب عليهم (ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب) ^(١) .

و جاء التحذير والإنذار من الله تعالى في كتابه من الذنوب وعواقبها من خلال قصص الأمم الماضية وما حل بها عند ارتكاب المنكر، وحذر جل وعلا من معاصي بعينها كقوله تعالى في الربا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذُرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَقْعُلُوا فَأذتُوا بِحَرْبٍ

مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ^(٢) كما أن الرسول ﷺ حذر من المعاصي عامة إلا أنه عليه الصلاة والسلام كرر

التحذير والتنبية بشأن بعضها وبين عليه الصلاة والسلام أنها إذا وجدت تبعثها عقوباتها من ذلك:

قوله ﷺ: ((في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف)) فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى

ذلك؟ قال: ((إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر)) ^(٣) .

وروى ابن ماجة عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليشربن ناس

من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف يخسف الله بهم الأرض ويجعل

منهم القردة والخنازير)) ^(٤) .

١- الفتاوى - لابن تيمية - ج ٢٨ ص ١٣٨

٢- سورة البقرة - الآية ٢٧٨

٣- سنن الترمذي - كتاب الفتن - باب الخسف - ح ٢١٨٥ - ج ٤ ص ٤٧٩ وقال الترمذي: حديث غريب. وصححه الألباني

٤- سنن ابن ماجة - كتاب الفتن - باب العقوبات - ح ٤٠٢٠ - ج ٢ ص ١٣٣٣ . وصححه الألباني

((ويبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتتسفهم كما نسفت من كان قبلهم باستحلالهم الخمر
وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات))^(١) .

(ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢) وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نُّعْمَةً أَتَمَّهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) ومن تأمل ما قص الله في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله، و من نظر في أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك من سوء عواقب الذنوب)^(٤)

٢- الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أسباب النجاة: الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٥) وقال أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ﴾^(٦) .

قال ابن كثير-رحمه الله:- يقول الله تعالى فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، وقوله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيراً وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمته،

١- مسند الإمام أحمد بن حنبل - ح ٢٢٢٨٥ - ج ٥ ص ٢٥٩

٢- سورة الشورى - الآية ٣٠

٣- سورة الأنفال - الآية ٥٣

٤- الجواب الكافي لمن سئل عن الدواء الشافي - لابن القيم الجوزية - ص ١٠٩

٥- سورة هود - الآية ١١٦

٦- سورة هود - الآية ١١٧

ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما قال تعالى ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) ، وقوله ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾^(٢) أي: استمروا على ما هم عليه من المعاصي والمنكرات ولم يلتفتوا إلى إنكار ألتك حتى فجأهم العذاب... ﴿وَكَاثِرًا مَّجْرِمِينَ﴾^(٣). ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها، ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾^(٤) وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^{(٥)(٦)}.

ذكر ابن حجر-رحمه الله- عن بعض أهل العلم قوله: (أما من أمر ونهى فهم المؤمنون حقاً لا يرسل عليهم العذاب، بل يدفع بهم العذاب).^(٧)

وقد نص الله على نجاته الناهين بقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٨).

قال ابن تيمية-رحمه الله-: (فأخبر الله تعالى أن العذاب لما نزل نجي الذين ينهون عن السوء وأخذ الظالمين بعذاب شديد)^(٩).

١- سورة آل عمران - الآية ١٠٤

٢- سورة هود - الآية ١١٦

٣- سورة هود - الآية ١١٦

٤- سورة هود - الآية ١٠١

٥- سورة فصلت - الآية ٤٦

٦- تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء عماد الدين ابن كثير - ج ٢ ص ٤٦٥

٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - ج ١٣ ص ٦٥

٨- سورة الأعراف - الآية ١٦٥

٩- الفتاوى - للإمام ابن تيمية - ج ٢٨ ص ٣٠٦

ومن المعلوم أن العقوبة إذا وقعت أصابت الجميع حتى الصالحين إذا سكتوا وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر رضي الله عنه على المنبر يقول: يا أيها الناس إني أراكم تتأولون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(١) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الناس إذا عمل فيهم بالمعاصي فلم يغيروا أو شك الله أن يعمهم بعقاب))^(٢).

ولفظه في إحدى الروايات عند أبي داود: ((مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرن على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا أو شك أن يعمهم الله منه بعقاب))^(٣).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))^(٤) قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن.

قال البخاري رحمه الله: (باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٥) وما كان النبي ﷺ يحذر من الفتن) قال ابن حجر في شرحه: (وعند الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب. ولهذا الأثر شاهد من حديث عدي بن عميرة: سمعت رسول الله ﷺ

١- سورة المائدة - الآية ١٠٥

٢- الجامع الصحيح - أبو عيسى الترمذي - كتاب الفتن - باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ج ٩ - ص ٣٤ وقال الترمذي: حسن صحيح

٣- السنن - لأبي داود السجستاني - ج ٩ - ص ٨٤

٤- سنن الترمذي - كتاب الفتن - باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ج ٩ - ص ٣٤ وقال الترمذي: حسن

٥- سورة الأنفال - الآية ٢٥

يقول: ((إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرين على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة))^(١).

قال ابن القيم: (وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان! شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين! وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه. وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل. وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره أثرا: أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقريّة كذا وكذا، فقال: يارب كيف وفيهم فلان العابد! فقال: به فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه في يوما قط)^(٢).

٣- الدعاء والتضرع إلى الله تعالى

من أعظم أسباب النجاة الدعاء والتضرع واللجوء إلى الله تعالى وحده ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاھُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٣)

١- أخرجه أحمد بسند حسن وهو عند أبي داود وله شواهد من حديث حذيفة وجبرير وغيرهما عند أحمد وغيره

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين- لابن القيم الجوزية - ص ١٥٧

٣- سورة الأنعام - الآية ٤٣-٤٢

وعن حذيفة رضي الله عنه رفعه: ((يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغريق))^(١).

وقد حث الناصح ﷺ على الدعاء كثيرا من ذلك قوله: ﷺ ((لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك

مع الدعاء أحد))^(٢).

وقال ﷺ: ((لا يرد القدر إلا الدعاء))^(٣).

وقال ﷺ ((من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء))^(٤).

وقال ﷺ ((والدعاء ينفع مما قد نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء ليتزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم

القيامة))^(٥).

ودعوة المضطر مجابة قال الله تعالى ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٦) لأن المضطر

صَادِقٌ فِي تَوَجُّهِهِ مَخْلُصٌ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ غَيْرُ اللَّهِ، حَتَّى الْكَافِرِ أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ فِي حَالِ الْإِضْطِرَارِ

﴿فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٧).

وما قوبلت الشدائد وكشفت بمثل اللجوء إلى من بيده الأمر كله ، فهو الذي قدر البلاء، وعاقب

بالمصائب والحنن، وهو الوحيد القادر على رفعها والتلطف في وقوعها.

١- المستدرک علی الصحیحین - للحاکم النیسابوری ج ١- ص ٦٨٧ وقال: صحیح علی شرط الشیخین

٢- المرجع السابق ج ١- ص ٦٧١ وقال: صحیح الإسناد، ورواه ابن حبان فی صحیحہ

٣- المرجع السابق ج ١- ص ٦٧٠ وقال: صحیح الإسناد وواقفه الذہبی

٤- المرجع السابق ج ١- ص ٧٢٩ وقال: صحیح الإسناد وواقفه الذہبی

٥- المرجع السابق ج ١- ص ٦٦٩ وقال: صحیح الإسناد وواقفه الذہبی

٦- سورة النمل - الآية ١٢

٧- سورة العنکبوت - الآية ٦٥

٤- التوبة النصوح والاستغفار

من أسباب النجاة: التوبة النصوح وذلك بترك الذنوب والعزم على عدم العودة إليها مع الندم ورد المظالم والاستغفار فهذا من أسباب منع العذاب ورفعها، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾^(١).

والتوبة والاستغفار سبب لنيل رحمة الله تعالى وحصول الخير والبركات قال نوح عليه السلام قومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾^(٢) وقال صالح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٣) وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾^(٤).

كان خير البشر ﷺ يكثر من الاستغفار قال ابن عمر رضي الله عنهما: ((كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم))^(٥).
وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: ((سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه))^(٦).

والاستغفار باللسان دون ترك الذنب لا يكفي قال ابن القيم رحمه الله - (وأما من أصر على الذنب وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلق ولهذا لا يمنع الذنب)^(٧)

١- سورة الأنفال - الآية ٣٣

٢- سورة نوح - الآيات ١٣-١٢-١١

٣- سورة النمل - الآية ٤٦

٤- سورة هود - الآية ٩٢

٥- سنن الترمذي - كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا قام من المجلس - ح ٣٤٣٤ - ج ٥ ص ٤٩٤ وقال الترمذي: حديث

حسن صحيح غريب. وصححه الألباني

٦- صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب ما يقال في الركوع والسجود - ح ٤٨٤ - ج ١ ص ٣٥٠

٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - ابن القيم الجوزية - ج ١ ص ٣٠٧

٥- الخوف من نقمة الله وعقوبته

يجب الإيمان بنصوص الشرع والخوف من نقمة الله وعقوبته، فهذا خير البشر ﷺ تفطرت قدماه من قيام الليل وجاهد في الله حق جهاده يخشى من حلول عقوبة.

في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الرياح قال: ((اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به)) قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سري عنه، فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها فسألته فقال رسول الله ﷺ: ((لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾^(١).^(٢) هذا خوفه ﷺ مع أن الله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(٣).

وهذا عمر رضي الله عنه يربط بين الزلزلة والمعصية: أخرج ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في سنن عن صفية بنت أبي عبيد قالت: (زلزلت الأرض على عهد عمر حتى اصطفت السرر، فخطب عمر الناس فقال: أحدثتم لقد عجلتم، لأن عادت لأخرجن من بين ظهرانيكم وإسناده صحيح.^(٤)

أما الآمنون من مكر الله ونعمته فقد ذمهم الله بقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٥).

١- سورة الأحقاف - الآية ٢٤

٢- صحيح مسلم- كتاب صلاة الاستسقاء - باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر- ح ٨٩٩- ج ٢ ص ٦١٦

٣- سورة الأنفال - الآية ٣٣

٤- انظر لمزيد البحث عن موضوع الزلزلة : رسالة السيوطي : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة

٥- سورة الأعراف - الآية ٩٩

ويتأكد الخوف والحذر كلما كثرت المنكرات وتوالت علينا النذر ممن له الخلق والأمر ممن يقول
للشيء كن فيكون سبحانه وتعالى.

٦- صلاح القلب واستقامته

ليس المقصود من هذا الموضوع نجاة البدن فقط، أو طلب النجاة في الدنيا.. بل الأهم من ذلك صلاح القلب
أولا، وإذا صلح واستقام حصلت نجاة البدن والقلب جميعا في الدنيا والآخرة. أما إن كان القلب فاسدا قد
استولى عليه اتباع هواه وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فقد تعرض لسخط الله وعقابه، ومهما عمل من حيلة
لنجاة بدنه من الكوارث والفواجع فلا يمنع عنه عذاب الله، إذا قدر عليه بذنبه ولو جعل منزله ثم حديد مؤسس
في أعماق الأرض؛ لأنه أهمل الوقاية الشرعية، لو نجاه الله في الدنيا فقد عرض نفسه لعذاب الآخرة وهو الأشد
والأنكى، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١).

ولهذا لما حصلت الزلزلة لم يخطب عمر رضي الله عنه بتوجيه الناس إلى الملاهي أو تأسيس البناء في مواصفات
معينة، بل وجه إلى الأهم فأمرهم بالتوبة؛ لأن سبب الزلزلة معصية. وهكذا قال ابن مسعود رضي الله عنه عند
الرجفة: (إن ربكم يستعقبكم يطب منكم الرجوع إلى ما يرضيه).

أما الاهتمام المادي لنجاة البدن فقط وطلب البقاء فمن صفات الكفار قال الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ
النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ
يُعْمَرَ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

أما المؤمن فيسعى إلى إرضاء الله ولو أدى إلى إزهاق نفسه، وتلف بدنه كما يحصل في الجهاد في سبيل الله ،
وعلى كل لا منافاة شرعا بالجمع بين اتخاذ الأسباب الشرعية والأسباب المادية، لطلب الأمن والسلامة.

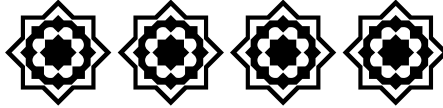
٧- الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال

الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال والصدقة والإحسان يدفع البلاء.

١- سورة الشعراء - الآية ٨٩

٢- سورة البقرة - الآية ٩٦

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء،
 وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر)^(١).
 وتفريج كربة المسلم تفرج كربة يوم القيامة قال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه
 (لعدوه)، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها
 كربة من كرب يوم القيامة)^(٢). أما الجبن والبخل وخذلان الجاهد في سبيل الله فتندر بقارعة، عن
 أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير
 أصابه الله سبحانه بقارعة قبل يوم القيامة))^(٣).



١- المعجم الكبير - للإمام ابوالقاسم الطبراني - ج ٨ ص ٢٦١ وحسنه الألباني
 ٢- صحيح البخاري - كتاب الإكراه - باب يمين الرجل لصاحبه - ح ٦٥٥٦ - ج ٦ ص ٢٥٥٠ ،
 وانظر صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم - ح ٢٥٨٠ - ج ٤ ص ١٩٩٦
 ٣- سنن ابى داوود - باب كراهية ترك الغزو - ج ٣ ص ١٠ ، وسنن ابن ماجه - باب التغليظ في ترك الجهاد - ج ٢ ص ٩٢٣

الفصل الثاني

الإنذارات بين القبول والرفض

المبحث الأول : أقوام الأنبياء السابقين ❖

المبحث الثاني : المنذرون في عهد الرسول ﷺ ❖

المبحث الثالث : عالمية الإنذار والدعوة ❖

البحث الأول

أقوام الأنبياء السابقين

المطلب الأول : الأقوام التي استجابت للنذر ❁

المطلب الثاني : الأقوام التي أعرضت عن النذر ❁

المطلب الثالث : مظاهر الإعراض عن الإنذار ❁

بين يدي البحث:

إن الله ينذر العباد بالآيات السمعية ويخوفهم بما أليم عقابه ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا اللَّهُ﴾^(١)، غير أن بعض البشر ربما طغت على قلوبهم وعقولهم حجب تحول دون التدبر أو التأثر بالآيات السمعية، فمن رحمة الله تعالى بهم أنه أرسل لهم كذلك الآيات العينية، لعلها ترفع الحجب وتزيل الغشاوة ﴿... وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيفًا﴾^(٢) وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، يخوف الله بهما عباده، وإفهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس، فإذا رأيتم منها شيئا فصلوا وادعوا الله حتى يكشف ما بكم)^(٣).

والناس متباينون منهم من تكفيه الإشارة، ومنهم من لا يفهم إلا بالشرح وتوضيح العبارة، ومنهم من لا ينقاد إلا إذا زجر زجراً، وآخر لا يعتبر إلا إذا رأى قارعة حلت بداره أو نزلت بجاره، ثم يأتي في المؤخرة صنفان من شرار الخلق أحدهما لا يرعوي إلا حين الغرغرة إذا عين الموت وعندها ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٤)، وهؤلاء أستاذهم وأسوقهم فرعون الذي طغى وتجبر ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥) قال الله: ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

١- سورة طه - الآية ١١٣

٢- سورة الإسراء - الآية ٥٩

٣- صحيح البخاري - كتاب الكسوف - باب الصلاة في كسوف الشمس - ح ١٠٠١ - ج ١ ص ٣٦٥ ،

وانظر صحيح مسلم - كتاب الكسوف - باب صلاة الكسوف - ح ٩٠١ - ج ٢ ص ٦١٨

٤- سورة الأنعام - الآية ١٥٨

٥- سورة يونس - الآية ٩٠

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿١﴾، والصنف الثاني ﴿أَصَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾^٢، ابتلاه الله بالحسنات وبالسيئات فلم يرجع، أراه الآيات السمعية وأجرى له الآيات العينية فلم يرعوي، مهله وأمهله، ثم استدرجه فأخذه أخذ عزيز مقتدر، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿١﴾ فَلَوْلَا إِذِ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٣﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾

وهذا نوع من التأثير بمن غفلوا عن آيات الله، حري بالمسلم أن يبتعد عنه، ولا يفهم من هذا إنكار أسباب هذه الظواهر، ولكن الإنكار على من أغرق في النظر للأسباب ونسي مسببها ومجريها في الوقت الذي يشاء على غير طبيعتها.

فالمؤمنون العقلاء يعتبرون بالآيات السمعية، ودوهم مرتبة؛ من لا يعتبر إلا بالآيات العينية، وهؤلاء قد تكون الآيات العينية لهم نعماً يكفر الله بها عن أناس، وتذكر بها أمم فترجع إلى ربها، كما أنها قد تكون سخطاً وعقاباً لمن أمن مكر الله وعذابه، فأعرض عن الآيات السمعية والعينية، والسعيد من وعظ بغيره، فبادر بالتوبة والإنابة، ومسكين مسكين مسكين، من ظن أن الأمر بالتوبة لا يشملها، أو أن الموت بعيد عنه، ولا زال معه فسحة من حياة ليتوب ويرجع.^(٤)

١- سورة يونس - الآية ٩٢

٢- سورة الجاثية - الآية ٢٣

٣- سورة الأنعام - الآية ٥٤-٥٥

٤- انظر بحث الزلزال - أ. د. ناصر بن سليمان العمر - ص ٣- ٥

المطلب الأول : الأقوام التي استجابت للنذر

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن

كَذَّبُوا فَأَخَذْنَا هُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(١)

ينبغي أن نفرق في بداية هذا المطلب بين أمرين:

الأمر الأول: أن يؤمن ويستجيب القوم الموجه لهم الإنذار، بمعنى أن يؤمن كل أفراد القرية المنذرة

، وهذا لم يحدث - فيما ورد لنا في القرآن الكريم وصحيح السنة - إلا قليلا جدا.

وذلك مثل ما حدث لقوم يونس كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَنَنَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ

يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾^(٢)

" وروي في قصة قوم يونس عن جماعة من المفسرين: أن قوم يونس كانوا بنيوي من أرض الموصل

وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام وترك ما هم

عليه فأبوا ؛ فقبل : إنه أقام يدعوهم تسع سنين فيئس من إيمانهم؛ فقبل له: أخبرهم أن العذاب

مصحبهم إلى ثلاث ففعل، وقالوا: هو رجل لا يكذب فارقبوه فإن أقام معكم وبين أظهركم فلا

عليكم، وإن ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لا شك ؛ فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم

فأصبحوا فلم يجدوه فتأبوا ودعوا الله ولبسوا المسوح وفرقوا بين الأمهات والأولاد من الناس

والبهائم، وردوا المظالم في تلك الحالة. وقال ابن مسعود: وكان الرجل يأتي الحجر قد وضع عليه

أساس بنيانه فيقتلعه فيرده؛ وعن ابن عباس أنهم غشيتهم ظلة وفيها حمرة فلم تنزل تدنو حتى

١- سورة الأعراف - الآية ٩٦

٢- سورة يونس - الآية ٩٨

وجدوا حرها بين أكتافهم.."^(١) وقال الطبري: خص قوم يونس من بين سائر الأمم بأن تيب عليهم بعد معاينة العذاب^(٢)؛ وقال الزجاج: إنهم لم يقع بهم العذاب، وإنما رأوا العلامة التي تدل على العذاب ، ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الإيمان^(٣) .

قال القرطبي : قول الزجاج حسن ؛ فإن المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون ، ولهذا جاء بقصة قوم يونس على أثر قصة فرعون لأنه آمن حين رأى العذاب فلم ينفعه ذلك ، وقوم يونس تابوا قبل ذل.^(٤)

الأمر الثاني: إيمان أعداد قليلة من القوم، وهم في العادة من المستضعفين، والفقراء، ثلثة من البشر لم يقف بينها وبين إنذارات الله سدود المال أو السلطان، أو الجاه، والترف والهيلمان. قلة مستضعفة، مضطهدة من أقوامها، لكنها متمسكة بثوابتها، صابرة على ظلم أقرب الناس لها، حتى يأتي أمر الله، وتسطع شمس الإنذار المبين، والإهلاك والاستئصال العقيم، فينجي الله الذين اتقوا ويمحق الكافرين.

وهذه الثلثة المؤمنة، الصابرة، المجاهدة، لم يتركها قومها، على طول المسيرة البشرية، بل جوبهت بالتعذيب والإهانة والاضطهاد، ويتضح ذلك جليا في قصة أول المرسلين - نوح عليه السلام - مع قومه، فهم أول من وضع قواعد فقه (ما نراك وما نرى) في بداية المسيرة البشرية، فبعد أن قالوا لنوح عليه السلام: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ظننا منهم أن الرسالة لا تكون إلى في جنس أكرم من الجنس البشري كالملائكة النوريين، أو الجن الناريين.

١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، - العلامة مجد الدين محمد الفيروزآبادي - ج ٣ ص ٨٨

٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن- ابن جرير الطبري - ج ٨ ص ٩٠

٣- انظر تفسير القرآن العظيم - عماد الدين ابن كثير - ج ٥ ص ٤٧

٤- الجامع لأحكام القرآن- محمد القرطبي - ج ٤ ص ٨٨

انتقلوا بعد ذلك إلى أتباعه الذين آمنوا برسالته وقالوا: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾^(١) قال المفسرون: الرذل أي الخسيس الحقير من كل شيء^(٢). لقد قالوا له ما نراك اتبعك إلا الذين هم أرادنا كالباعة والحاكمة وأشباههم، ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا، ثم هؤلاء الذين اتبعوك، لم يكن عن ترو منهم ولا فكر ولا نظر بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك، ولهذا قالوا. ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾^(٣) لقد نظروا إلى أتباع نوح عليه السلام. بمنظار الطبقة المنتفخة الجيوب والبطون.

وبالطبع فإن المنتفين حول نوح عليه السلام والمؤمنين به لم يكونوا أراذل ولا حقراء، ولكن بما أن الأنبياء ينهضون للدفاع عن المستضعفين قبل كل شيء، فأول جماعة يستجيبون لهم ويلبسون دعوتهم هم الجماعة المحرومة والفقيرة ..

ثم قالوا بعد أن فرغوا من تحقير أتباع نوح: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي أن دعوتكم لنا ونحن عندنا ما نتمتع به من مزايا الحياة الدنيا كالمال والبنين والقوة. إنما تستقيم لو كان لكم شيء من الفضل تفضلون به علينا من زينة الحياة الدنيا أو علم من الغيب، حتى يوجب ذلك خضوعا منا لكم، ونحن لا نرى شيئا من ذلك عندكم.^(٤)

وهكذا اتهموا نوحا عليه السلام بالتآمر عليهم عندما قالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾^(٥) واتهموه هو وأتباعه بنفس التهمة عندما قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾^(٦)

١- سورة هود - الآية ٢٧

٢- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ١١ ص ٤٤٢

٣- الميزان في تفسير القرآن - للعلامة محمد حسين الطباطبائي - ج ١٠ ص ٢٠٢

٤- الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي - ج ١٠ ص ٢٠٤

٥- سورة المؤمنون - الآية ٢٤

٦- سورة هود - الآية ٢٧

إن الشذوذ والانحراف في قانونهم نظام وقاعدة، وغيره استثناء، ومن يقترب من القاعدة بماء نظيف فهو خارج عن القانون، لقد اهتموا الدعوة بأنها دعوة الجياع الذين يريدون الاستيلاء على الطعام وزخرف الحياة. ولو حوا إلى نوح عليه السلام بأن يطرد هؤلاء من حوله. نظرا لخطورهم على المدى البعيد كما يعتقدون يقول تعالى:

﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَابِعَكُمْ الْأَرْدُلُونَ* قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ* وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ* إِنَّ أَنَا إِلَّا تَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(١) قال المفسرون: لقد ذكروا له أن متبعيه من العبيد والفقراء والسفلة وأرباب الحرف الدنيئة. فنفى عليه السلام علمه بأعمالهم قبل إيمانهم به^(٢) وقال وأي شيء يلزمني من أتباع هؤلاء لي، ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه، لا يلزمني التنقيب عنهم والبحث والفحص، إنما علي أن أقبل منهم تصديقهم إياي وأكل سرائرهم إلى الله عز وجل^(٣). وقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كأهم سألوا منه أن يبعدهم فقال: لا شأن لي إلا الإنذار والدعوة. فلست أطرده من أقبل علي وآمن بي^(٤) فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني سواء كان شريفا أو ضيعا. جليلا أو حقيرا^(٥) وفي مجمل رده عليه السلام كما جاء في سورة هود قال: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ* وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٦)

١- سورة الشعراء - الآيات: ١١١ - ١١٥.

٢- انظر الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي - ج ١٥ ص ٢٩٦

٣- انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٢ ص ٣٤٠

٤- انظر الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي - ج ١٥ ص ٢٩٦

٥- انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٣ ص ٣٤

٦- سورة هود - الآيتان: ٢٩ - ٣٠ .

قال المفسرون: لقد أطلق قومه المترفون على أتباعه لفظ الأراذل. فغير عليه السلام اللفظ إلى الذين آمنوا تعظيماً لإيمانهم وارتباطهم برهم. ورفض أن يطردهم من عنده. وعلل ذلك بأن الذين آمنوا لهم يوماً يرجعون فيه إلى الله. فيحاسبهم على أعمالهم فالملأ ينظر إلى أتباعه على أنهم أراذل ولا يملكون مالا أو جاهاً، وهذه نظرة قاصرة، فالحياة الدنيا عرض زائل وسراب باطل. ولا تخلو من خصال خمس: لعب وهو وزينة وتفاخر وتكاثر، وهذه الخصال يتعلق بها أو ببعضها هوى الإنسان، وهي أمور زائلة لا تبقى للإنسان. وعندها لا يبقى إلا عمل الإنسان. وهذا العمل سيظهر جلياً يوم القيامة؛

والذين آمنوا سيعرضون على الله فيحاسبهم، ولا يملك أحد أن يحاسبهم سواه...^(١)

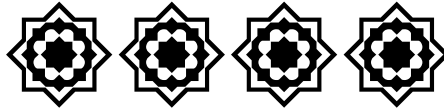
"ثم قال لهم: ﴿وَيَا قَوْمٍ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفْلاً تَذَكَّرُونَ﴾ أي من يمنعه من عذاب الله إن طردهم من عنده، أفلا يتذكرون أن هذا العمل إذا تم يكون ظلماً؟ والله تعالى ينتصر للمظلوم من الظالم وينتقم منه، والعقل جازم بأن الله سبحانه لا يساوي بين الظالم والمظلوم، ولا يدع الظالم يظلم دون أن يجازيه على ظلمه بما يسوءه ويشفي به غليل صدر المظلوم والله عزيز ذو انتقام. لكن القوم لا يفقهون قولاً، فدستور التحقير الذي وضع الشيطان أصوله جرى في عروقهم مجرى الدم، فهم قادة عالم اللعب واللهو والزينة وهم أساتذة في التفاخر، فإذا جاءهم منهج من غيرهم واتبعه عمالهم كان في ذلك شقاؤهم.

لهذا وقفوا منذ البداية في موقف الصد عن سبيل الله، وتبني الأشراف ثقافة تشربها العامة والغوغاء بسهولة، ثقافة تقول لهم: لا تضعوا وقتكم أمام دعوة لا طائل من ورائها! ثقافة تحرك لسانها

١- انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - ج ٤ ص ٢٠٢

بكلمات عذبة تضرر خدعا معسولة خدع معسولة تلفها أحابيل ماكرة. ما إن تسمعها آذان الغوغاء حتى تحتضنهما قلوبهم وتدافع عنها سواعدهم، وكفى بالسواعد أن تدافع عن نظام الملائك! ذلك النظام الذي يهدده أراذل أخساء على رأسهم بشر يدعي أنه يوحى إليه. ويطالب القوم بإتباعه وطاعته، وهو- أي الرسول - وهم - أي الأراذل - لا يملكون لعبا ولا لهوا ولا زينة".^(١)

والخلاصة أن فقه التحقير والانتقاص الذي وضعه الشيطان ورعاه كفار قوم نوح في بداية الطريق. كان بجميع المقاييس كارثة على المسيرة البشرية فيما بعد لأنه كان عمود عتيق على طريق الانحراف والصد عن سبيل الله، وأسس لفقه المواجهة لدعاة الحق ونذر رب العالمين، والمؤمنين المستجيبين لهم.



المطلب الثاني : الأقوام التي أعرضت عن النذر

لا يمكن أن يعادي المسلمون والإسلام الحق الذي يعرضه من هاج الله إلا المجرمون الظالمون المعتدون المفسدون في الأرض . وباستعراض التاريخ البشري نجد هذه الحقيقة ناصعة جلية ، ونجدها كذلك مبسطة في منهاج الله بصورة مفصلة واضحة .

يعرفهم القرآن الكريم بخصائصهم النفسية والفكرية والخلقية ، ويطلق عليهم الأسماء التي يكشف كل اسم منها صفة نفسية أو فكرية أو خلقية . إنهم العصاة أو العصابات التي تعبد مصالحها المادية قبل أي شيء ، وتضع مصالحها المادية فوق كل شيء . إن مصالحها المادية هي الوثن الأول والصنم الأكبر الذي يعبدونه من دون الله . ولا يمتنعون بعد ذلك عن استخدام الدين ، أي دين ستاراً يتخفون خلفه ، أو أداة يركون بها قطعانهم ، أو تجارة يرجون بها الدنيا وزينتها . إنهم الذين يريدون أن يجمعوا الدنيا بين أيديهم ، ليترفوا فيها ، ويتمتعوا بها ، إنهم هم الذين يقفون في وجه كل نذير ، ويصدون عن سبيل الله .^(١)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾^(٢)

ولولا أن مضت سنة الله في الأرض بأن يظل في الأرض أولو بقية ينهون عن الفساد ، لطغى المجرمون في التاريخ كله وما بقي للإيمان من ذكر:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾^(٣)

١- أصناف الناس ومواقفهم من دين الله - الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي

٢- سورة سبأ - الآية ٣٤، ٣٥

٣- سورة هود - الآية ١١٦

هذه العصابة أو العصابات اكتسبت من خلال تجاربها خبرة جعلتها تعتقد أن الذي يقف أمام ظلمها وعدوانها و جرائمها وإفسادها في الأرض هو الإسلام وحده وجنوده الصادقون مع ربهم ودينهم وأمتهم . علموا من تجاربهم أن الإسلام كما أنزل على محمد ﷺ لا يُساوم على حق ، ولا يقبل باطلاً ، ولا يسمح بظلم ولا عدوان ولا جريمة .

لقد وجدت هذه العصابات الجريمة أنها قادرة على شراء الضمائر الخائفة والنفوس المريضة ، والمذاهب المنحرفة ، والقوى المضللة ، إلا الإسلام فإنه حق لا يقبل إلا الحق ، ولا سبيل إلى التنازل عن الحق . لقد رأوا أن الإسلام يجردهم من متعة الفجور وهو الترف واستعباد الشعوب ، وإذلال الإنسان ، ونهب الثروات من الأرض كلها لتصب في جيوبهم وحدهم ، أو يتنازعا عليها هؤلاء كيف يرضون عن دين يمنعهم من هذا الظلم ويجردهم من هذه المتعة الحرام واستمع إلى قوله تعالى:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١﴾

وتدبر قوله سبحانه وتعالى : ﴿... كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ...﴾ ! إلى ماذا كان يدعوهم ؟! كان يدعوهم إلى ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) . فأدركوا أن هذا هو الحق الذي يمنع الباطل الذي هم فيه ، فكبر عليهم يومئذ ، وكبر عليهم اليوم وسيكبر عليهم غداً . هذا هو السبب الرئيس الداخل في أعماق نفوس هؤلاء الجرمين ، والسبب الذي يجعلهم يكرهون

الإسلام وأهله . إنهم ماضون في فهمهم هذا مع الزمن كله ، حتى يردُّوا بعض المسلمين عن دينهم إن استطاعوا ، أو يفتنوهم . ولن تتغيّر الأهداف من فهمهم ولكن قد تتغير الأساليب .

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ

كَافِرًا فَلِئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١)

هذه الطبقة المجرمة لا تلتزم بدين واحد إلا دين المصالح المادية ، ولكنها قد تكون في أصلها منتسبة للنصرانية أو اليهودية أو الإسلام ، أو أي مذهب وثني ، أو للكفر الصريح . وليست من قومية

واحدة ولا جنس بشري واحد . أمام المصالح المادية تذوب الخلافات الجنس والقومية والدين .

ولا تنور هذه القضايا إلا عند حاجتها لدعم مصالحهم المادية . فيستغلون الدين والعنصرية

والقومية لإثارة النزاع أو الخلافات كلما استدعى الأمر ذلك ..^(٢)

"من خلال هذا التصور الذي نلمسه حقيقة واقعة في التاريخ البشري نجد أن هنالك طبقتين من

الناس في هذه المجتمعات بصورة عامة، يخرج عنهما القليل من الناس . هاتان الطبقتان هما الطبقتان

اللتان يصفهما القرآن الكريم وصفاً مفصلاً في كثير من السور والآيات ، ويسميها :

المستكبرين والضعفاء أو المستضعفين ،

أو الذين اتَّبَعُوا والذين اتَّبَعُوا ،

أو الكبراء و الأتباع .

ولنتدبر بعض الآيات الكريمة التي تتحدث عن هؤلاء وهؤلاء :

١- سورة البقرة - الآية ٢١٧

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - عبدالله البيضاوي - ج ١ ص ٥٤

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ ﴿١﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُكَ فَنَتَّبِعُكَ مِمَّا كُنتَ تَبْرَأُ مِنَّا كَمَا تَبَرَّوْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٣﴾

إن هذا هو الداء القاتل الأول في حياة البشرية ، حين تتكون طبقة تستأثر بحب الناس حبا أكثر من حبهم لله ، فيكون السادة الكبراء أو المستكبرون من ناحية والأتباع الضعفاء المستضعفون من ناحية أخرى . ويكون مصير الفريقين إلى النار" .(٢)

وكذلك قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ ﴿١﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

وكذلك قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّهُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا الثَّمَارَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْصَانِ فِي أَغْصَانِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥﴾

١- سورة البقرة - الآية ١٦٧، ١٦٥

٢- القرآن والطبائع النفسية - الأستاذ الشيخ محمد صالح العمري - ص ١٠٥

٣- سورة الأحزاب - الآية ٦٨، ٦٧

٤- سورة سبأ - الآيات ٣١ إلى ٣٥

ولم يكن ذلك النهج من المعاندة فريداً!!، إذ ووجه به وبمثله كلُّ نبي من الأنبياء؛ وكل رسول من الرسل، بل أصبح سنةً بشريةً؛ كثيراً ما رسمت صورة العلاقة بين الإيمان ونقيضه، وقد دعا الله عز وجل القوى الفاعلة في مسيرة الإيمان وسماها بـ "النذير" وهي القوى التي قد يمثلها: (الرسول، النبي، المؤمن) بينما جعل "المترف" ممثلاً للنقيض في هذه العلاقة، والذي قد يمثله (الكافر والمشرك...) فقال عز اسمه:

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(١)

وهذه الطبقة المترفة ترتعد فرقا من أي شعاع من نور الحق ولا تهنأ ما لم تضع المعوقات والعراقيل في طريق الدعاة المنذرين^(٢)، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٣) الَّذِينَ يَسْتَحِجُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ^(٤)،

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي آفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾^(٥)

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُحْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾^(٥)

١- سورة الزخرف - الآية ٢٣

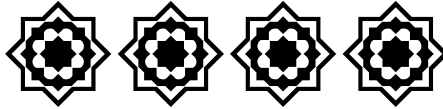
٢- انظر كتاب الكبر داء بلا دواء - محمد خيرى الهوارى - ص ٣٣-٣٤

٣- سورة إبراهيم - الآية ٢-٣

٤- سورة إبراهيم - الآية ٩

٥- سورة إبراهيم - الآية ١٣

وتأمل مصداق هذا في حديث ابتداء الوحي حين أتت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها برسول الله ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: " هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك" فقال رسول الله ﷺ: "أومُخرِجِيَّ هم؟! " قال: "نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي" (١) فهذه إشارة واضحة إلى أن هذه سنة من سنن الله تعالى في رسله ومن أرسلوا إليهم، وتوجيه للنبي صلوات الله وسلامه عليه ليكون مستعداً لهذا الحمل الثقيل، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (٢).



١- صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي على الرسول ﷺ - ح ٣ - ج ١ ص ٤

٢- سورة المزمل - الآية ٥

المطلب الثالث : مظاهر الإعراض عن النذر

وفيما يلي تفصيل لما جوبه به دعاة النور، ونذر العلي الكبير من معوقات واعراض من أقوامهم :

أولاً : حب الدنيا على الآخرة

وقد جاء هذا وصفاً للكافرين في قوله تعالى : " وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴿١﴾ ، وهذا المعوق يمكن اعتباره في الحقيقة الداء الأصيل لكل من وضع أمام الدعوة عائفاً أو اعترض على إنذارها، لأنهم (يقدمونها [أي الدنيا] ويؤثرونها عليها [أي الآخرة] ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم) ^(١)، فالذي يعمل للدنيا يتخبط في كل أوديتها ويسير وراء كل هوى، فكلما عارض الشرع ودعوة الحق هوأه أخذ يضع من العوائق والعقبات ما يحجب دعوة الحق عنه لتخلي بينه وبين هوأه، وهذا عندي هو وجه كون الدنيا وزخرفها وسلطانها وهيلمانها هي العائق الأصيل أمام تقبل الكفار والمعاندين لنذر رب العالمين، فهو يتعدي كونه مانعاً من قبول الفرد للنذر وتلقيها إلى تجنيد هذا الفرد تحت إمرة إبليس للوقوف في طريق الدعوة بشتى السبل كما سيلي؛

ثانياً : الصد عن سبيل الله

وسبيل الله هنا بمعنى (إتباع الرسل) ^(٢)، فهؤلاء الكفار لا يكتفون برفض دعوة الرسل والاستهزاء بإنذاراتهم لهم ولكنهم يصرفون الناس عن إتباع ما جاءت به الرسل، وهذا الصد يكون بالرفض تارة وبالإكراه تارة وبالتهديد تارة وبالتشويه والتحريف تارة كما بينت الآية في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أي (يحرصون على تمجيتها [أي سبيل الله] وتقبيحها للتفسير منها)

١- تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء عماد الدين ابن كثير - ج ٤ ص ٥٩٦ وما بين قوسين من كلامي

٢- تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء عماد الدين ابن كثير - ج ٣ ص ٣٤٤

(١)، ولما كان دأب هؤلاء هو التشهير بالدعاة والمنذرين فقد رد عليهم القرآن بمثل ما فعلوا فشهر الله تعالى بهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد وبين أنهم معادون لمولاهم ومعادون للحق ومعادون لأنفسهم في اعتراض دعوة الرسل وتنفير الناس منها، ولقد ذكر الله تعالى أمثال هؤلاء في غير موضع من القرآن، فهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢). فكان جزاء هؤلاء من جنس عملهم ولبئس ما عملوا.

ثالثاً : الاستهزاء بالرسول

وهذا مسلك آخر لهؤلاء الكفار وهو دليل على إفلاس حججهم بل عدمها، إذ لو كانت لهم حجة من المعقول أو أثر صحيح منقول لخاصموا به الرسل، ولكن لما أعيتهم الحيلة جحدوا ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، ولقد تعددت أقوال أهل التفسير في المراد من هذا الوصف، وذكر منها الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى أن معناها أن الكفار عضوا على أناملهم غيضاً مما جاء به الرسل، أو أنهم فعلوا ذلك من العجب لما سمعوا من دعوة الرسل، أو أنهم إنما يشيرون بأيديهم إلى أفواه الرسل ليسكتوا عما جاءوا به، أو أنهم كذبوهم بأفواههم (٣) إضافة إلى أقوال أخرى، (٤)، وأول الأقوال مأثور عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ولعله أصح المأثور في الآية إسناداً، ووجهه ابن جرير الطبري بقوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ص ٣٧٠

٢- سورة آل عمران - الآية ٩٩

٣- وهذا على أن في بمعنى الباء، ذكره في أضواء البيان

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي - ج ٢ ص ٥٨-٥٩

بِدَاتِ الصُّدُورِ^(١) وهو يوحى بشيء من الاستهزاء والتهمك وهذا مشاهد ومعروف عند الناس فترى الرجل إذا تكلم بكلمة لا يحبها القوم وضعوا أيديهم على أفواههم وتمكثوا وربما تبسموا أو ضحكوا استخفافاً واستهزاءً بما يقول، وهذا لا يتعارض مع ما أثار عن ابن مسعود رضي الله عنه بل يكون ما ذكره من عضهم على الأنامل غيظاً في حال السر، واختلائهم ببعض البعض كما ذكر تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(٢)، ويكون الاستهزاء والاستخفاف والتهمك في الملاء والعلن، وهذا أبلغ في الصد عن سبيل الله من إظهارهم الغيظ من الرسل.

رابعاً : إثارة الشكوك والشبهات

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، وردت عليهم الآية رداً حاسماً في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، ذلك أن هذه الشبهة شبهة واهية لا تستحق النقاش والجدال فكان كافياً في الرد عليها تقرير ما هو مستقر في الفطر السليمة والعقول الصحيحة، ولكن الغرض هنا التنبيه على مدى الخطأ هؤلاء الكفرة الصادين عن سبيل الله والمعاندين لنذره فهم لا يتورعون عن إثارة الفتنة والشبهة مهما كانت الحقيقة بدهية في العقول، ولكن ما تقول فيمن جعل الله في قلبه مرضاً وعلى بصره غشاوة وفي أذنه وقر نسأل الله السلامة والعافية.

خامساً : الإيذاء الحسي والإخراج من الأرض

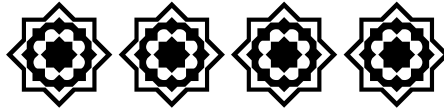
وهذا التهديد الذي واجهت به أقوام الرسل دعواتهم ومنذريهم كما حكى الآية تهديدهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِي مَلْتَنَا﴾، ولا شك أن هذا التهديد يعتبر من المعوقات المهمة

١- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ٤ ص ٦٠١ بتصرف

٢- سورة آل عمران - آية ١١٩

٣- سورة إبراهيم - الآية ١٠

لانتشار الدعوة وتقبل الناس للنذر، فالمرء محبوب على حب موطنه والأنس به وكرهه الإخراج منه، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة فقال: "والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت" (١)، ولقد فصلت آيات أخرى في كتاب الله تهديد الكفار هذا لرسولهم، فجاء قوله تعالى عن قوم شعيب: ﴿لُخْرِجْنَا يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ (٢)، وقوله تعالى عن قوم لوط: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ (٣)، وقال تعالى عن قريش: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُغِيثُوكَ أَوْ يُقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ (٤)، (٥). فهذا تنبيهه للرسول المنذرين وللدعاة من بعدهم إلى عظم ما سيقابلهم به قومهم، وأن هذا يجب ألا يشبههم عن المضي قدماً في أداء الرسالة، والله تعالى متكفل بأولئك ولئن مكروا مكرًا فالله تعالى محيطٌ بمكرهم لا محالة.



١- سنن الترمذي - كتاب المناقب - باب فضل مكة - ح ٣٩٢٥ - ج ٥ ص ٧٢٢ وقال أبو عيسى : حديث حسن غريب

صحيح ، والحزورة مكان بسوق مكة

٢- سورة الأعراف - الآية ٨٨

٣- سورة النمل - الآية ٥٦

٤- سورة الأنفال - الآية ٣٠

٥- انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي - ج ٢ ص ٦٠

البحث الثاني

موقف المنذرين في عهد الرسول ﷺ

المطلب الأول : أهل مكة (بين المستجيب والمنكر) ❁

المطلب الثاني : أهل المدينة (بين المؤمن والمنافق) ❁

المطلب الثالث : أهل الكتاب ❁

المطلب الرابع : كفار العرب ❁

المطلب الأول : أهل مكة (بين المستجيب والمنكر)

بُعِثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهو يضع في حسابه أن دعوته ستجابه بالرفض والتحدّي دون أدنى شكّ ، فعرب الجاهلية تشرّبت قلوبهم بعبادة الأوثان ، ورسول الله ﷺ تشغله هموم التبليغ ، وخاصة أنّه كان يتمنّى أن يسارع في الاستجابة له أهله وعشيرته ، وكلُّ من يتّصل به بنسب أو سبب ، لأنّهم آله وعشيرته الذين يشكّلون قوة مكينة ، لمكانتهم المرموقة في داخل مكّة وخارجها ، فسيعود عليه إسلامهم بالنصر حتماً ، فيصبح مرهوب الجانب وفي منعةٍ من الأعداء الألداء ، وهذه وسيلة متينة لتثبيت دعائم دعوته .

ومع كلّ تميّاته تلك كان يخشى أيضاً أن يرفضوا دعوته إذا دعاهم لدين التوحيد ، فينضمّوا إلى غيرهم من الأعداء والمكذّبين والمستهزئين ببعثته ﷺ .

في تلك اللحظات الحاسمة دوى صوت جبرئيل ليماً أذني النبي بالندارة ، مبلّغاً عن الله عزّ اسمه قوله : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ* وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١) . ألقاها على عاتقه الشريف ، وليس له مناصر ومعين غير نفر قليل مستخفين بإيمانهم ، وكان هذا الحدث بعد مبعثه الشريف بثلاث سنين.^(٢)

قال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم : « لما أنزل الله على رسوله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ اشتدّ ذلك عليه وضاق به ذرعاً ، فجلس في بيته كالمريض ، فأتته عمّاته يعدّنه ، فقال : « ما اشتكيتُ شيئاً ، ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين »^(٣) ..

بعد ذلك عزم رسول الله ﷺ امتثالاً لأوامر الله تعالى على إنذار آلِه وعشيرته ودعوتهم إلى الله ، فجمع بني عبدالمطلب في دار أبي طالب ، وكانوا أربعين رجلاً — يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً

١- سورة الشعراء - الآيات ٢١٤-٢١٦

٢- انظر : المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً - الأستاذ عبد السلام ياسين - ص ٥٠

٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود الألويسي - ج ٤ ص ٤٤

— وكان قد قال لعلي عليه السلام : « اصنع لي صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملاً لنا عساً من لبن » ، قال علي عليه السلام وهو ينقل هذا الحديث واصفاً قومه : « وإن منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق » ^(١) ، وأراد عليه السلام بإعداد قليل من الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية لهم في شيعهم وريهم مما كان لا يشع الواحد منهم ولا يرويه ^(٢) .

فقال ﷺ : « رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ » قالوا : بلى ، أنت عندنا غير متهم ، وما جرّبنا عليك كذباً ، فقال : « أني نذير لكم من بين يدي عذاب شديد » فقطع كلامه عمه أبو هب ، وقال : تبا لك ! ألهذا جمعنا؟! ثم عاد فجمعهم ثانية ، فأعاد أبو هب مثل قولته الأولى ، فتنفّقوا ، فأنزل الله تعالى عليه (تبت يدا أبي هب وتب) ^(٣) .

ولكنه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لم ييأس رغم أن هذه البداية الظالمة من أهله وأقرب الناس إليه ، كانت كفيلة بوأد الدعوة في مهدها ، فهو الرسول المختار ، الذي اصطفاه الله دوناً عن سائر البشر ليكون خاتم أنبيائه وأشرف رسله ، وخير من طلعت عليه الشمس فمضى متأسياً بإخوته الرسل وحمل هم هذه الدعوة ، معتصراً ألمه في قلبه ، صابراً محتسباً وعاود الكرة ﷺ بالأقربين ، ولكن هذه المرة ليس مع كل الأقربين ، وإنما كان يختار اختياراً ، وينتقي انتقاءً ، ويتوسم توسماً ، ويتفرس فراسة ، حتى يختار الأدنى والأقرب من هذا الدين بخلقه وسمته ورجاحة عقله وطهاره سلوكه ^(٤) .

١- مسند الإمام أحمد بن حنبل - رقم الحديث ١٣٧١-ج ١ ص ١٥٩

٢- تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء عماد الدين ابن كثير - ج ٣ ص ٣٥١

٣- صحيح ابن حبان - محمد بن حبان البستي - ج ١٤ ص ٤٨٧

٤- انظر: الموسوعة الإسلامية الكبرى - موسوعة السيرة النبوية - موقع أم الكتاب على الشبكة العنكبوتية

"فكان أول من أسلم من الرجال أبو بكر - رضي الله عنه - وقد ورد في كثير من الآثار أنه ما شرب حمراً ، وما سجد لصنم قط ، وكان أنسب قريش لقريش وكان أشهر رجالها في تجارتهم ، وكانت هذه الملامح هي ملامح الانتقاء التي رآها النبي ﷺ في أبي بكر ، فكان أول من دعاه من الرجال وأسلم .

وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب ، وكان لصيق النبي ﷺ ورفيقه ، وبعد ذلك أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ، وكان مولى للنبي ﷺ ، وزوجه من النساء خديجة رضي الله عنها وكانت قريبة منه ، فكان يبذر الدعوة في الأقربين المقربين من حيث قرههم من هذه الدعوة . وبعض الملامح التي يؤمل فيهم أن يكونوا أسرع في القبول ، وأسرع في التأثر ، وأسرع في أن يعضدوا هذه الدعوة ، وأن يشدوا في ركابها ، وأن يدعموها ، إضافة إلى القرب الحسي ، سواء كان قُرباً في النسب ، أو كان قُرباً في البيئته ، وهذا لا شك أنه مهم ، لأن بعض من يجون الدعوة ، ويرغبون في نشرها يشترقون ويغربون ، ويدعون هنا وهناك لا ينفع الله بهم ، لكن النفع الأكثر والأظهر في تأثيره ، والأسرع فيما يعود على الدعوة والمجتمع الإسلامي في الأثر ، هي هذه الدعوة التي تختص في هذه الدوائر القريبة من حيث القرب الحسي ، ومن حيث القرب المعنوي ، وإنك إذا أردت أن تدعوا اليوم ، فإنك تدعوا من يصلي ولو في بيته فهذا أدنى للقبول ممن قد ترك الصلاة أو ترك بعض أوقات الصلاة ، وإنك تدعوا من يصلي في المسجد فتكون استجابته أدهى وأقوى ممن يصلي في بيته ، وإنك تدعوا من لا يقارف المعاصي والمنكرات ، ولا يتوغل في الشهوات ، فيكون أقرب لهذه الدعوة والاستجابة لها ، ولا يعني ذلك مجال من الأحوال أن لا يراعى أمثال هؤلاء ، ولكن هذه أولويات وانتقادات ، والنبي ﷺ قد أنذر عشيرته أجمعين ، لكنه خص أولئك ابتداءً ، حتى كان اختياره ﷺ في موضعه و مكانه . فلاذ بهذه الكوكبة امرأة و غلام

ومولى وشريف من الأشراف .. إذا بهم كوكبة تنطلق بها الدعوة ؛ فأبو بكر يسجل في صحيفته عثمان ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهم أجمعين، ويدخلون هذا الدين بدعوة أبي بكر - رضي الله عنه - بما كان عنده من إيمان ، وحصافة ورجاحة عقل ، إضافة إلى شرفه وكلمته المسموعة^(١).

رغم إيمان هذه الثلة الكريمة إلى أن رياح التكذيب والعناد قد عصفت بكل عنف وشدة، في وجه دعوة الرسول ﷺ، فوجهه بالتكذيب تارة، والاستهزاء تارة، والعناد تارة، والازدراء والاحتقار تارة، والتعجيز والتبكيث تارة أخرى، ولنستعرض بعض الآيات التي تتحدث عن مواجهة الكفار لدعوة الرسول الكريم وإنذاراته:

١- ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢)

٢- ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾^(٣)

٣- ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٤) (فلعلك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى إليك) فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به (وضائق به صدرك) بتلاوته عليهم لأجل (أن يقولوا لولا) هلا

١- انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - للإمام محمد بن يوسف الشامي - ص ٢٢ ،

وانظر : موسوعة أهل السنة - عبدالرحمن دمشقية- ج ٣ ص ٧٦

٢- سورة يونس - الآية ٢

٣- سورة الأحقاف - الآية ٣

٤- سورة هود - الآية ١٢

(أنزل عليه كثر أو جاء معه ملك) يصدقه كما اقترحنا (إنما أنت نذير) فما عليك إلا البلاغ لا

الإتيان بما اقترحوه (والله على كل شيء وكيل) حفيظ فيجازيهم. ^(١)

٤- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ^(٢)

(ويقول الذين كفروا لولا (أنزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة ، قال

تعالى : (إنما أنت منذر) مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات (ولكل قوم هاد) نبي يدعوهم

إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون. ^(٣)

٥- ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا نُزِّلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ

نَذِيرًا﴾ ^(٤)

(وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا (أنزل إليه ملك فيكون معه

نذيرا) يصدقه.

"وكان النبي ﷺ من خلال هذه الصورة القرآنية، يحزن من مسارعة الناس إلى الكفر، فيتألم من

بعض ما يقولون له من كلام، ويضيق صدره مما يمكرون. فهل كان هذا الشعور السلبي في الواقع

منطلقاً من إحساسه بالمشكلة الذاتية في موقف القوم منه، أو كان انفعالاً بالمفاجأة برفض الأكثرية

للمرسالة الجديدة التي هي الحق والخير والعدل كله للناس كلهم، الأمر الذي يجعل رفضهم ضدّ

١- انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - علي بن أحمد الواحدي - ج ١ ص ٥٢٢

٢- سورة الرعد - الآية ٧

٣- انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الواحدي - ج ١ ص ٥٧٠

٤- سورة الفرقان - الآية ٧

مصلحتهم، لأنهم لم يكتشفوا الله في وجدانهم الذي تحجّر بالذهنية الوثنية، ففقدوا الإحساس

بإنسانيتهم وبكل قيمتها الروحية والأخلاقية وبكل ما يرفع مستواها في الحياة؟

أو كانت هذه المسألة منطلقة من حال التحدي الصارخ التي كانت تواجهه في شكل يومي، فيما

يقترحون عليه من آيات جديدة، أو في القول: لولا أنزل عليه كثر، أو لو جاء معه ملك، وفي

إعلان التكذيب له، وفي السخرية به والاتهامات الكاذبة الموجهة إليه؟^(١)

لقد تحدّث الله إليه، حول كل هذه الأجواء، فإذا كان الحزن منهم لأنهم — في كفرهم — سوف

يتزلون الضرر بالله، فالله يقول:

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنَبْغِضُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

وإذا كان من ناحية الاستهزاء:

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣).

وإذا كانت المسألة مسألة تكذيبهم له في دعوته:

﴿قَدْ نَعَلِمَ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ

كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ

وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤).

١- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع- عبدالرحمن حسن حبكة الميداني - ص ٣٤

٢- سورة آل عمران - الآية ١٧٦

٣- سورة الأنعام - الآية ١٠

٤- سورة الأنعام - الآية ٣٣-٣٤

وإن كان قد كبر عليك إعراضهم عنك وعن رسالتك، فلا بُدَّ لك من أن تتحمَّل ذلك، لأنَّهم لن يقبلوا عليك إلاَّ إذا استجبت لطلباتهم التي لا تملك الاستجابة لها:

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَآيَةً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١) بقدرته التي تجعلهم مؤمنين بطريقة تكوينية، ولكنَّ الله أراد لهم أن يؤمنوا باختيارهم، فلم يفرض عليهم الإيمان ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ، لأنَّ القضية تتحرَّك من موقع وعيٍ للرسالة في مقارنةٍ بالواقع، وأنت الواعي لذلك كلِّه، والعارف بالمسألة كلِّها.

وإذا كانوا يطلبون منك كترًا يتزل عليك أو ملكاً يأتي معك، فعليك أن تبين لهم مهمتك وهي الإنذار، فلم يرسلك الله لتجترح المعجزات بطريقة ذاتية، ولم يعطك هذه القدرة — مع قدرته على أن يعطيها لرسله، وأنت في مقدمهم — لكنَّ ذلك يخضع لحاجة النبوة إليها في التحديات الكبرى، لا في التحديات الصغيرة التي تشبه اللعب واللهو الطفولي، فما إن ينتهوا من طلب حتى يتقدموا بآخر من دون أن يقفوا على حالة فكرية للتأمل والحوار. وبعبارة أخرى، لم يجدوا أنفسهم في الموقع الذي يخوِّلهم مواجهة الرسالة الجديدة بجدية ليتحرَّك الرسول معهم بطريقة موضوعية عقلانية، ولذلك فلا يضيق صدرك ولا تترك بعض ما يوحى إليك، لأنَّ مثل هذا المنطق الذي يطرحونه ليس منطق العقلاء، الأمر الذي يوجب إهمالهم.^(٢)

١- سورة الأنعام - الآية ٣٥

٢- انظر: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع - عبدالرحمن حسن حينكة الميداني - ص ٤٠

إنَّ المسألة تحتاج إلى صبر ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(١)، لأنك تتحرك في رسالة شاملة تهدف إلى تغيير العالم كله من حيث الفكر والعمل والعلاقات والمواقع والتطلعات، أو بالأحرى الدخول في عملية تحدُّ للواقع كله بكلِّ خلفياته الشركية وامتداداته الكفرية وضلالاته الأخلاقية وقيمه السلبية، الأمر الذي يؤدي إلى عملية تقديم للبيان التاريخي الصخري الضارب في الأعماق المتحجرة في تاريخ الإنسان.^(٢)

"وبدءاً من العام العاشر للبعثة، أي بعد سبع سنوات من محاولة الوصول لشريحة التغيير المكيّة، وإحساس النبي ﷺ بعدم جدوى هذه المحاولة، انتقل الرسول ﷺ إلى محاولة الحصول على شريحة التغيير من خارج مكة، من خلال الاتصال بالقبائل المحيطة، فكانت البداية بخروجه للطائف - ثاني أكبر قبيلة بعد قريش. وفي هذا يقول السهيلي: "ثم عرض ﷺ نفسه على القبائل أيام الموسم، ودعاهم إلى الإسلام، وهم:

١- بنو عامر،

٢- وغسان،

٣- وبنو فزارة،

٤- وبنو مرة،

٥- وبنو حنيفة،

٦- وبنو سليم،

٧- وبنو عبس،

١- سورة النحل - الآية ١٢٧

٢- انظر: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع - عبدالرحمن حسن حينكة الميداني - ص ٤٤

٨- وبنو نصر،

٩- وثعلبة بن عكابة،

١٠- وكندة،

١١- وكلب،

١٢- وبنو الحارث بن كعب،

١٣- وبنو عذرة وقيس بن الخطيم،

١٤- وأبو اليسر أنس بن أبي رافع".^(١)

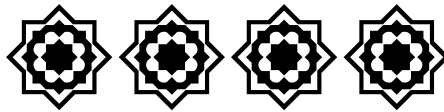
فإذا أضفنا إلى هذه القبائل محاولة الطائف ومحاولته مع أهل يثرب سنجد أن مجموع المحاولات التي

قام بها الرسول ﷺ للوصول إلى الشريحة التغييرية قد يصل إلى ستة عشر محاولة.

حيث كان ملخص خطابه ﷺ إلى هذه القبائل. كما ينقله السهيلي في شرحه للسيرة النبوية:

".. وجعل يقول: من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن

أبلغ رسالة ربي؟".^(٢)



١- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام- لأبي عبد الرحمن السهيلي - ج ١ ص ٥٥

٢- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام- السهيلي - ج ١ ص ٥٨

المطلب الثاني: أهل المدينة (بين المؤمن والمنافق)

لم يكن معنى الهجرة هو التخلص من فتنة الردة عن الدين والاستهزاء القرشي فحسب، بل كانت الهجرة مع هذا تعاوناً على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن. ولذلك أصبح فرضاً على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد، وأن يبذل جهده في تحصينه ورفعته شأنه.

ولا شك أن رسول الله ﷺ هو الإمام والقائد والهادي في بناء هذا المجتمع، وكانت إليه زمام الأمور بلا نزاع.

والأقوام التي واجهها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، كانت ذات طباع مختلفة، وعرقيات متنوعة، وأهواء ومشارب متباينة.

وقد انقسمت إلى أربعة أصناف يختلف أحوال كل واحد منها بالنسبة إلى الآخر اختلافاً واضحاً، وكان يواجه بالنسبة إلى كل صنف منها مسائل عديدة غير المسائل التي كان يواجهها بالنسبة إلى الأخرى. وهذه الأصناف الثلاثة هي:

١- أصحابه الصفوة الكرام البررة رضي الله عنهم.

٢- المنافقون.

٣- اليهود،

أما الصنفين الأولين فسأبرزهم في هذا المبحث بشيء من التفصيل، والصنف الثالث (اليهود) فسيأتي الحديث عنهم في مبحث خاص بأهل الكتاب:

أولاً: غرس الإيمان في المدينة المنورة

في السنة الحادية عشرة من البعثة الشريفة حصل تحول كبير في حياة المسلمين؛ إذ صادف هذا العام، وفي موسم الحج، قدوم وفد من قبيلتي الأوس والخزرج^(١) إلى مكة، وهاتان القبيلتان بينهما عداوة قديمة أسفرت عن حروب شرسة وطويلة، وكانت كل قبيلة تطمح في الحصول على تحالف مع قريش لغرض ترجيح ميزان القوى لصالحها، وقبل أن يجروا تحالفهم مع زعماء قريش اتصل بهم النبي ﷺ، وعرض عليهم الإسلام فلم يكن ردهم سلبياً؛ وذلك لأن اليهود المقيمين في المدينة (أرض الأوس والخزرج) قد أخبروا هاتين القبيلتين بظهور نبي قريباً، كما هو موجود في كتبهم، وحين التقى الوفد بالرسول ﷺ أعلن فوراً إسلامه بعد أن تيقن أن هذا الشخص هو نبي مرسل من الله تعالى.

وعاد الوفد إلى المدينة يحمل أفكاراً جديدة، وأخذ ينشرها بين الناس، وكانت هذه تعد بارقة الأمل الأولى التي بزغت في سماء الإسلام في تلك الفترة الحرجة.

"روي عن علي بن إبراهيم قال: قدم أسعد بن زرارة، وذكوان ابن عبد قيس في موسم من مواسم العرب، وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بغاث^(٢)، وكانت الأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة، فترل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب

١- الأوس والخزرج قبيلتان عربيتان من الأزد وهم أبناء حارثة بن ثعلبة، ارتحلنا من اليمن إثر تصدع سد مأرب، فاستوطنوا المدينة المنورة، نصرنا رسول الله ﷺ وآمنوا به فسموا بالأنصار في قبال المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة.

٢- يوم بغاث أو بغاث، بضم الباء: يوم معروف، كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، هو من مشاهير أيام العرب، وبغاث: اسم حصن للأوس، انظر لسان العرب: ج ٢ ص ١١٧ مادة «بعث».

وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم. فقال عتبة: بعدت دارنا من داركم ولنا شغل لا نتفرغ لشيء.

قال: وما شغلناكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سفه أحلامنا، وسب آهتنا، وأفسد شباننا، وفرق جماعتنا.

فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم — المنظير وقريظة وقينقاع — أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب.

فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه؛ فإنه ساحر يسحرك بكلامه. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر، لا بد لي أن أطوف بالبيت؟

قال: ضع في أذنيك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن، فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازره، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني، أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا نعرفه حتى أرجع إلى قومي فاخبرهم؟ ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله ﷺ: أنعم صباحاً. فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه، وقال: «قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم».

فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمد؟

قال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدعوكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ صَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمُ صَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾»^(١).

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، يا رسول الله بأي أنت وأمي، أنا من أهل يشرب من الخزرج، وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعز منك، ومعى رجل من قومي، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك، وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشروننا به وتخبرنا بصفته، فهلم وأسلم، فأسلم ذكوان، ثم قال: يا رسول الله، ابعث معنا رجلا يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك.

فقال رسول الله ﷺ لمصعب بن عمير، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلانه على أولادهما ولم يخرج من مكة، فلما أسلم جفاه أبواه، وكان مع رسول الله ﷺ في الشعب حتى تغير وأصابه الجهد، فأمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلم من القرآن كثيراً، فخرج هو مع أسعد إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير، فقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله ﷺ وخبره، فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كل يوم ويطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث، وكان عبد الله بن أبي شريفاً في الخزرج، وقد كان الأوس والخزرج اجتمعت على أن يملكوه عليهم لشرفه وسخائه، وقد كانوا اتخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها، وذلك أنه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بغاث ولم يعن على الأوس، وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أعين على الظلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلما قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتى أمره.

فقال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس، وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فإن دخل في هذا الأمر تم لنا أمرنا، فهل نأتي محلثهم. فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن معاذ فقعده على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ، فقال لأسيد بن حضير وكان من أشرفهم: بلغني أن أبا أمامة أسعد ابن زرارة قد جاء إلى محلثنا مع هذا القرشي يفسد شباننا، فأتته وانته عن ذلك.

فجاء أسيد بن حضير، فنظر إليه أسعد فقال لمصعب: إن هذا الرجل شريف، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا، فأصدق الله فيه. فلما قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة، يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا، ولا تفسد شباننا، واحذر الأوس على نفسك.

فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه، وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه.

فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن.

فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟

قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين. فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثم خرج وعصر ثوبه، ثم قال: اعرض عليّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالها، ثم صلى ركعتين، ثم قال لأسعد: يا أبا أمامة، أنا أبعث إليك الآن خالك وأحتال عليه في أن يجيئك.

فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ، فلما نظر إليه سعد قال: اقسم أن أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب من عندنا، فأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب: ﴿حَمْدٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١) فلما سمعها، قال مصعب: والله، لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين، ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تمأبن أحداً. ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح: يا بني عمرو بن عوف لا يبقين رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبي إلا أن يخرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب.

فلما اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم؟

قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا، ولا نرد لك أمراً، فمرنا بما شئت.

فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم علي حرام حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والحمد لله الذي أكرمنا بذلك، وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به. فما بقي دار من

دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلا وفيها مسلم أو مسلمة، وحول مصعب بن عمير إليه وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية. وشاع الإسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه من البطنين جميعاً أشرافهم، وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود.

وبلغ رسول الله ﷺ أن الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، وكتب إليه مصعب بذلك، وكان كل من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذبه، فكان رسول الله ﷺ يأمرهم بالخروج إلى المدينة، فكانوا يتسللون رجلاً رجلاً فيصرون إلى المدينة فيترهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم... " (١).

ثم أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة، وبعد هجرته الكريمة كان قد آن له أن يكون مجتمعاً جديداً، مجتمعاً إسلامياً، يختلف في جميع مراحل الحياة عن المجتمع الجاهلي، ويمتاز عن أي مجتمع يوجد في العالم الإنساني، ويكون ممثلاً للدعوة الإسلامية التي عانى لها المسلمون ألواناً من النكال والعذاب طيلة عشر سنوات.

ولا يخفى أن تكوين أي مجتمع على هذا النمط لا يمكن أن يستتب في يوم واحد أو شهر واحد، أو سنة واحدة، بل لا بد له من زمن طويل يتكامل فيه التشريع والتقنين مع التثقيف والتدريب والتربية تدريجياً، وكان الله كفيلاً بهذا التشريع، وكان رسول الله ﷺ قائماً بتنفيذه، والإرشاد إليه، وتربية المسلمين وفقهه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم مقبلين عليه بقلوبهم، يتحلون بأحكامه ويستبشرون بها ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (٣)

١- إعلام الوری بأعلام الهدی: عماد الدین الطبرسی ص ٥٦ الرکن الأول ب ٣ ف ٧

٢- سورة الجمعة- الآیة ٢

٣- سورة الأنفال- الآیة ٢

ثانياً: ظهور النفاق لأول مرة في المدينة المنورة

أما الصنف الثاني وهم المنافقون وقد بدأ النفاق في المدينة، لذلك ليس هناك آية مكية واحدة فيها كلمة «النفاق»، أو ما يشتق منها. وتزعم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي كاد الأوس والخزرج يتوجونه ملكاً لولا هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وانصراف الناس عنه إلى النبي والإسلام. فلجأ الرجل المتور إلى النفاق، أي إظهار الإسلام، وإبطان الكفر. وجمع حوله من كان يظاهره، ويعينه علي الغدر والخيانة.

وقد فضح القرآن هؤلاء المنافقين، وقدمت سورة البقرة (في الآيات من ٨ إلى ١٦) صورة جامعة لهم، وكذلك آيات أخرى في سور: التوبة والمنافقون والنساء.^(١)

"ومن ملامحهم: الكذب والخداع والجن والغدر والضلال والغرور والنفعية والتذبذب والتردد. وقد أبرز النبي صلي الله عليه وسلم هذه الصفة الأخيرة فيهم بتصوير موجز مبين إذ قال: «مثل المنافقين كمثل الشاة العائرة (العوراء) بين غنمين، تعير (تردد وتذهب) إلي هذه مرة، وإلي هذه مرة». وجاء هذا الحديث مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^(٢).

وخطورة النفاق حكم الله سبحانه وتعالى علي النفاق بأنه كفر، وأن مصير المنافقين والكفار سواء. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(٣).

ولكن المنافق - من الناحية العملية - أضل وأسوأ من الكافر لأنه ساواه في الكفر، وزاد عليه الخداع والتضليل. كما أن عداوة الكافر صريحة يواجه بها المسلم، ويواجهه المسلم علي

١- انظر: النفاق والمنافقون - لجابر قميحة - ص ٣٤-٣٧

٢- سورة النساء - الآية ١٤٣

٣- سورة النساء - الآية ١٤٠

أساسها، ولكن المنافق يبطن الكفر والعداوة، ويتخذ من إسلامه الظاهري «جُنَّة» تحميه، وأحكام الإسلام تدور علي الظاهر، وعلي الله السرائر. قال الراغب الأصفهاني: لقد جعل الله المنافقين شرًا من الكافرين إذ قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١).^(٢) واتبع المنافقون - للإضرار بالإسلام والمسلمين والنبي ﷺ - أحط الوسائل وأخسها. ومنها الجرائم الآتية:

١ - العمل علي إشعال الفتنة بين المهاجرين والأنصار أثناء عودة المسلمين إلي المدينة بعد إحرازهم النصر علي بني المصطلق.

٢ - الإساءة والتشهير، بالنبي ﷺ وأهل بيته: ومن ذلك زعمهم أنه «أذن»، أي يسمع من كل أحد ما يقول ويصدق، ويقبل، بصرف النظر عن حقيقته وقيمه.

وشر من ذلك إتيانهم بالإفك علي عائشة زوج الرسول ﷺ، ومشى رأس المنافقين عبد الله بن أبي يخاطب المسلمين في المدينة بقوله: «امرأة نبيكم باتت مع رجل حتي أصبحت، ثم جاء يقودها».

٣ - الغدر والخيانة لإضعاف الجبهة العسكرية انتصارًا للكفار. ومن ذلك الخذال ابن سلول بثلت الجيش قبيل مواجهة المسلمين جيش الكفار في أحد، بحجة أن النبي ﷺ «أطاع الصبيان، وعصاه» بالخروج لقتال المشركين في أحد.. خارج المدينة.

٤ - موالة أعداء الإسلام من اليهود والكفار.

٥ - بناؤهم «مسجد الضرار» الذي اتخذوا منه وكرًا للتآمر والغدر وضربه الإسلام.

٦ - محاولتهم اغتيال النبي ﷺ وهو عائد بالمسلمين إلي المدينة من تبوك، وذلك بنخس ناقته حتي تلقي به في الظلام من مرتفع.

ولكن الله سبحانه وتعالى أفسد خططهم، وأبطل مكرهم وأعماله.^(١)

١- سورة النساء- الآية ١٤٥

٢- انظر: بذرة النفاق الخبيثة - محمد عبدالرسول - ص ٨٨

المطلب الثالث : أهل الكتاب

أولاً : اليهود

أما اليهود فقد انحازوا إلى الحجاز زمن الاضطهاد الأشوري والروماني كما أسلفنا، وكانوا في الحقيقة عبرانيين، ولكن بعد الانسحاب إلى الحجاز صبغوا بالصبغة العربية في الزي واللغة والحضارة، حتى صارت أسماء قبائلهم أو أفرادهم عربية، وحتى قامت بينهم وبين العرب علاقة الزواج والمصاهرة، إلا أنهم تحفظوا بعصبيتهم الجنسية، ولم يندمجوا في العرب قطعاً، بل كانوا يفتخرون بجنسيتهم الإسرائيلية - اليهودية - وكان يحتقرون العرب احتقاراً بالغاً حتى كانوا يسموهم أميين بمعنى أنهم وحوش سدج، وأراذل متأخرين، وكانوا يرون أن أموال العرب مباحة لهم، يأكلونها كيف شاؤوا، ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾^(٢) ولم يكن لهم تحمس في نشر دينهم وإنما جل بضاعتهم الدينية هي الفأل والسحر والنفث والرقية وأمثالها، وبذلك كانوا يرون أنفسهم أصحاب علم وفضل وقيادة روحانية.^(٣)

"وكانوا مهرة في فنون الكسب والمعيشة، فكانت في أيديهم تجارة الحبوب والتمر والخمر والثياب، كانوا يوردون الثياب والحبوب والخمر، ويصدرون التمر، وكانت لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، فكانوا يأخذون المنافع من عامة العرب أضعافاً مضاعفة، ثم لم يكونوا يقتصرون على ذلك، بل كانوا أكالين للربا، كانوا يقرضون شيوخ العرب وساداتهم، ليكتسب هؤلاء الرؤساء مدائح من الشعراء، وسمعة بين الناس بعد إنفاقها من غير جدوى ولا طائفة، ثم

١- انظر: حركة النفاق في المدينة - علي المدني - ص ٥٥

٢- سورة آل عمران - الآية ٧٥

٣- انظر: الرد على اليهود - صالح بن حسين الجعفري - ص ٥

كانوا يرقنون أرض هؤلاء الرؤساء وزروعهم وحوائطهم، ثم لا يلبثون إلا أعواماً حتى يتملكونها".^(١)

وكانوا أصحاب دسائس ومؤامرات وعتو وفساد، يلقون العداوة والشحناء بين القبائل العربية المجاورة، ويغرون بعضها على بعض بكيد خفي لم تكن تشعره تلك القبائل، فلا تزال في حروب دامية متواصلة، ولا تزال أنامل اليهود توجج نيرانها كلما رأها تقارب الخمود والانطفاء، وبعد هذا التحريض والإغراء، كانوا يقعدون على جانب، يرون ساكتين ما يحل بهؤلاء العرب، نعم كانوا يزودونهم بقروض ثقيلة ربوية حتى لا يجمعوا عن الحرب لعسر النفقة. وبهذا العمل كانوا يحصلون على منفعتين، كانوا يتحفظون على كيانهم اليهودي، وينفقون سوق الربا؛ ليأكلوه أضعافاً مضاعفة، ويكسبوا ثروات طائلة.

وكانت في يثرب منهم ثلاث قبائل مشهورة:

١- بنو قينقاع، كانوا حلفاء الخزرج، وكانت ديارهم داخل المدينة.

٢- بنو النضير.

٣- بنو قريظة، وهاتان القبيلتان كانتا حلفاء الأوس، وكانت ديارهما بضواحي المدينة.

وهذه القبائل هي التي كانت تثير الحروب بين الأوس والخزرج منذ أمد بعيد وقد ساهمت بأنفسها في حرب بعاث، كل مع حلفائها.

وطبعاً فإن اليهود لم يكن يرجى منهم أن ينظروا إلى الإسلام إلا بعين البغض والحقد، فالرسول لم يكن منهم حتى يتمكن من إسكان جأش عصبيتهم الجنسية التي كانت متغلبة على نفسياتهم وعقليتهم، ثم إن دعوة الإسلام لم تكن إلا دعوة صالحة تؤلف بين أشتات القلوب، وتطفىء نار

العداوة والبغضاء، وتدعو إلى التزام الأمانة في الشؤون، وإلى التقيد بأكل الحلال من طيب الأموال، ومعنى كل ذلك أن قبائل يشرب العربية ستتألف فيما بينها، وحينئذ لا بد من أن تفلت من برائن اليهود، فيفشل نشاطهم التجاري، ويحرموا أموال الربا التي كانت تدور عليه حتى ثروهم بل ربما يحتمل أن تتيقظ تلك القبائل، فتدخل في حسابها الأموال الربوية التي أخذها اليهود، فتقوم بإرجاع أرضها وحوائطها التي أضاعتها إلى اليهود في تأدية الربا.

كان اليهود يدخلون كل ذلك في حسابهم منذ عرفوا أن دعوة الإسلام تحاول الاستقرار في يشرب، ولذلك كانوا يبطنون العداوة ضد الإسلام، وضد رسول الله ﷺ منذ أن دخل يشرب، وإن كانوا لم يتجاسروا على إظهارها إلا بعد حين.

ويظهر ذلك جلياً بما رواه ابن هشام عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها. قال ابن هشام:

"قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، مغلسين، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشان الهويني. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلى واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت".^(١)

ويشهد بذلك أيضاً ما رواه البخاري في إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه، فقد كان حبراً من فطاحل علماء اليهود، ولما سمع بمقدم رسول الله ﷺ المدينة في بني النجار جاءه مستعجلاً، وألقى إليه أسئلة لا يعلمها إلا نبي ولما سمع ردوده ﷺ عليها آمن به ساعته ومكانه، ثم قال له: إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فأرسل رسول الله ﷺ فجاءت اليهود، ودخل عبد الله بن سلام البيت. فقال رسول الله ﷺ أي رجل فيكم عبد الله سلام؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا وفي لفظ: سيدنا وابن سيدنا، وفي لفظ آخر: خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال رسول الله ﷺ أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ فقالوا: أعاده الله من ذلك مرتين أو ثلاثاً فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه. وفي لفظ فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق فقالوا: كذبت. (١)

هذا على الرغم من أن الرسول ﷺ كان قد عقد أول مَقْدَمِهِ إلى المدينة معاهدة تعاضد سلمي وأمني مع اليهود، ودعاهم إلى السلام، فعاهدوه ثم نقضوا هذا العهد، واستخدموا جميع الوسائل التي تفتق عنها مكرهم لمحاربة الإسلام والمسلمين، مع أن الإسلام قد وسعهم، بعد ما ضاقت بهم شعوب كثيرة على مدار التاريخ، لكثرة العداوات والخلافات التي كانوا يشيرونها، حيثما وجدوا بين الناس، بغية الحصول على مكاسب مادية معينة، حتى أصبح اليهودي منبوذاً، لاسيما ذلك الذي يُقرض المال بالفوائد والربا الفاحش، ويتشدد في تحصيل ديونه ممن اقترض منه وعجز عن السداد. (٢)

١- صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة - باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه - ح ٢٧٣٢ - ج ٣ ص ١٤٣٣

٢- الإسلام والآخر: من يعترف بمن، ومن ينكر من؟ - محمد عمارة - ص ٤٦

"وهكذا أُخِذَ أخيار اليهود بجريرة أشرارهم، حيث أنهم لم يضربوا على أيديهم، ولم ينهوهم عن إشاعة الفساد والهلاك في الأرض، ولم تنهض منهم طائفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فغلب شرُّهم على خيرهم، وبات الناس ينظرون إليهم بعين الحيطه والحذر وربَّما العدا، وعلى الرغم من ذلك كلُّه فلم تخلُ صفوفهم من وجود عناصر خيِّرة من أحبارهم وعلمائهم في عهد النبوة، وإن كانت قليلة، فكان لها دور إيجابي في كشف النقاب عن الظلم الذي ارتكبه زعماءهم في حقِّ أتباعهم، حين ابتعد أولئك الزعماء عن الحقِّ وخلطوه بالباطل، وللأسف فإن غراس هذا الظلم لازالت تطرح ثماراً سامّة، كلِّما صادفت مياهاً آسنة ترويهها، لتقتل بما كلِّ محاولة من شأنها أن تقيم علاقات سويّة بين اليهود وغيرهم من الشعوب على اختلاف مللهم، تحت عنوان الإخاء في الإنسانية والتعاون على الإعمار والبناء وإحلال السَّلام".^(١)

ولم يكن عداؤهم للدين الإسلامي أو المسيحي منذ نشأتهما وحتَّى اليوم وليد عوامل معقولة أو أسباب منطقية، وليس له ما يبرره سوى الأنانية المفرطة التي تعتمل في صدور زعمائهم، ومعاداتهم لكلِّ ما يمكنه أن يمسَّ بمصالحهم الشخصية المبنية على الاستغلال، ولهذا ناصبوهما العدا إلى جانب المشركين الوثنيين، وكان الأجدر بهم أن يقفوا صفّاً واحداً مع المسلمين والمسيحيين، لأنهم أتباع رسالات سماوية مثلهم، وأن يجابهوا الوثنيين والملحدين بقلب مؤمن واحد.

وقد فضح القرآن اليهود وكشف الأساليب المتبعة من قبلهم، من قبيل الخديعة وكتمان الحق، والابتعاد عن البر والفضيلة وإشاعة الرذيلة والتآمر على الأنبياء وقتلهم وما إلى ذلك من أساليب الخداع والتزوير، وأشار هنا على عجلة لبعض مسلكياتهم والأساليب التي اتبعوها مع المسلمين وكيف فضح القرآن الكريم هذه الأساليب :

١- الدلالات السياسية والأيدولوجية للولاء والبراء في القرآن الكريم - عبدالرحمن حلي - ص ١٣

١- يعرفونه كما يعرفون آبائهم

فقد كان علماءهم يعرفون الرسول الكريم ﷺ كما يعرفون آبائهم، "قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة، قال : هل تدري عما كان إسلام أسد و ثعلبة ابني شعبة وأسد بن عبيد ، لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا ، قال فانه قدم علينا رجل من الشام من اليهود يقال له ابن الهيبان فأقام عندنا، والله ما رأينا رجلا يصلي خيرا منه، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ﷺ بسنتين، فكنا اذا قحطنا وقل علينا المطر نقول يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة، فنقول : كم؟ فيقول صاع من تمر، أو مدين من شعير، فنخرجه ، ثم يخرج إلى ظاهر حرتنا ونحن معه نستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمطر ويمر بالشعاب، قد فعل ذلك مرة أو مرتين أو ثلاثة، فحضرته الوفاة واجتمعنا اليه، فقال : يا معشر يهود! أترون ما أخرجني من ارض الخمر والخمير إلى ارض البؤس والجوع؟ قالوا أنت اعلم، قال : فاني إنما خرجت أتوقع نبي قد أظل زمانه، هذه البلاد مهاجرة ، فاتبعوه ولا يسبقن إليه غيركم إذا خرج، يا معشر اليهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن يخالفه فلا منعكم ذلك منه ، ثم مات ، فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة، قال أولئك الثلاثة الفتية وكانوا شبانا أحداثا: يا معشر اليهود والله انه للذي ذكر لكم ابن الهيبان، فقالوا ما هو به ، قالوا : بلى والله انه لصفته، ثم نزلوا واسلموا وخلصوا أموالهم وأهليهم.

قال ابن اسحق: وكانت أموالهم في الحصن مع المشركين فلما فتح ردت عليهم".^(١)

وقال ابن إسحاق: حدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد، قال كان بين أبياتنا يودي فخرج علي نادي قومه بني عبد الأشهل ذات غداة فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، قال ذلك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثنا كائن بعد الموت وذلك قبيل مبعث النبي ﷺ، فقالوا: ويحك يا فلان! وهذا كائن، ان الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون بأعمالهم؟! قال: نعم، والذي يحلف به، لوددت أن حظي من تلك النار أن توقدوا أعظم تنور في داركم فتحمونه ثم تقذفوني فيه ثم تطبقون علي واني أنجو من النار غدا، فقيل: يا فلان ما علامة ذلك؟ قال: نبي يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: فمتى نراه؟ فرمى بطرفته فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي وأنا احداث القوم، فقال إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه، فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وانه لحي بين اطهرنا، فأما به وصدقناه وكفر به بغيا وحسدا، فقلنا يا فلان الست الذي قلت ما قلت وأخبرتنا به؟! قال ليس به".^(١)

"قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: حدثني أشياخ منا قالوا: لم يكن احد من العرب اعلم بشان رسول الله ﷺ منا، كان معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن، وكنا بلنا منهم ما يكرهون قالوا إن نبياً مبعوثاً الآن قد أطل زمانه نتبعه فنقتلكم قتل عاد وارم، فلما بعث الله عز وجل رسوله ﷺ اتبعناه وكفروا به ففينا وفيهم انزل الله عز وجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

وذكر الحاكم وغيره عن ابن أبي نجيح عن علي الأزدي، قال كانت اليهود تقول: اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس".^(١)

و"قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعازت اليهود بهذا الدعاء ، فقالت: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، قال فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فانزل الله عز وجل: ﴿وَكَاتُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.^(٢) يعني: يستفتحون بك يا محمد".^(٣)

وذكر الطبراني وغيره "أن بني النضير لما اجلوا من المدينة اقبل عمرو بن سعد فطاف بمنزلهم فرأى خرابها ففكر ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا، فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعد أين كنت منذ اليوم فلم نرك - وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية قال: رأيت اليوم عبراً اعتبرنا بها، رأيت إخواننا قد جلوا بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع، قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل، ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط له بهم حاجة، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف في عزة بنيانه في بيته أمنأ، وأوقع بابن سنيبة سيدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم جل اليهود وكانوا أهل عدة وسلاح نجدة

١- السيرة النبوية - عبدالمملك ابن هشام - ج ٢ ص ٥٢

٢- سورة البقرة - الآية ٨٩

٣- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين - عبدالرحمن الرازي - ج ٣ ص ١٠٧

- حصرهم النبي عليه السلام ، فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم ، فكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يشرب .

يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً ، فوالله إنكم لتعلمون انه نبي وقد شرنا به وبأمره ابن الهيثان وأبو عمرو بن حواس ، وهما من أعلام اليهود جاءوا من بيت المقدس يتوقان قدومه وأمرنا باتباعه وأمرنا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بجزتنا ، فاسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ، فأعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسبأ والجلاء ، فقال الزبير بن باطا: قد والتوراة قرأت صفته في كتاب التوراة التي أنزلت على موسى ليس في المثاني التي أحدثنا ، فقال له كعب بن أسد : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟ قال: أنت ، قال : ولم فوالتوراة ما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه وان أبيت أبيتنا فاقبل عمرو بن سعد على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك إلى أن قال كعب : ما عني في ذلك الا ما قلت ، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً .^(١)

٢- عداوته ما حبيبت

وذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : حدثت عن صفية بن حبيي أنها قالت : كنت أحب ولد أبي إليه والى عمي أبي ياسر فما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوا عليه ثم جاء من العشى ، فسمعت عمي يقول لأبي اهو هو قال : نعم والله ، قال أتعرفه وتشبته ، قال نعم، قال : فما في نفسك منه ، قال عداوته والله ما بقيت .^(٢)

١- المعجم الأوسط - لحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - ج ١ ص ٣٠٨ وما بعدها

٢- السيرة النبوية - عبد الملك ابن هشام - ج ٣ ص ٤٩

فهذه الأمة الغضبية معروفة بعداوة الأنبياء قديماً وأسلافهم وخيارهم ، قد أخبرنا الله سبحانه عن أذاهم لموسى ونحنا عن التشبه بهم في ذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾^(١).

وأما خلفهم فهم قتلة الأنبياء : قتلوا زكريا وابنه يحيى وخلقا كثيراً من الأنبياء ، حتى قتلوا في يوم سبعين نبياً وأقاموا الأسواق في آخر النهار كأنهم لم يصنعوا شيئاً. واجتمعوا على قتل المسيح وصلبه فصانه الله من ذلك وأكرمه من أن يهينه على أيديهم ، وألقى شبهه على غيره فقتلوه وصلبوه.

٣- سحرهم لرسول الله ﷺ وعداوتهم لأصحابه

عرف بعض اليهود بالمدينة بشدة عداوتهم لرسول الله ﷺ مع أن علماءهم كانوا يعرفون أنه سيبعث نبي وكانوا يعرفون صفاته من التوراة فمن أعدائه الذين انتصبوا لعداوته «حبي بن أخطب» و«أبو ياسر» و«جدي بنو أخطب» ، و«سلام بن مشكم» ، و«كنانة بن الربيع» و«كعب بن الأشرف» ، و«عبد الله بن صوريا» و«ابن صلوياء» ، و«مخريق» الذي أسلم بعد ، و«ليد بن الأعصم» الذي حرّضه اليهود وسحر النبي ﷺ ثم جاء جبريل وأخبره بذلك السحر وبمكانه وعفا عنه رسول الله ﷺ وقال أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شراً (يعني بقتله).

ومنهم «مالك بن الصلت» ، وقد كان من أحبار اليهود ورئيساً فإنه قال ما أنزل الله على بشر من شيء . فانظر كيف أدى به عداؤه لرسول الله ﷺ إلى الكفر بنبينا وموسى عليهما السلام وبما

أنزل عليهما ، فقالت اليهود له ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ فقال أنه أغضبني فقلت ذلك فترعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف .

ومن كان من أحبار اليهود حريصا على رد الناس عن الإسلام «شاس بن قيس» اليهودي كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم ، مر يوما على الأنصار الأوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة ، فقال : قد اجتمع بنو قبيلة والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، فأمر فتى شابا من اليهود فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعث : أي الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه وانشدتهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك وذكر كل أقوال شاعرهم وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة فنادى هؤلاء يا آل الأوس ونادى يا آل الخزرج ثم خرجوا للحرب وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال .

فلما بلغ الخبر رسول الله ﷺ خرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين ، فقال يا معشر المسلمين الله الله ؟ اتقوا الله ، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ ، وأنزل الله في «شاس بن قيس» : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) وأنزل الله في الأنصار : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ

أَوْثُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَأَنْتُمْ تَعْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾ (٢).

وقد كان اليهود يسألون النبي ﷺ عن أشياء تعنتا وحسدا وبغيا ليلبسوا الحق بالباطل ، فجاء مرة يهوديان إلى رسول الله فسألاه عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْتَأْذَنَ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (٣) ، فقال لهما: ((لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا بريء إلى سلطان، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يا يهود خاصة لا تعتدوا يوم السبت)) ، فقبلا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي ، قال: ما يمنعكما أن تسلما ، فقالا: نخاف إن أسلمنا تقتلنا اليهود. (٤)

وسأله ﷺ مرة ، فقالوا : أخبرنا عن علامة النبي ، فقال : ((تنام عيناه ولا ينام قلب)). (٥)
وسأله أي طعام حرمه إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة : ((قال أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديداً، وطال

١- سورة آل عمران - الآيات ١٠٠ إلى ١٠٣

٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية - ج ١ ص ٩٨

٣- سورة الإسراء - الآية ١٠١

٤- تفسير المراغي - للأستاذ أحمد مصطفى المراغي - ج ٣ ص ٤١

٥- تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي - ج ١ ص ٩٠

سقمه، فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، فكان

أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها)) ، قالوا: اللهم نعم.^(١)

وقالوا مرة إغاضة له ﷺ ما يرى الرجل همة إلا في النساء والنكاح فلو كان نبيا كما زعم لشغله

أمر النبوة عن النساء . فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُم أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾^(٢)

فقد جاء أن سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية.^(٣)

٤- القرآن الكريم يفضح أساليبهم المتتوية

"ينطلق القرآن إلى واقع حياة المسلمين في مجتمعهم الذي يعيش فيه غيرهم؛ من اليهود الذين أوتوا

الكتاب — وهو التوراة —، ولكنهم حرّفوه عن معانيه الحقيقية، ووقفوا وجهاً لوجه أمام النبي

محمد ﷺ وأتباعه، ليعلنوا عليهم الحرب سراً وجهاً، فانطلق القرآن الكريم ليفضح هذه النفسية

اليهودية الحاقدة، ويبين أخلاق حاملها وصفاتهم الخسيسة: فهم كاذبون، محرّفون، حاسدون،

متحايلون، مراوغون، خائنون، ضالون مضلّون، تجار فجار، سفهاء، أذلاء، جناء، بخلاء،

حريصون على الحياة، ينقضون العهود والمواثيق، يسارعون في الإثم والعدوان، يكتمون الشهادة

الحق، يفسدون في الأرض، ويصدون عن سبيل الله، وأنهم ملعونون من الله.

❦ ففي أول سورة في القرآن (الفاتحة) إشارة إلى انحراف اليهود وفجورهم ، ووصم الله لهم

بالمغضوب عليهم.

١- أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الأحكام، محمد العروسي

٢- سورة الرعد - الآية ٣٨

٣- أعلام الموقعين عن رب العالمين - الإمام ابن قيم الجوزية الدمشقي - ج ٢ ص ١٤

ثم تليها أطول سورة ، وهي البقرة . والبقرة مرتبطة بقصة إسرائيلية معروفة ، وإن لم تكن موجودة في التوراة ، لكن في أحكام اليهود ما يدل عليها ، وهي قطعاً من الحقائق التي تناساها اليهود وحذفوها من كتابهم. وتجذ جزءاً كبيراً من هذه السورة كان مخصصاً لليهود والحديث عن اليهود وهو مرتبط بسكنى المدينة ووجودهم فيها ، حيث قبائل اليهود الثلاث بنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير كانوا يجاورون الرسول ﷺ ومنهم من آمن ، وهو قليل كعبدالله بن سلام وغيره ، ومنهم من كفر وبقي على كفره ، وهم غالب اليهود ، ومنهم الفئة الثالثة وهي التي أنشأت حركة خطيرة داخل المدينة هي حركة النفاق ، فكانت نشأتها على يد اليهود - الذين كانوا أساتذة - وشياطينهم الذين يوحون إليهم ، وتبعهم على ذلك بعض ضعفاء النفوس . فكان اليهود أعظم خطر على الإسلام في بدايته ومهدده بعدما استقر وتوطن في المدينة المنورة ، ولذلك في أول سورة نزلت في المدينة بطولها سورة البقرة خصص الله سبحانه وتعالى جزءاً غير قليل منها لمخاطبة اليهود ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا بِعِمَّتِي الَّتِي أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾^(١) ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾^(٢) ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾^(٣) .. إلى آخر الآيات التي استغرقت جزءاً كبيراً من الجزء الأول من سورة البقرة ثم جاء من التعقيبات والتعليقات عليها في الجزء الثاني أيضاً مثل ذلك .

ثم (آل عمران) وهي إشارة إلى أسرة مباركة معروفة ، تعد أنموذجاً يحتذى لو كانوا يعقلون .

١- سورة البقرة - الآية ٤٠

٢- سورة البقرة - الآية ٦٣

٣- سورة البقرة - الآية ٨٤

ثم سورة الأعراف حيث إن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصص الأنبياء بإيجاز استطراد في ذكر قصة موسى وهارون مع بني إسرائيل في صفحات طوال ، وفصل فيها وذكر من العبر والأخبار عن بني إسرائيل وتلوّثهم على موسى وعدوانهم وكذبهم وخداعهم وهرجهم ومرجهم وفسادهم والعقوبات التي نزلت عليهم ما لم يكذبوا في موضع آخر ، وتساؤلهم وإحراجهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى أنزل الله عليهم الآيات التي ذكرها في الأعراف .. إلى غير ذلك فأطال الله سبحانه وتعالى بذكر قصة موسى وهارون وبني إسرائيل في سورة الأعراف بما لا يكاد يوجد في موضع آخر " (١).

وهكذا مع كافة سور القرآن الكريم نجد التركيز على بني إسرائيل حتى قال بعض العلماء : (كاد القرآن أن يكون عن موسى وبني إسرائيل) ... فهذا السرد الطويل المحكم العظيم له معنى ومن أبرز المعاني التي تستفاد من هذا التركيز القرآني الحكيم :

١- أن الله سبحانه وتعالى يحذرنا أولاً من سلوك المسالك المردية التي سلكوها ، وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) (٢) . فمن الملاحظ أن الأدوية الموجودة في هذه الأمة تشبه الأدوية الموجودة في بني إسرائيل حذو القذة بالقذة سواء من الناحية النفسية أو من الناحية السلوكية ، ولا تجد مرضاً نزل بهذه الأمة إلا لو بحثت لوجدته موجوداً في تاريخ الأمم الكتابية السابقة ، لكنه قد يكون في هذه الأمة أهون وأخف مما هو موجود فيمن كان قبلهم ، ولذلك في سورة الحديد

١- بنو إسرائيل في ميزان القرآن والسنة - د. سلمان بن فهد العودة - ص ٢٤-٢٥

٢- صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل - ح ٣٢٦٩ - ج ٣ ص ١٢٧٤ ،

وانظر صحيح مسلم - كتاب العلم - باب اتباع سنن اليهود والنصارى - ح ٢٦٦٩ - ج ٤ ص ٢٥٤

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(١) . فذكر الله سبحانه وتعالى مرضاً من أمراض القلب وأمراض النفس وهو قسوة القلب وقلة الخشوع ، وقلة الاعتبار وذكر المؤمنين بأن هذا مرض وقع للذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقسست قلوبهم ، ولذلك في قصة اليهود في سورة الحشر لما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يُحْرَبُونَ ﴾ يُؤْتُوهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) عقب بقوله : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ إشارة إلى أن الإنسان الذي لا يملك قلباً يعتبر به ويستفيد من تجاربه ومن تجارب الآخرين ومن تجارب الأمم الأخرى فإنه على خطر ويخشى أن يكون تأثر بما وقعت فيه الأمم الكتابية الأخرى من قسوة القلوب والغفلة عن الانتفاع بالتجارب والعبر والمثالات.^(٣)

٢- "لعل من الأسرار والله سبحانه أعلم في هذا السرد القرآني الكريم الإشارة إلى أن علاقتنا مع اليهود وصراعنا معهم طويل وربما لو تخيل واحد منا أنه عاش في القرن السادس أو السابع أو الثامن الهجري ، وغزوات الصليبيين تأتي من أوروبا الواحدة تلو الأخرى حتى بلغت نحو عشر ، ربما قال البعض لماذا كل هذا الحديث عن اليهود مع أنه لا يوجد لهم دولة في العالم ولا يوجد لهم غزوات في حين أن النصارى الذين نعاني منهم كلما انكسر منهم قرن ذر قرن آخر لا يوجد هذا التفصيل في شأنهم !!؟؟"

١- سورة الحديد - الآية ١٦

٢- سورة الحشر - الآية ٢

٣- الأمثال في القرآن الكريم - محمد جابر الفياض - ص ٥٠

لكن لو نظرت إلى أن القرآن الكريم وأنه لم ينزل لعصر معين وإنما نزل لجميع العصور فستجد أن في هذا إشارة ربانية عظيمة إلى أن الحرب والصراع مع اليهود صراع أزمي ، وصراع استراتيجي ، فمن القضايا الضرورية الجوهرية التي يجب أن تكون خطوطاً حمراء لا يمكن أن تنازل الأمم عنها أن اليهود هم أشد الأعداء لهذه الأمة كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١) ، فهم أشد الناس عداوة ، هم أشد من المشركين وأشد من النصارى وأشد من جميع أمم الأرض .

ويكفيك أن تعرف أن المنافقين على خطورتهم وشدة ضررهم مجرد سيئة من سيئات اليهود ، هم الذين ابتدعوها وابتكروها وبدعوها في المدينة ، ثم نسج على منوالهم غيرهم ! ففي هذا الحديث إشارة إلى طول الصراع بين المسلمين واليهود ، وأنه صراع ليس مؤقتاً ولا سهلاً بل هو صراع طويل ، ولذلك كان من المهم التعرف على خصالهم وخالهم لأنك إذا لم تعرف عدوك فإنك لا تستطيع أن تواجهه بشكل جيد ، ولهذا كان من أفضل البحوث والدراسات والجهود تلك الأعمال العلمية التي تستهدف كشف شخصيات اليهود وتحليل نفسياتهم ومعرفة أبعادهم وأهدافهم ومراميهم .. لأنك إذا استطعت أن تعرف عدوك معرفة صحيحة استطعت أن تتوقع ما يأتيك منه ، وأن تعرف كيف يفكر ، وكيف يرتب ، وكيف يخطط"^(٢) .

ومع ذلك فإن الخطاب القرآني لم يذم أهل الكتاب كوفهم يهوداً أو نصارى، وإنما ذم (طائفة) أو (فريق) منهم :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا.....﴾^(٣)

١- سورة المائدة - الآية ٨٢

٢- بنو إسرائيل في ميزان القرآن والسنة - د. سلمان بن فهد العودة - ص ٣٠-٣١

٣- سورة المائدة - الآية ٦٤

فكان حديث القرآن الكريم عن أهل الكتاب يلتزم الموضوعية بدقة متناهية، حيث يلحظ عدم التعميم، والتشديد على التخصيص بذكر ألفاظ (كثير) أو (من) أو (فريق) أو (طائفة) أو نحو ذلك مما يفيد عدم استغراق جميع أفراد جنسهم. وهذا التحديد والتخصيص لم يأت عفواً إذ أن من أهل الكتاب من استجاب لدعوة الرسول ﷺ، وانصاع لإنذاراته^(١). وعلى سبيل المثال تأمل قوله — سبحانه —:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّمَّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾^(٢).
 ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالتَّيْبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٣).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٤).

﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥)

وتأمل في تخصيص القرآن بلفظ (من):

﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٦).

١- انظر كتاب: الإستراتيجية الخمدية في تبليغ رسالة الإسلام لأهل الكتاب- عثمان عبد عثمان

٢- سورة البقرة - الآية ١٠٩

٣- سورة المائدة - الآيات ٨٠-٨١

٤- سورة المائدة - الآية ٥٩

٥- سورة آل عمران - الآية ١١٠

٦- سورة البقرة - الآية ٧٨

﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(١).

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^(٢).

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ...﴾^(٣).

وكذا التخصيص ب (فريق):

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(٥).
﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا تَبَدَّه فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٧).

فالمُتأمل لهذه النصوص القرآنية يخلص إلى المعادلة الربانية، والميزان الحكيم، في التعامل مع أهل الكتاب، وأنهم ليسوا سواء في المعاملة، فتعامل المسلم معهم مترتب على مدى التزامهم بشرع الله وقبولهم لإنذاراته كما وضحت كل هاتيك النصوص والآيات.

١- سورة آل عمران - الآية ٧٥

٢- سورة آل عمران - الآية ١١٣ - ١١٥

٣- سورة آل عمران - الآية ١٩٩

٤- سورة آل عمران - الآية ٢٣

٥- سورة آل عمران - الآية ١٠٠

٦- سورة البقرة - الآية ٧٥

٧- سورة البقرة: ١٠٠-١٠١

ثانياً: النصارى

ذكر القرآن الكريم لنا بعض النصارى الذين سمعوا ما أنزل إلى الرسول ﷺ من القرآن، فاهتزت مشاعرهم، ولانت قلوبهم، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيراً عن التأثر العميق بالحق الذي سمعوه، ولم يقفوا موقفاً سلبياً يقف عند حدّ التأثر، بل جسّدوا إحساسهم الداخلي بعمل مثمر بناءً وهو قبول الحقيقة والإيمان بها، والتضرُّع إلى الله تعالى بأن يجعلهم من الشاهدين المقرّين بصدقها. ولو أننا أنعمنا النظر في سلوك هؤلاء، لوجدنا أنهم بعملهم هذا لم يخرجوا من النصرانية، بل أصبحوا نصارى بحق، حيث أن ما جاء به محمد ﷺ لا يخرج عما جاء به عيسى عليه السّلام قيد أملة.^(١)

وقد شهد النبي ﷺ والمؤمنون من بعده مودةً وأخوةً بالغتين من النصارى، الذين هيّأت لهم فرصة الاطلاع على الإسلام بموضوعية. وذلك أن منهم قسيسين يتولّون تعليمهم الدّين، ويهذبون أخلاقهم ويربّون فيهم الآداب والفضائل، ورهباناً يعوّدونهم الزهد والتقشف، ويزرعون في نفوسهم حبّ الله تعالى والخوف منه، والانقطاع لعبادته، وجعلوا من صفاتهم التواضع والتذلُّ والخضوع له عزّ وجل. وهم يلمسون كلّ هذه الفضائل بين حنايا القرآن وسطوره، لذلك قهتز قلوبهم خشوعاً كلّما سمعوا آياته، وتفيض من أعينهم دموع البشر والسرور لاتساع دائرة الحقّ، ولحجيء من ينصر عيسى عليه السّلام ورسالته، ويبني جسوراً معه، ويتمّم مسيرة الإيمان بمؤازرته.

ومن الوسائل التي اتبعها عليه الصلاة والسلام في دعوة النصارى^(٢) ما يلي:

١- أحكام أهل الدّمة - صبحي الصالح - ص ٨٠

٢- انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - للفخر الرازي - ج ٢ ص ٤١، الرد على النصارى - لأبي البقاء صالح بن الحسين

الجعفرى ص ١٥٤، مذكرة (آداب البحث والمناظرة) - محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي - ص ٢٣.

أولاً: غشيانهم في محافلهم ومجتمعاتهم لدعوتهم إلى الإسلام

من هذا حديث أنس رضي الله عنه قال: ((كان غلام نصراني يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعودده فقعده عند رأسه فقال له: أسلم؛ فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار)).^(١)

ثانياً: الكتابة إلى ملوكهم ورؤسائهم

روى ابن عباس - كما في حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل - أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل: ((بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢))).

ثالثاً: استقبال وفودهم

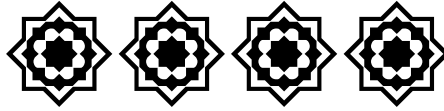
من ذلك استقبال وفد نجران النصارى. قال حذيفة رضي الله عنه: جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قُمْ يَا أبا عبيدة ابن الجراح فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة))^(٣).

١- صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل - ح ٣٢٨٨ - ج ٣ ص ١٢٨٥.

٢- سورة آل عمران - الآية ٦٤

٣- صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب قصة أهل نجران - ح ٤١١٩ - ج ٤ ص ١٥٩٢.

ومن خلال استعراض هذه الأدلة يتضح مدى حرص الرسول ﷺ على دعوة أهل الكتاب بشكل عام، والتركيز على دعوة النصارى بشكل خاص، لجاهزيتهم النفسية لتقبل الحق، وفهم النذر، بعيداً عن الكبر، وحب الذات، وغمط الناس، فدخل العديد من نصارى الجزيرة العربية في دين الله، وكانوا نذر حق، ودعاة فضيلة لبقية إخوانهم النصارى في بلاد الشام والعراق، وغيرها في الفتوحات الإسلامية.



المطلب الرابع: كفار العرب

انقسم العرب خارج مدينة رسول الله ﷺ تجاه دعوة الحق، وإنذارات رب العالمين إلى قسمين:

القسم الأول/ قسم استجاب لدعوة الحق رغم الدعايات الهدامة التي أحاطت برسالته ﷺ ، وهذه الفنة كانت في بداية العهد المدني قليلة، ثم زادت بمضي الوقت نظرا لقوة المسلمين، وتعاضم أمرهم، وبلغت أوجها في عام الوفود، حيث توافد على الرسول الكريم ﷺ وفود معظم القبائل العربية معلنين إسلامهم وانضوائهم تحت راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

وأضرب مثالا على هذا القسم قصة الصحابي الجليل ثمامة بن أثال:

روى البخاري في الصحيح عن عبد الله بن يوسف وروى مسلم عن قتبية كلاهما عن الليث من حديث عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري قالاً: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال حدثني سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: "كان إسلام ثمامة بن أثال الحنفي أن رسول الله ﷺ دعا الله حين عرض لرسول الله بما عرض له أن يمكنه الله منه وكان عرض له وهو مشرك فأراد قتله فأقبل ثمامة معتمرا وهو على شركه حتى دخل المدينة فتحير فيها حتى أخذ فأتي به رسول الله وهو مشرك فأمر به فربط إلى عمود من عمد المسجد فخرج عليه رسول الله فقال: مالك يا ثمام؟ هل أمكن الله منك فقال: قد كان ذلك يا محمد، أن تقتل تقتل ذا دم وأن تعف تعف عن شاكِر وإن تسأل مالا تعطه.. فمضى رسول الله وتركه حتى إذا كان الغد مر به فقال مالك يا ثمام فقال خيرا يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وأن تعف تعف عن شاكِر وإن تسأل مالا تعطه ثم انصرف عنه رسول الله ﷺ..

قال أبو هريرة: فجعلنا المساكين نقول بيننا ما يصنع بدم ثمامة والله لأأكله من جزور سمينة من فدائه أحب إلينا من دم ثمامة، فلما كان الغد مر به رسول الله فقال: مالك يا ثمام؟ فقال خيراً يا

محمد أن تقتل تقتل ذا دم وإن تعف تعف عن شاكر وإن تسأل مالا تعطه فقال رسول الله: عفوت عنك يا ثمام.

فخرج ثمامة حتى أتى حائطا من حيطان المدينة فاغتسل به وتطهر وطهر ثيابه ثم جاء رسول الله وهو جالس في المسجد في أصحابه فقال: يا محمد والله لقد كنت وما وجه أبغض إلي من وجهك ولا دين أبغض إلي من دينك ولا بلد أبغض إلي من بلدك ثم لقد أصبحت وما وجه أحب إلي من وجهك ولا دين أحب إلي من دينك ولا بلد أحب إلي من بلدك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله يا رسول الله إني كنت خرجت معمرا وأنا على دين قومي فيسرنى في عمرتي فيسره رسول الله في عمرته وعلمه فخرج معتمرا.

فلما قدم مكة وسمعتة قريش يتكلم بأمر محمد من الإسلام قالوا: صبا ثمامة فأغضبوه فقال إني والله ما صبوت ولكني أسلمت وصدقت محمدا وآمنت به وأيم الذي نفس ثمامة بيده لا تأتيكم حبة من اليمامة وكانت ريف مكة ما بقيت حتى يأذن فيها محمد وانصرف إلى بلده ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش فكتبوا إلى رسول الله يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلى حمل الطعام ففعل رسول الله..^(١)

القسم الثاني/ وهم السواد الأعظم من مشركي العرب الذين ناصبوا الرسول الكريم العداوة وتألّبوا عليه، وقدوتهم في ذلك قوم الرسول الكريم قريش، وهؤلاء بقوا على كفرهم وعبادتهم ردحا طويلا حتى عام فتح مكة واندحار الكفر والطغيان عندها دخلت معظم قبائل العرب في الإسلام.

١- صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال - ح ٤١١٤ - ج ٤ ص ١٥٨٩ وانظر: صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه - ح ١٧٦٤ - ج ٣ ص ١٣٨٦

واضرب مثالا على هذا القسم قصة المشركين الهالكين عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة العامريان، وذلك فيما رواه جمع من المفسرين في سبب نزول قوله تعالى : ﴿...وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ

يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾^(١)

"قال ابن عباس: أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة العامريان يريدان النبي ﷺ وهو في المسجد جالس في نفر من أصحابه، فدخلا المسجد، فاستشرف الناس لجمال عامر وكان أعور، وكان من أجمل الناس؛ فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: هذا يا رسول الله عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك؛ فقال: دعه فإن يرد الله به خيرا يهده... فأقبل حتى قام عليه فقال: يا محمد مالي إن أسلمت؟ فقال: لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين... قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: ليس ذاك إلي إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء. قال: أفتجعلني على الوبر وأنت على المدر؟ قال: (لا). قال: فما تجعل لي؟ قال: (أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها في سبيل الله). قال: أو ليس لي أعنة الخيل اليوم؟ قم معي أكلمك، فقام معه رسول الله ﷺ، وكان عامر أوماً إلى أربد: إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف، فجعل يخاصم النبي ﷺ ويراجعه؛ فاخترط أربد من سيفه شبرا ثم حبسه الله، فلم يقدر على سله، وبيست يده على سيفه؛ وأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته؛ وولى عامر هاربا وقال: يا محمد! دعوت ربك على أربد حتى قتلته؛ والله لأملأها عليك خيلا جردا، وفتيانا مردا؛ فقال عليه السلام: يمنعك الله من ذلك وأبناء قبيلة... يعني الأوس والخزرج؛ فترل عامر بيت امرأة سلولية؛ وأصبح وهو يقول: والله لئن أصحر لي محمد وصاحبه - يريد ملك الموت - لأنفذتهما برمحي؛ فأرسل الله ملكا فلطمه بجناحه فأذراه في

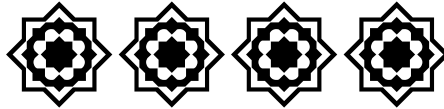
التراب؛ وخرجت على ركبته غدة عظيمة في الوقت؛ فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة
كغدة البعير، وموت في بيت سلولية؛ ثم ركب على فرسه فمات على ظهره. ورثى لبيد بن ربيعة
أخاه أربد فقال:

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمـ***نا وقام الخوصم في كبـ

أخشى على أربد الحتوف ولا ***أرهب نوء السماك والأسد

فجعني الرعد والصواعق بالـ***فارس يوم الكريهة النجد

وأسلم لبيد بعد ذلك رضي الله عنه".^(١)



البحث الثالث

عالمية الإنذار والدعوة

المطلب الأول : أجرة عالمية الإنذار من القرآن الكريم ❁

المطلب الثاني : أجرة عالمية الإنذار من السنة النبوية ❁

المطلب الثالث : الأجرة على عالمية الرسالة من كتب أهل الكتاب ❁

بين يدي البحث :

كثيرة هي النصوص القرآنية الكريمة، ونصوص السنة المطهرة، وأخبار الكتب السابقة التي تحدد بدقة متناهية وظيفية ومقصدية دعوة رسولنا الكريم، المبعوث رحمة للعالمين أجمعين سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم.

هذه الدعوة التي حددها الخالق عز وجل في كون محمد عليه السلام بعث بشيرا ونذيرا للناس كافة دون استثناء أو تخصيص .

المطلب الأول : أدلة عالمية الإنذار من القرآن الكريم

الوجه الأول : نصوص قرآنية صريحة

- ١- قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾^(١)
- ٢- وقال تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢) فذكر تعالى عموم بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عربهم وعجمهم فكل من بلغه القرآن فهو نذير له.^(٣)
- ٣- قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٤)
- ٤- قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٥).
- ٥- قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

١- سورة ابراهيم - الآية ٥٢

٢- سورة يس - الآية ٧٠

٣- انظر: الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد القرطبي - ج ٧ ص ١٠

٤- سورة الصف - الآية ٦

٥- سورة الفرقان - الآية ١

- ٦- قال سبحانه : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٢).
- ٧- قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣)
- ٨- قال تعالى عن القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَهًا ذَكَرَ لِلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾^(٤).
- ٩- وقال عز من قائل : ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(٥).
- أي كل من يصل إليه بلاغ القرآن، وكل من سمعه في جميع أقطار الأرض ، في أي زمن من الأزمان وصل إليه هذا البلاغ.^(٦)
- ١٠- قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٧).
- ١١- وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٨).
- إن هذه الآيات فيها من وضوح النص والدلالة ما يغني عن شرحها والتعليق عليها . فهي صريحة واضحة لا تقبل التأويل أبداً ، بل تدل على عالمية الرسالة والإنذار المحمدي ، دلالة ضوء الشمس على طلوعها .^(٩)

١- سورة سبأ - الآية ٢٨

٢- سورة الأعراف - الآية ١٥٨

٣- سورة آل عمران - الآية ٨٥

٤- سورة ص - الآيتين ٨٧-٨٨

٥- سورة الأنعام - الآية ١٩

٦- تفسير القرآن العظيم - عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي - ج ٣ ص ٤٥

٧- سورة الصف - الآية ٩

٨- سورة الأنبياء - الآية ١٠٧

٩- انظر: الإسلام دين البشرية - احمد محمد جمال - ص ٣٣

الوجه الثاني : دعوة غير العرب في القرآن الكريم

جاء في القرآن الكريم دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين إلى الإسلام الذي جاء به محمد سواءً كانوا من العرب أو غير العرب ، وبين لهم بأن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله سواه :

١- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١)؛ بل تجاوزت رسالة نبينا محمد اليهود والنصارى والبشرية بأكملها.

٢- قال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَهِي أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾^(٢) فلم تقتصر الدعوة على عالم الإنس فقط بل تعدت ذلك إلى عالم الجن أيضاً .

٣- وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَبُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣)

الوجه الثالث : خطابات القرآن ونداءاته العامة

" إن القرآن الكريم كثيراً ما يوجه خطابه إلى الناس غير مقيدة بشيء ، وهذا دليل واضح على أن خطابه وتوجيهاته تعم الناس كافة"^(٤)، والقرآن هو وحي الله لرسوله محمد ﷺ وفيه أحكام الإسلام وهذا دليل على أن الإسلام لجميع البشر بل للإنس والجن، وأمثلة لذلك:

١- سورة آل عمران - الآية ٨٥

٢- سورة الجن - الآية ٢

٣- سورة الأحقاف - الآية ٣٠

٤- معالم النبوة في القرآن الكريم - الشيخ جعفر السبحاني - ص ٤٩

١- قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

وغيرها من الآيات كثير فهو يخاطب الناس جميعاً بقوله يا أيها الناس ولم يقل يا أيها العرب .

الوجه الرابع : القوانين والتشريعات القرآنية عالمية

لأنها من محتويات الإسلام ، والإسلام رسالة عالمية كما قلنا و الإسلام يعتمد في جميع أحكامه وتشريعاته ، وما يخص الإنسان في معاشه ومعاده على طبيعة الإنسان التي يتساوى فيها جميع البشر .

"ولا يجد الباحث مهما أوتي من مقدرة علمية كبيرة فيما جاء به نبي الإسلام ﷺ أي طابع إقليمي، أو صبغة طائفية، وتلك آية واضحة على أن دعوته دعوة عالمية لا تتحيز إلى فئة معينة ، ولا تنحرف إلى طائفة خاصة"^(٣).

فالعبادات والمعاملات والأخلاق.. الخ ، كلها ليس فيها صبغة الطائفية والإقليمية بل تكتسي بالصبغة العالمية ؛ لأنها تناسب الإنسان وطبيعته فهي الصالحة له دون سواها.

وكذلك النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقضائي.. الخ، لا تجد في ثنايا أي منها أي تفكير طائفي أو نزعة إقليمية. فمثلاً في المعاملات وما يترتب عليها من مقاضاة بين الناس يأمر الله سبحانه وتعالى المسلم أينما وجد زماناً ومكاناً ، قائلاً : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ

١- سورة البقرة - الآية ١٦٨

٢- سورة البقرة - الآية ٢١

٣- معالم النبوة في القرآن الكريم - الشيخ جعفر السبحاني - ص ٥٢

إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿١﴾، بينما نجد غير المسلمين تتجسد الطائفية والنزاعات العرقية فيهم بوضوح، فهؤلاء اليهود كما يخبر عنهم الله عز وجل حين يتعاملون مع غير من ينتمي إلى دينهم فيقول عنهم سبحانه وتعالى : ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

الوجه الخامس : الإسلام ينبذ أي مقومات للتفرقة بين الناس

إن أقوى دليل على أن الإسلام رسالة عالمية مكافحته للنزاعات الإقليمية والطائفية فالإسلام لا يفرق بين أبيض و أسود ولا بين جنس و آخر ، بل ينبذ العنصرية والطائفية ، ويرفض جعلها مقياس للتفاضل في ميزان الإسلام و المقياس الوحيد للتفاضل في الإسلام هو التقوى ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣).

فالإسلام : هو أول من حارب العصبية ودعا إلى الأخوة تحت لواء التوحيد الخالص ومقتضاه الإسلام. (٤)

١- سورة النساء - الآية ٥٨

٢- سورة آل عمران - الآية ٧٥

٣- سورة الحجرات - الآية ١٣

٤- انظر: الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق - المستشار محمد عزت الطهطاري - ص ٧٨

المطلب الثاني : أدلة عالمية الإسلام من السنة النبوية المطهرة

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم أول ما بعثه أن يصدع بالحق بين عشيرته أولاً ، ثم تتسع دائرة التبليغ والإنذار إلى أن تصل إلى أسماع كل من يستطيع أن يسمعه رسول الله ﷺ سواء مباشرة ، أو أن يرسل من ينوب عنه في تبليغ ما جاء به ﷺ من ربه سبحانه وتعالى .

النص الأول: قال ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار" ^(١) و قال ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة" ^(٢) وفيهما: "بعثت إلى الأسود والأحمر" ^(٣) قيل إلى العرب والعجم وقيل: إلى الإنس والجن والصحيح أعم من ذلك. والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة الموروثة عن الأنبياء قبله، حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بني إسرائيل وهو عيسى بن مريم، صلوات الله وسلامه عليه، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل وقص الله خبره في ذلك.

النص الثاني:ها هو ﷺ يخبر قومه قاتلاً: "والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة" ^(٤)

النص الثالث: ولتحقيق ما كلف به من تبليغ رسالته جميع الناس أرسل السفراء إلى جميع الأقطار ،(فبعث سفراءه وفي أيدي كل واحد منهم كتاب خاص إلى قيصر الروم ، وكسرى فارس ،

١- صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ - ح ١٥٣ - ج ١ ص ١٣٤

٢- صحيح البخاري - كتاب التيمم - باب إذا لم يجد ماء ولا ترابا - ح ٣٢٨ - ج ١ ص ١٢٨

٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل - ح ١٤٣٠٣ - ج ٣ ص ٣٠٤

٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - لابن القيم - ج ٨ ص ٤٨٤

وعظيم القبط ، وملك الحبشة ، والحارث بن أبي شمرا الغساني ملك تخوم (١) وغيرهم ، وما كتاباته ﷺ هذه إلى ملوك العالم في عهده إلا دليلاً قاطعاً على عالمية رسالته ﷺ .

فهذه رسالته إلى كسرى ملك فارس يقول فيها :

"بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد رسول الله ، إلى كسرى عظيم فارس : سلام على من اتبع الهدى ... وأدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين ، اسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم الجوس " (٢).

وهذا أيضاً ما كتبه إلى قيصر ملك الروم يقول فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم .. إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بالإسلام اسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين " (٣)

النص الرابع : ما روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أبيض وأسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً فأبما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة " (٤).

النص الخامس : جعله الله رحمة مهداة للعالمين ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : "يا أيها الناس أنا رحمة مهداة " (٥).

النص السادس : ثم ما جاء عن كونه سيد الأولين والآخريين فإن فيه دليلاً على عالمية رسالته ﷺ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " (٦).

١- معالم النبوة في القرآن الكريم - الشيخ جعفر السبحاني - ص ٤٤

٢- تاريخ الطبري - ج ٢ ص ٢٩٥

٣- تاريخ اليعقوبي - ج ٢ ص ٦١ ، السيرة الحلبية - ج ٢ ص ٢٧٥

٤- صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ابتناء مسجد النبي ﷺ - ح ٥٢١ - ج ١ ص ٣٧٠

٥- المستدرک علی الصحیحین - للحاکم النیسابوری - ح ١٠٠ - ج ١ ص ٩١ وقال: صحیح علی شرطهما ، وأقره الذهبي

ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد - لابن القيم - ج ٨ ص ٢٥٧

٦- سنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب ذكر الشفاعة - ح ٤٣٠٨ - ج ٢ ص ١٤٤٠ . وصححه الألباني

المطلب الثالث : الأدلة على عالمية الرسالة من كتب أهل الكتاب

أولاً : الأدلة على عالمية الرسالة من كتب العهد القديم (التوراة)

البشارة الأولى : من سفر النبي حجي

بشارة النبي حجي في سفره الوارد بالإصحاح الثاني عدد ٧ يقول فيه : " وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم ، فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود"^(١).

وفي العدد (٩) يقول : "مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود"^(٢).

ولفظ (مشتهى كل الأمم) لا تعني إلا رسول يأتي وتنتظره كل الأمم وعبر عن ذلك الانتظار بلفظ مشتهى كل الأمم بمعنى أنه يخرج من غير الإسرائيليين كما لا يكون مرسلأ إليهم خاصة بل إلى جميع أمم الأرض لأن هؤلاء الإسرائيليين يذكرون غيرهم من الناس بتعبير الأمم ... وإذا رجعنا إلى الأصل العبراني لكلمة (مشتهى كل الأمم) نجد أنها (حمدوت) الأمم ، أي محمود الأمم ، واسم محمود^(٣) ، هو من ضمن أسماء النبي محمد ﷺ^(٤).

البشارة الثانية : من سفر التكوين

جاء في سفر التكوين من الآية العاشرة من الباب التاسع والأربعين النص التالي : " فلا يزول

القضيب من يهوذا أو المدبر من تحت فخذي، حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم"^(٥).

هذا في الترجمة العربية سنة ١٧٢٢م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م .

١- الإنجيل - سفر حجي ٢ - الإصحاح ٧

٢- الإنجيل - سفر حجي ٢ - الإصحاح ٩

٣- وهذا ما حققه عبد الأحد داود العراقي والذي كان قسيساً وأسلم ضمن كتابه (الإنجيل والصليب) في الباب الثالث

٤- الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق - المستشار محمد عزت الطهطاوي - ص ٣٤٢-٣٤٧

٥- الإنجيل - سفر التكوين ٤٩ - الإصحاح ١٠

وفي الترجمة العربية سنة ١٨١١ م (هكذا): " فلا يزول القضيبي من يهوذا و الرسم من أمره إلى أن يجيء الذي هو له وإليه تجتمع الشعوب " .

"والقضيبي هو النبوة على ارجح التفسيرات ومقتضى الكلام أن الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم لابد أن يكون محمداً ﷺ ، ولا يصح أن يفسر به غيره ، لأنه لو فسرنا أن المقصود بذلك المسيح لكان فهمنا متناقض مع النص ، إذ المسيح من آل إسرائيل ومن ذريته ، والكلام هنا عن نبوة تخرج عن ذرية إسرائيل إلى إنسان تجتمع إليه الشعوب من غيرهم وليس ذلك لغير محمد ﷺ" (١) .

البشارة الثالثة : من الزبور

وهي موجودة في الزبور في الإصحاح المائة والتاسع والأربعين، وهذه هي : " لأن الرب يسر بشعبه ، ويشرف المتواضعين بالخلاص ، يفتخر الأبرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم ، ترفيع الله في حلوقهم ، وسيوف ذات ضمير في أياديهم ، ليضعوا انتقاماً في الأمم ، وتوبيخات في الشعوب ، ليقيدوا ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال من حديد ، ليضعوا بهم حكماً مكتوباً ، هذا المجد يكون لجميع الأبرار" (٢) .

البشارة الرابعة : من سفر النبي أشعيا

يقول سفر النبي أشعيا (٢١ : ١٣ - ١٤) " في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الفدادين . هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء ، وافوا الهارب بخبره " (٣) ، وطبعة كولنيزا الإنكليزية تعنون هذا الجزء من التوراة بعنوان (العبء على جزيرة العرب): " والعبء بدون ريب

١- إظهار الحق : رحمة الله الهندي _ عن كتاب محمد ﷺ - سعيد حوى ص ٤١٩-٤١٧

٢- الإنجيل - سفر الزبور - الإصحاح ١٤٩

٣- الإنجيل - سفر اشعيا ٢١ - الإصحاح ١٣ - ١٤

هو عبء تبليغ رسالة الله في عموم البشر حيث يصرح سفر أشعيا هكذا . أن الله سبحانه وتعالى قد ألقى هذا العبء على كاهل العرب"^(١) .

ثم نجد النص يصرح ببلاد العرب وسكان قيدار هم سكان المدينة المنورة فهو يأمرهم بأنه إذا جاء النبي ﷺ ، هارباً من مكة بأن يستقبلوه ويعطوه الماء والخبز إكراماً له . وهذا ما حدث فعلاً لنبينا محمد ﷺ ، عندما هاجر من مكة إلى المدينة .

ثانياً : الأدلة على عالمية الرسالة من العهد الجديد (الإنجيل)

البشارة الأولى : من إنجيل يوحنا

" لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي . ولكن إذا ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ."^(٢)

قال عيسى ﷺ (يبكت العالم) فهذا القول بمنزلة النص الجلي لمحمد ﷺ لأنه وبخ العالم سيما اليهود على عدم إيمانهم بعيسى ﷺ توبيخاً لا يشك فيه إلا معاند بحت، وكذلك أنذر ووبخ المنافقين والعصاة في جميع أنحاء العالم .

وقول عيسى ﷺ " أما على خطية فالأنهم لا يؤمنون بي " وهذا يدل على أن المعزي (المواس) يكون على منكري عيسى ﷺ موجهاً لهم على عدم الإيمان به)^(٣) .

١- عتاد الجهاد - العلامة احمد ديدات ص ١٢

٢- إنجيل يوحنا ١٦- الإصحاح ٧-١١

٣- انظر الرسول محمد ﷺ - سعيد حوى - ص ٤٣٢-٤٣٣

البشارة الثانية: من إنجيل برنابا

إن إنجيل برنابا قد أعطى أدلة قوية تثبت نبوة محمد ﷺ، ولذلك أصدر البابا (جلاسسيوس) الأول _ الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ ميلادية، أمراً ينهى فيه عن مطالعة إنجيل برنابا، ولذلك رفضه النصارى بلا مبرر^(١).

جاء في الفصل السابع عشر من الإنجيل: "ولكن سيأتي بعدي بهاء كل الأنبياء الأطهار فيشرق نوراً على ظلمات سائر ما قال الأنبياء لأنه رسول الله"، أي يبين غامض أقوالهم^(٢).

البشارة الثالثة: من إنجيل برنابا

في الفصل الثالث والأربعين يقول: "الحق أقول لكم إن كل نبي متى جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصاً ورحمة للأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوة على الظالمين، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً: انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً، هكذا سيفعل نسلك.

أجاب يعقوب: ... فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مسيا ابن داود فكيف يسميه داود رباً؟، صدقوني لأني أقول لكم الحق: إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق"^(٣).

١- الرسول محمد ﷺ - سعيد حوى- ص ٤٣٤ بتصرف

٢- إظهار الحق - رحمة الله الهندي عن كتاب محمد ﷺ ص ٤٣٥

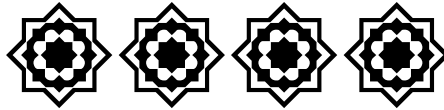
٣- إنجيل برنابا الإصحاح ٤٣

البشارة الرابعة : من إنجيل برنابا

في الفصل الرابع والأربعين يقول " ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه العالم صدقوني إني رأيتُه وقدمت له الاحترام، ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سير حذاءك لأني إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً و قدوس الله ".^(١)

وهذه البشارة تؤكدُها الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢).

ويرى الباحث أن نصوص التوراة والإنجيل التي نزلت على اليهود والنصارى الصحيحة - والتي حُرِّفَت بعد ذلك -، تشهد وتقر بإرسال رسول عالمي للأمم كلها، مما يؤكد عالمية هذه الرسالة . وبالتالي فأهل الكتاب مخاطبون بهذا الدين العالمي، بل العالم أجمع مخاطب ومكلف أن يدين بهذا الدين العالمي، وفي ذلك من الإنذار للعالمين بما تقوم به الحجة عليهم أجمعين، فمن آمن فقد فاز ونجا، ومن أبى فقد خسِر وخاب في الدنيا والآخرة.



١- إنجيل برنابا - الإصحاح ٤٤

٢- آل عمران آية ٨١

الفصل الثالث

نماذج للإنذارات الفردية في القرآن الكريم

النموذج الأول : إنذار الأب لابنه (نوح عليه السلام وابنه الكافر) ❁

النموذج الثاني : إنذار الابن لأبيه (إبراهيم عليه السلام وأبيه أزر) ❁

النموذج الثالث: إنذار الصاحب لصاحبه (قصة صاحب الجنتين) ❁

النموذج الرابع: إنذار الأخ لإخوته (قصة أصحاب الجنة) ❁

بين يدي الفصل:

المجتمع الإسلامي في نظر الإسلام وحدة واحدة لا تتجزأ، ولا يجوز أن تترك ليصيبها العطب أو الفساد، ولا أن يهمل جزء منها ليصاب بالعطب أو الفساد، ولا سبيل إلى صيانتها إلا بأن يقوم كل فرد بعمله، وأن يكون مخلصاً في عمله فينذر المصائب ويحذره من مغبة التكذيب والعناد مضحياً للجماعة التي ينتمي إليها، بشيء من راحته ووقته، وبجزء من ماله وجهده، برضا نفس، وسماحة قلب، حتى يظل الترابط والتماسك قائماً، ويبقى التراحم والتواد بين الأفراد موجوداً، فإن الأفراد هم اللبنة التي يتكون منها المجتمع، والخلايا التي ينتج عن تماسكها هذا الكائن الحي المسمى بالأمة.

وطالما كانت الخلايا سليمة تؤدي وظائفها ظل المجتمع سليماً معافى، يفيض على خلاياه الصحة والقوة، ويدفع عنها كل خطر خارجي، ويعوضها عن كل نقص داخلي.

ولا بد أن يشعر الفرد بأنه ابن بار لمجتمعه، وعضو نشيط في أمته يسعد بسعادتها، ويتفعل بأحاسيسها، وينغصه تأخرها عن غيرها، والمجتمع يحرسه ويحافظ عليه، محافظة الأب الرحيم والأم الرءوم على ولدها.

لقد جعل الله الفرد مسئولاً شخصياً عن حراسة نفسه، وعن الإضرار بأمته، ومسئولاً عن حراسة الأمة في بيئته ومسئولاً عن عمله وإتقانه، والأمانة فيه، ومسئولاً عن إنذار مجتمعه الأقرب فالأقرب، مهما يلاقي في سبيله من مشقة وتعب، لأن الله جعله جندياً، وميزه بالعقل وطالبه بالمحافظة على منطقتة.

"والإنذار الفردي من أعظم وسائل صناعة الداعية الرباني، إذ تدفع بالداعية دفعاً إلى أن يكون قدوة صالحة لمن يدعوه، بحيث يتمثل بكل كلمة يقولها للمدعو، فيسبق فعله قوله، ويترجم حاله

مقاله، إذ أنه يعلم أن لسان الحال أبلغ بكثير من لسان المقال، وأن فعل رجل في ألف رجل، أقوى أثرًا من قول ألف رجل لرجل " فكم من واعظ صقل بيانه، وأعقل جنانه، وكم من داعية ينصر قوله الفضائل ويعجب فعله الرذائل، فلا وربك حتى يكون الفعل على اللسان رقيبًا، والضمير على البيان حسبيًا، وحتى تظهر الجوارح ما تكن الجوانح، وحتى تكون عبادتك في قلبك ضياءً وفي عزمك مضاءً، وفي كفك عملاً".^(١)

فشرط نجاح الإنذار الفردي أن يتعامل المدعو مع الداعية مباشرة وعن قُرب، ولفترات طويلة، فيشعر بمدى صدقه والتزامه، في أقواله وأفعاله، في مشاعره وانفعالاته، وهذه المعايضة الدائمة لا تترك أي فرصة لتكلف أو تصنع، وإنما الذي يؤثر في نفس المُنذِر حقيقة هو رصيد المُنذِر الحقيقي من التزامه بهذا الدين، وما تأثر صحابة النبي ﷺ بإنذاراته ومواعظه إلا بعد أن كان أمامهم ﷺ قرآنٌ يمشي على الأرض، وما فتح الله عز وجل بهذه الثلة المؤمنة قلوب العباد قبل البلاد إلا بعد أن صنع منهم المربي الأعظم محمد ﷺ تلك المصاحف البشرية التي يرى من خلالها منهج هذا الدين حيًا متمثلًا في واقع الأرض في أجلى وأروع صورة، وباستقرار هذه الحقيقة الضخمة في كيان الداعية المنذر، فإنه يكون دائمًا وأبدًا في حالة محاسبة مستمرة لنفسه على كل فجوة — ولو صغرت — تحدث بين قوله وفعله، ثم يكون منه استدراك فارتقاء، وبذلك يصبح الإنذار الفردي أبلغ وسيلة للتربية الذاتية يصنع من خلالها الداعية الرباني، الذي خصه الله تعالى في تنبيه الغافلين وإنذار المعرضين من نار السعير.

النموذج الأول : إنذار الأب لابنه (نوح عليه السلام وابنه الكافر)

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَقَرٍّ يَا بُنَيَّ اذْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَدْتَ أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي آخُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١)

عندما أوحى الله عز وجل لنبيه نوح عليه السلام بالإنطلاق بسفينته التي كان قد بناها وسط ضحكات المستهزئين من قومه، وتحت سياط ألسنتهم وغمزهم ولمزهم، وتكذيبهم برسالته وإنذاراته.

أوحى الله لنبيه بأن يوم العذاب قد حل وأن عليه الانطلاق بسفينته بمن آمن من قومه، وهم - على قلتهم - لم يكن فيهم أقرب الناس لنوح عليه السلام، فزوجته بقت على كفرها وعنادها، وابنه (كنعان) ظل هو الآخر على اليابسة ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ أي والسفينة تسير بهم وسط الأمواج، التي هي كالجبل في العظم والارتفاع، بإذن الله وعنايته ولطفه، قال الصاوي: رُوي أن الله أرسل المطر أربعين يوماً وليلة، وخرج الماء من الأرض ينباع (٢) كما قال

١- سورة هود - الآيات ٤٢ - ٤٧

٢- تفسير المراغي - الأستاذ أحمد مصطفى المراغي - ج ٣ ص ٥٠

تعالى {ففتحنأ أبواب السماء ماءً مُتَهمراً وفَجَّرنا الأرضَ غيوطاً فالتقى الماء على أمرٍ قد قُدر} وارتفع الماء على أعلى جبل أربعين ذراعاً حتى أغرق كل شيء فالتقت أمطار السماء بمياه الأرض، وصارت ترتفع ساعة بعد ساعة. فقدت البحار هدونها، وانفجرت أمواجها تجور على اليابسة، وتكتسح الأرض، وغرقت الكرة الأرضية للمرة الأولى في المياه، رتفعت المياه أعلى من الناس، تجاوزت قمم الأشجار، وشمم الجبال، وغطت سطح الأرض كله {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعزِلٍ} ونادى نوحٌ ولده "كنعان" قبيل سير السفينة وكان في ناحيةٍ منها لم يركب مع المؤمنين {يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا} أي اركب معنا ولا تهلك نفسك بالغرق {وَلَا تُكِنِّ مَعَ الْكَافِرِينَ} أي فتغرق كما يغرقون {قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} أي سأصعد إلى رأس جبل أتحصن به من الغرق، ظناً منه أن الماء لا يصل إلى رءوس الجبال {قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} أي قال له أبوه نوح: لا معصوم اليوم من عذاب الله ولا ناجي من عقابه إلا من رحمه الله {وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} أي حال بين نوح وولده موج البحر فغرق {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ} أي انشقي وابتلعي ما على وجهك من الماء {وَيَا سَمَاءُ أَلْقِي} أي أمسكي عن المطر {وَوَغِيضَ الْمَاءِ} أي ذهب في أغوار الأرض، قال مجاهد: نقص الماء {وَوُضِيَ الْأَمْرُ} أي تم أمر الله بإغراق من غرق، ونجاة من نجا {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} أي استقرت السفينة على جبل الجودي بقرب الموصل {وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أي هلاكاً وخساراً لمن كفر بالله وهي جملة دعائية^(١)،

"قال الألوسي: ولا يخفى ما في الآية من الدلالة على عموم هلاك الكفرة، بل على عموم هلاك أهل الأرض ما عدا أهل السفينة، ويدل عليه ما روي أن الغرق أصاب امرأة معها صبي لها

فوضعتة على صدرها، فلما بلغها الماء وضعتة على منكبها، فلما بلغها الماء رفعته بيديها، فلو رحم الله أحداً من أهل الأرض لرحمها ^(١) {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} أي دعا نوح ربه متضرعاً إليه فقال: ربّ إن ابني "كنعان" من أهلي وقد وعدتني بنجاتهم {وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ} أي وعدك حق لا خُلف فيه {وَأَمَّتَ أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} أي وأنت يا الله أعدل الحاكمين بالحق {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} أي قال له ربه: يا نوح إنّ ولدك هذا ليس من أهلك الذين وعدتكم بنجاتهم لأنه كافر ولا ولاية بين المؤمن والكافر {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} أي إنّ عمله سيء غير صالح {فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أي لا تطلب مني أمراً لا تعلم أصواباً هو أم غير صواب؟ {إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} أي إني أنبهك وأنصحك خشية أن تكون من الجاهلين، قال ابن جزري: وليس في ذلك وصف له بالجهل، بل فيه ملاطفة وإكرام {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} أي قال نوح معتذراً إلى ربه عما صدر عنه: ربّ إني أستجير بك من أن أسألك أمراً لا يليق بي سؤاله {وَالْإِلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} أي وإلا تغفر لي زلتي، وتتداركني برحمتك، أكن ممن خسرتهم وسعادته.

"وثمة درس مهم تنطوي عليه هذه الآيات الكريمة بأن الدم ليس هو الصلة الحقيقية بين الناس. فابن النبي هو ابنه في العقيدة. هو من يتبع الله والنبي ويستمع لإنذاراته، وليس ابنه من يكفر به ويستهزأ بإنذاراته ولو كان من صلبه. هنا ينبغي أن يتبرأ المؤمن من غير المؤمن. وهنا أيضا ينبغي أن تتصل بين المؤمنين صلوات العقيدة فحسب. لا اعتبارات الدم أو الجنس أو اللون أو الأرض".^٢ لذلك استغفر نوح ربه وتاب إليه ورحمه الله وأمره أن يهبط من السفينة محاطاً ببركة الله ورعايته.

{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ﴿١٨٦﴾

قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴿١٨٧﴾

١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني - لشهاب الدين الألوسي - ج ٨ ص ١٦٨

٢- تفسير العياشي - محمد بن سعود العياشي - ج ٧ ص ٢٣

النموذج الثاني : إنذار الإبن لأبيه (إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر)

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءِلهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾^(١)

وهذا نموذج آخر للإنذار الفردي، ابو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ووالده آزر، الولد المؤمن البار، {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءِلهَةً} أي واذكر يا محمد لقومك عبدة الأوثان وقت قول إبراهيم - الذي يدعون أنهم على ملته - لأبيه آزر منكرًا عليه أتخذ أصنامًا آلهة تعبدونها وتجعلها رباً دون الله الذي خلقك فسواك ورزقك؟ {إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} أي فانت وقومك في ضلال عن الحق مبين واضح لا شك فيه {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي نرى إبراهيم الملك العظيم والسلطان الباهر {وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} أي وليكون من الراسخين في اليقين أريناه تلك الآيات الباهرة قال مجاهد: فُرجت له السماوات والأرض فرأى ببصره الملكوت الأعلى والملكوت الأسفل^(٢) {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا} أي فلما ستر الليل بظلمته كل ضياء رأى كوكباً مضيئاً في السماء هو الزهرة أو المشتري {قَالَ هَذَا رَبِّي}

١- سورة الأنعام - الآيات ٧٤ - ٧٩

٢- انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد أبو السعود - ج ٥ ص ٤٤

أي على زعمكم قاله على سبيل الرد عليهم والتوبيخ لهم واستدراجاً لهم لأجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله قال الزمخشري: كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والكواكب فأراد أن يبينهم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدب إلى ألا يكون شيء منها إلهاً وأن وراءها محدثاً أحدثها، ومدبراً دبّر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وقوله {هَذَا رَبِّي} قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى إلى الحق ثم يكره عليه فيبطله بالحجة {فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} أي فلما غاب الكوكب قال لا أحب عبادة من كان كذلك، لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال لأن ذلك من صفات الأجرام {فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي} أي فلما رأى القمر طالعاً منتشر الضوء قال هذا ربي على الأسلوب المتقدم لفتناً لأنظار قومه إلى فساد ما يعبدونه وتسفيهاً لأحلامهم {فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} أي فلما غاب القمر قال إبراهيم لمن لم يثبتني ربي على الهدى لأكونن من القوم الضالين، وفيه تعريض لقومه بأنهم على ضلال {فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ} أي هذا أكبر من الكوكب والقمر {فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} أي فلما غابت الشمس قال أنا بريء من إشراككم وأصنامكم قال أبو حيان: لما أوضح لهم أن هذا الكوكب الذي رآه لا يصلح أن يكون رباً ارتقب ما هو أنور منه وأضوأ فرأى القمر أول طلوعه، ثم لما غاب ارتقب الشمس إذ كانت أنور من القمر وأضوأ، وأكبر جرمًا وأعم نفعاً، فقال ذلك على سبيل الاحتجاج عليهم وبين أنها مساوية للنجم في صفة الحدوث وقال ابن كثير: والحق أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام والكواكب السيارة

وأشدهن إضاءة الشمس ثم القمر ثم الزهرة فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع {قال يا قوم إني بريء مما تشركون} {إني وَجَّهْتُ وَجْهِيَ} أي قصدت بعبادتي وتوحيدي {لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} أي الله الذي ابتدع العالم وخلق السماوات والأرض {حَيِّفًا} أي مانلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} أي لست ممن يعبد مع الله غيره. (١)

ونقف عند نموذج قرآني آخر لإنذار الابن البار إبراهيم عليه السلام، لأبيه الكافر آزر:

﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٦٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٦٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٦٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (٢)

ذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآيات ما كان جرى بين إبراهيم وأبيه من الإنذار والجدال في دعوته إلى عبادة الله وحده، وكيف دعا أباه إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنذره من البقاء على ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه، فكيف تُغني عنه شيئاً أو تفعل به خيراً من رزق أو نصر فهي لا تضر ولا تنفع، وأعلمه بأن الله قد أعطاه من الهدى والعلم النافع فدعاه إلى اتباعه والاستماع لندارته، وإن كان أصغر سنّاً من أبيه لأن اتباعه ودخوله في دين الإسلام وعبادة الله وحده هو الطريق المستقيم السوي الذي يفضي إلى الخير في الدنيا والآخرة. ثم بيّن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه أنه بعبادته للأصنام وتكذيبه للإنذار يكون

١- انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - علي بن أحمد الواحدي - ج ٦ ص ٣٢٢ وما بعدها

٢- سورة الأنعام - الآيات ٤ - ٨

أذنًا صماءً أو عيناً عمياء. كان استغفار الابن لأبيه في بداية دعوته؛ لما لم يتبين له بعد إصرار أبيه على الشرك: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِثًّا﴾^(١) لكن لما: ﴿تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾^(٢) ومات على الشرك: ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٣). ولذلك قال النبي ﷺ كما في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة -سواد وغبرة- فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب! إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين، فيقال: يا إبراهيم! انظر ما بين رجليك، فينظر فإذا هو بذيخ -أي: ضبع، متلطح قدر منتن- فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار)^(٤) "قال الإمام القاسمي رحمه الله: قيل الحكمة في مسخه لتنفّر نفس إبراهيم منه، لتلا يبقى في النار على صورته، فيكون غضاضة على إبراهيم"^(٥)، وهكذا ينتهي الأب المجرم بهذا المصير المخزي؛ لما رفض سماع إنذارات الولد الصالح، فهذا درس لأولئك القوم الذين غلوا في طغيانهم وفجورهم، فلما هدى الله أولادهم إلى الصراط المستقيم من قاموا لهم بالنصيحة وبينوا لهم الطريق القويم، ولكن أخذتهم العزة بالإثم، فلا هم رجعوا عن طريق الغواية إلى طريق الحق والهداية، ويصرون على الباطل، بل ويستهنون بالولد الصالح وهو يدعوهم إلى الله تعالى وينذرهم من مغبة الكفر والعدا، ولكن لا فائدة، فأى مصير ينتظرهم وهم المعرضون عن التذكير والنصح؟

١- سورة التوبة- الآية ١١٤

٢- سورة التوبة- الآية ١١٤

٣- سورة التوبة- الآية ١١٤

٤- صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) - ح ٣١٧٢ - ج ٣ ص ١٢٢٣

٥- محاسن التأويل - الإمام جمال الدين القاسمي - ج ٣ ص ٢٢

النموذج الثالث : إنذار الصاحب لصاحبه (قصة صاحب الجنتين)

﴿ وَاصْتَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿١﴾
 كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَمَجْرَنًا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٢﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ
 وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَهْرًا ﴿٣﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ
 أَبَدًا ﴿٤﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّا مُنِّبَلًا ﴿٥﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ
 يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٦﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
 بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٧﴾ وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٨﴾
 فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِمَّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٩﴾ أَوْ يُصْبِحَ
 مَاوُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿١٠﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَهَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
 عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١١﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا
 كَانَ مُنتَصِرًا ﴿١٢﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١٣﴾. (١)

ونقف مع قصة جديدة للإنذار الفردي، وهي قصة ذات عناصر جديدة عناصر جديدة من شأنها أن تثبط الإنسان وتكبله، فيقعد عن أداء واجبه الشرعي في الدعوة والإنذار أو يتحول إلى عنصر هدم وإفساد في الأرض، كما من شأنها أن تحوله إلى عنصر بناء وتدفعه إلى أداء الواجبات المنوطة به بكل إخلاص وصدق.

من هذه العناصر نجد التواضع والقناعة والشكر وابتغاء ما عند الله كعناصر بناء وقوة، بإمكانها أن تؤدي إلى النجاح والنصر والتمكين، في مقابل التكبر والجشع والطمع والجحود والاعتماد على

القوة المادية وعلى الذات كعناصر هدم وضعف والتي بإمكانها أن تؤدي إلى الفشل والهزيمة والحرمان.

أهمية هذه العناصر تكمن في كونها تعتبر من الأساسيات في بناء الشخصية المنذرة المستقيمة المجاهدة، وعكسها تعتبر من أساسيات الشخصية الفاشلة المنحرفة والمعاندة للإنذار.

﴿وَاصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿١﴾ كَلَّتَا الْأَجْنَتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَرَّتَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٢﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴿٣﴾﴾.

إن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده بالعطاء كما يبتليهم بالمنع، يبتليهم بالسراء كما يبتليهم بالضراء، يبتليهم بالرخاء كما يبتليهم بالشدة، وذلك ليعلم من يصبر ممن يضجر، حكمة الله البالغة. ولكي نعلم نحن العبيد الفقراء أن هذه الدنيا دار امتحان وبلاء وليست دار نعيم وعطاء، يأخذ منها المؤمن والكافر، والمعاصي والمطيع، والموحد والمشرك، دار من لا دار له، وممر سرعان ما ينقضي لنمر عبره إلى دار البقاء، و تلك هي الدار الحقيقية والأبدية. ^(١)

لقد ضرب الله سبحانه أمثلة عديدة في كتابه العزيز، بين فيها هذه الحقيقة، ومنها هذه القصة التي بين أيدينا، قصة صاحب الجنتين، كما ضرب مثلاً آخر في قصة أصحاب الجنة ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْحِرِينَ﴾ ^(٢)، فهو في حقيقة الأمر ابتلاء وفتنة وليس نعمة ومحنة كما قد يعتقد الكثير من الناس.

١- انظر : أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع - عبالرحمن حبكة الميداني- ص ١١٠

٢- سورة القلم- الآية ١٨

إن أكثر الناس قد أصبحوا مستخزين للمال والمتاع الذي رزقهم الله إياه، ويكون همهم هو حفظ هذا المال خوفاً من الفقر والحاجة، والقليل من ينجح في قلب هذه المعادلة، حيث المطلوب أن يكون هذا المتاع وسيلة للتقوية على عبادة الله ونفع عباده، فهذا الصنف قليل ونادر.

فهذه قصة رجل آتاه الله كل ألوان المتاع وكل أنواع المال الذي يحلم به المرء في هذه الحياة الدنيا، وبدلاً من أن يشكر ربه على هذه النعم، وينفق منه سراً وجهراً، ويدفعه إلى معرفة حقيقته وضعفه وفقره أمام قوة الله وغناه، نراه يتصف بكل الصفات التي يستحق صاحبها غضب الله وعقابه، وبالتالي تؤدي به إلى زوال النعمة، وإلى حرمانه منها والعودة إلى سابق عهده، لا يملك شيئاً، بل إن الله تعالى قادر على أن يسلبه صحته وعقله لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً، فهو المعطي وهو المانع، يؤتي الملك من يشاء ويرزع الملك ممن يشاء، وهذه حقيقة لا ينبغي أن نغفل عنها قيد أنملة ما دمنا في هذه الحياة الدنيا.

﴿ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾، وهو استعلاء وتكبر على الخلق بما آتاه الله من فضله، وهو - سبحانه - إذا شاء حرمه فيتساوى مع صاحبه في متاع الدنيا.

إنه الجهل بحقيقة هذه الحياة الدنيا، كوفها زائلة ولا تدوم لأحد مهما أوتي من علم وقوة وحكمة، وبأنها مجرد فتنة ومحنة ﴿ لِيَلْبِسَكُمْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾^(١)، وليست اصطفاً ومنحة كما قد يظن الكثير من الغافلين.

" فالذي يستعلي على الناس بما آتاه الله ويفتخر بما لديه من متاع الدنيا يظن بأن الله تعالى قد خصه من دون العباد، وبأن ملكه باق إلى قيام الساعة" ^(٢) ؛

١- سورة هود - الآية ٧

٢- في ظلال القرآن - الشهيد سيد قطب - ج ٦ ص ٣٣

وهذا ما يقوله صاحبنا لصاحبه: ﴿وَنَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿١﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٢﴾﴾ ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن حب الدنيا قد أعمى بصيرته، ولم يعد يميز بين الحقيقة والخيال، ولا بين الواقع والمثال.

"وهذا واقع حال كثير من الناس اليوم، حيث تراهم يعتقدون كل آمالهم على ثرواتهم وجاههم ونفوذهم، ويظنون بأن هذا هو السند الحقيقي لهم في هذه الحياة الدنيا، بل إنهم يعتقدون بأن هذا السند باق لن يزول ما داموا أحياء يرزقون.

والخطير في الأمر أن هذا الاعتقاد يجعلهم يتنصون من واجباتهم، ويظنون أنهم بعيدون كل البعد عن الإنذارات الربانية وأنها تعني غيرهم ، فلا ينفقون إلا قليلاً، ولا يقومون إلى عباداتهم إلا وهم كارهون، وهؤلاء لا يمكن أن يجاهدوا بأوقاتهم وأموالهم فضلاً عن أنفسهم ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴿١﴾﴾ ، فالذي يريد الجهاد لا بد أن يعود نفسه على النفقة بالوقت والمال " .^(٢)

تكبر واستعلاء وطول أمل وجحود لنعم الله تعالى وتكذيب لدعائه ومنذريه، كل هذه الصفات نراها تجسدت في هذا الرجل، وهو يتباهى أمام صاحبه،

بينما في الطرف الآخر نرى نموذجاً مخالفاً بل ومناقضاً للنموذج الأول ، رجل مؤمن راض وقانع بما قسمه الله له، شاكراً لأنعم الله متواضع له، واضع يقينه التام وثقته المطلقة في ربه، على أنه هو الرزاق ذو القوة المتين، يتوجه لصاحبه منذراً إياه بصوت عال من تماديه في غيه، وإصراره على كفره ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿١﴾﴾ ، وهو تذكير بأصل الإنسان المهين البسيط، لعله يفيق من غفوة التكبر والاستعلاء على ربه وخلقته،

١- سورة التوبة - الآية ٤٦

٢- التفسير المنير - الدكتور وهبة الزحيلي - ج ٧ ص ١٠٥

من هذا التراب الذي نطأه ونسير عليه في كل لحظة، ومن نطفة حقيرة أصلها من ماء مهين ليعلم هذا الإنسان أصله ومبتدأه، لكي تظل دوماً صورةً أمام عينيه تذكّره وتحجّمه عن التكبر والاستعلاء.

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾؛ خضوع تام لربه وعبودية مطلقة لخالقه، وهي في مقابل قول الرجل الأول ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَيَّ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّا مُنْقَلَبًا﴾، كفر بالساعة وتمني بأن يرزقه الله في الآخرة أفضل مما رزقه في الدنيا.

﴿وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَأُقْوَىٰ إِلَٰهًا بِاللَّهِ﴾؛ وهو الدعاء الذي يرمز إلى التواضع والشكر والاعتراف بنعم الله وفضله وقوته، فكل ما عند الإنسان أصله من الله تعالى، وإن كان قد حصل عليه بعمل يديه وعرق جبينه، لأن القوة التي سخرناها للحصول على النتائج إنما هي من الله، كما أن هذه النتائج تحتاج إلى توفيق الله أولاً وأخيراً، ففي النهاية كل نجاح وكل نعمة من الله وحده. (١)

﴿إِنْ تُرِنِ أْنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾، فالله سبحانه قادر على أن يقلب الصورة، فيصبح الغني فقيراً والفقير غنياً، كما يصبح القوي ضعيفاً والضعيف قوياً، يحرم هذا بأسباب وبغير أسباب، ويمنح ذلك بأسباب وبغير أسباب كذلك. فكم من غني افتقر بعد غناه بين عشية وضحاها وكذلك العكس، والأمثلة في هذا أكثر من أن تحصى، ولكن الإنسان يغفل

وينسى بل ينسيه الشيطان هذه الحقيقة القرآنية والسنية وسط متاهات الحياة وملذاتها ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١).

أما المؤمن الواصل بربه، المتوكل عليه حقيقة يعلم يقيناً بأن ما فاته من الدنيا لن ينقص من قيمته عند الله، وما يكسبه المرء من حظ الدنيا لن يرفع شأنه عند الله إلا بمقدار ما ينفق من هذا المال في سبيل الله وفي سبيل عمارة الأرض في الخير والإحسان لعباد الله، أما ما عدا ذلك فسيكون مجرد لذة عابرة في الحياة الدنيا ووزر وندامة يوم القيامة.

كما أن المؤمن يعلم بأن الله تعالى يرزق من يشاء بحساب وبغير حساب، وحينما يرزقك فلحكمة بالغة، وقد يكون هذا الرزق سلاح ذو حدين، قد ينفعك وقد يضرك، وحين يجرمك فلحكمة بالغة كذلك، وقد يكون هذا الفقر والحرمان خيراً لك في دينك ودنياك وإن كان ظاهره عكس ذلك. فقد يكون العطاء والغنى استدراجاً للكثير من الناس، كما يكون نعمة لآخرين، وهكذا تنفاوت الأرزاق وتختلف الحكم الربانية في ذلك من شخص لآخر.^(٢)

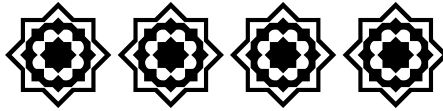
أما صاحبنا فظاهر الأمر أن الله قد حرمه من هذا المتاع بسبب بطر النعمة وتكذيبه بالندر، وكان هذا الجزاء الدنيوي؛ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَفْقَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ وكم من نعم يؤتاها الإنسان فلا يعير لها كبير اهتمام، بل قد يستعملها في الشر ومنع الخير، حتى إذا فقدتها أفاق وندم على ما فات، ويتمنى لو تعود إليه لكي يحسن صنعا، ولات حين مندم.

١- سورة النساء - الآية ١٢٠

٢- انظر : أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع - عبالرحمن حنكة الميداني - ص ١١٤

إن الله تعالى حكيم في فعله وحكيم في حكمه وقضائه، والقاعدة الثابتة هي ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١)، سنة لا تحابي أحداً، جزاء من جنس العمل، قطعت فقطع الله عليك، منعت فمنع الله عنك. وهذا الحكم يشمل كل النعم التي يتمتع بها الإنسان، خاصة المؤمن بما لديه من إيمان وفهم لدين الله وقوة جوارح، لا بد أن يسخر هذا في خدمة دينه ونصرته بما أوتي من نعم الله، فينطلق حاملاً هم الدعوة وإنذار الخلائق أجمعين، ومن يتمتع ويبخل، ويكذب ويعاند فإنه لا يستحق هذه النعم والأجر أن لا تدوم له، وإذا دامت فلن تنفعه، بل ستكون عليه وزراً في الدنيا ووبالاً في الآخرة.

وهنا يرجع المرء إلى أصله وحقيقته، على أنه لا شيء ولا يملك شيئاً ولا حول له ولا قوة إلا بالله، فإن شاء رفعه وأعطاه وإن شاء وضعه وحرمه ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً﴾ ومن يستطيع أن ينصره على الله، أو يحاول أن يرد إليه ما فاتته؟ ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾، هذه هي الحقيقية، وهذه هي النهاية التي نغفل عنها ونتناساها وسط زحمة الأحداث والفتن المحيطة بنا، حتى كأننا نظن أن ما نملكه من متاع الدنيا قادر على أن ينقذنا من بأس الله إن جاءنا، بل من قضائه وعدله سبحانه إن نحن غفلنا عن سننه، وكذبنا بإنذاراته .



النموذج الرابع: إنذار الأخ لإخوته (قصة أصحاب الجنة)

﴿إِنَّا بَلَوْنَاكُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَسْتَشِيرُونَ ﴿٢﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٣﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٤﴾ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٥﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٦﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَاثُونَ ﴿٧﴾ أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَّسْكِينٌ ﴿٨﴾ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿١٠﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١١﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٣﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿١٥﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّمَّا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿١٦﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخِرَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾^(١)

وهذه قصة إخوة إعتبروا بإنذارات الله الكونية، وراجعوا أنفسهم بحثا عن الحقيقة لما رأوا جنتهم وقد أصبحت كالصريم، قصة قرآنية لا بد لنا من أن نتأملها فنغير من أنفسنا ليغير الله ما نحن فيه، إذ ما أشبه تلك الجنة وقد طاف عليها طائف من الله بأمتنا اليوم، التي صرمتها عوامل الإنحطاط والتخلف ولو أنهم إستمعوا إلى إنذارات الدعوة والمصلحين لما أبتلوا بتلك النهاية المريعة وهكذا كل أمة لا تفلح إلا إذا عرفت قيمة المنذرين والمصلحين، فإستمعت إلى نصائحهم، وإستجابت لدعائهم وإرشادهم .

ولهذا الدور تصدى أوسط اصحاب الجنة، فعارضهم في البداية وأنذرهم سوء العاقبة حينما أزمعوا وأجمعوا على الخطيئة، وذكرهم لما أصابهم عذاب الله بالحق، وحملهم كامل المسؤولية، وإستفاد من الصدمة التي أصابتهم في إرشادهم إلى العلاج الناجع.

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ من هذا الموقف نُهتدي إلى بصيرة هامة ينبغي لحملة إنذارات الله ودعاته، أن يدركوها ويأخذوا بها في تحركهم إلى ذلك الهدف العظيم، وهي: إن المجتمعات والأمم حينما تضل عن الحق وتتبع النظم البشرية المنحرفة، تصير إلى الحرمان، وتحدث في داخلها هزة عنيفة ذات وجهين:

أحدهما: القناعة بخطأ المسيرة السابقة؛

والآخر: البحث عن المنهج الصالح.

وهذه خير فرصة لهم ليعرضوا فيها بضاعتهم الربانية، ويوجهوا الناس إليها، وينذروهم سوء عاقبة التكذيب والجحود. ^(١)

من هذه الفرصة إستفاد أوسط أصحاب اللجنة، بحيث حذر أخوته من أخطائهم، وعدم اكترائهم بإنذاره لهم، وأرشدهم إلى سبيل الصواب.

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿١١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿١٢﴾.

وهذه الاستجابة والتوبة - وإن جاءت متأخرة- ، بعد أن حل العذاب الدنيوي، فحاق بجنبتهم، وحوها إلى أرض صريم، ولكنها قبلت بإذن الله، لأنها جاءت قبل فوات الأوان، وقبل خروج النفس إلى بارئها، وهذه دعوة قرآنية لكل من ظلم نفسه، وغرق في بحار الشهوات والشهوات ربحاً من الزمن، أن الوقت لم يَأْزَفْ بعد، وطابور التوبة لم يرتحل، مادام في العمر بقية.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، المنعم على عباده بالإنذارات، والصلاة والسلام على المبعوث شاهداً ومبشراً ونذيراً، وعلى آله وصحابه ومن سار على نهجه، نهج الرسالات. وبعد..

فقد جاءت هذه الرسالة في مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

❖ **أما المقدمة:** فقد تناولت أهمية الرسالة وأسباب الكتابة في موضوع الإنذار والأهداف المرجوة منها.

❖ **وأما التمهيد:** فكان بعنوان «وقفات مع الإنذار» تناول الباحث فيها وقفات ثلاث:

الوقفة الأولى: تعريف الإنذار في اللغة والاصطلاح.

الوقفة الثانية: مادة (نذر) وصيغها واشتقاقاتها في السياق القرآني.

الوقفة الثالثة: نظائر الإنذار في القرآن الكريم، بشقيها اللفظي المنطوق، والمعنوي المفهوم.

وكانت أهم نتائج التمهيد مايلي:

١- الإنذار هو صرخة شرعية تحذر الناس من عذاب الله وعقابه إن هم عصوه وخالفوا شرعه.

٢- اختلاف وتنوع النسق القرآني للفظة الإنذار، ومجيئها بأكثر من (٣٢) صيغة واشتقاق يدل على أهمية هذا الموضوع في الطرح القرآني الحكيم.

٣- وردت مادة (نذر) واشتقاقاتها في القرآن الكريم (١٢٠) مرة، وفي (٤٨) سورة، (٤٢) سورة مكية، و(٦) سور مدنية.

٤- كان التركيز على لفظة (الإنذار) في القرآن المكي، ليقرع مسامع الكفار الصماء، ويقطع نياط قلوبهم الغليظة، ويهز مشاعرهم البليدة، عليهم يعودوا إلى صوابهم، ويحكموا عقولهم.

٥- مادة (نذر) واشتقاقاتها وردت في القرآن المدني بالاشتقاق التالفة: (لينذروا)، (منذرين)، (نذيراً)، ونحوها من الاشتقاق التي تركز على لغة الجمع، وصيغ المبني للمجهول، وكان القرآن يشير إلى نضوج الجماعة المؤمنة في المدينة، ويذكرهم بواجبهم وهو إنذار الخلائق أجمعين.

٦- لم يكتف القرآن الكريم بالتصريح المباشر بلفظة (الإنذار) ومشتقاتها، بل لمح إلى سنن الله في إهلاك المكذبين حيناً، والتهكم على المكذبين بتبشيرهم بالعذاب الأليم حيناً آخر.

٧- الذنوب والمعاصي سبب رئيس للمصائب والمهالك، وحلول النكبات، وانهايار الأمم والإمبراطوريات.

✽ وأما الفصل الأول: فقد تحدث عن الإنذار بين الأنبياء والرسل، وبين الباحث فيه أن الرسل جميعهم ابتداءً بآدم عليه السلام، ومروراً بأولي العزم من الرسل، وانتهاءً بخاتمهم محمد ﷺ رموا من قوس واحدة، قوس الإنذار المبين لأقوامهم، وإن اختلفت طبائع الإنذار وطرق الدعوة، باختلاف مشارب القوم، ودرجات كفرهم وعنادهم.

وكانت أهم نتائج هذا الفصل مايلي:

١- الأنبياء والرسل جميعهم أنذروا أقوامهم من أمرين:

أ- اليوم الآخر وما يتضمنه: من حساب عسير، ونار تلظى.

ب- حادث دنيوي مرعب: كالطوفان، أو الصرخة، أو الصاعقة.. الخ.

٢- نوح ﷺ خط برسالته التفاصيل الكاملة لخريطة الإنذار المبين، بتنوع أساليبه في الدعوة والإنذار، وتكامل منهجيته في الترغيب والترهيب، وصبره على أذى الطريق.

٣- اختلفت طبائع الإنذار عند الرسل السابقة، وتنوعت أساليبهم في إنذار أقوامهم وتحذيرهم مما يخافون.

٤- كان التركيز في إنذار الرسل السابقة لأقوامهم، على الأمور الحسية التي تهز المشاعر، وتقطع نياط القلوب، كالصاعقة والصرخة، والبطشة ونحوها، لأن العقل البشري في ذلك الحين لم يصل إلى حالة من النضج تكفيه لفهم الإنذارات المعنوية، وأخذ العبر والعظات ممن سبقوه.

٥- تركزت طبيعة الإنذار عند الرسول محمد ﷺ على القرآن الكريم، فكانت اللغة العربية الراقية، والأساليب البيانية المعجزة، خير إنذار للعرب الأقحاح.

٦- النار الموقدة هي أخطر ما أنذر به المرسلون أقوامهم، وهي خاتمة كل معاند للمنذرين، ومستهزء بنذر رب العالمين.

٧- الإنذار سنة إلهية ثابتة على مدار التاريخ البشري، فلم تخل أمة من نذير: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١).

٨- العذاب الإلهي لا يقع على الأمم إلا بعد الإنذار والتحذير: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾^(٢).

٩- الأنبياء والرسل هم أسباب للهداية، ووسائل للندارة، قد تأخذ بها الأمم فتسير إلى الطريق القويم، وقد تعرض عن ذلك فتتحرف وتسقط.

١- سورة فاطر - الآية ٢٤

٢- سورة الشعراء - الآية ٢٠٨

١٠ - الآيات والنذر للبشرية تختلف من زمن لآخر، ومن عصر لعصر، فما يصلح أن يكون نذراً لقوم معينين، قد لا يحرك ساكناً عند غيرهم.

١١ - البشرية المعاصرة التي حادت عن ربها وطمس على قلوب أصحابها، فهم لا يبصرون ولا يسمعون ولا يعلمون، راحت تنسب الإنذارات الربانية كالزلازل والبراكين، والأعاصير إلى الجمادات التي لا تعقل ولا تعلم شيئاً ولا تعي ولا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرراً، فيقولون: غضب الأرض وتمرد الطبيعة.

١٢ - إن التفكير والاعتبار، والانتفاع بالمواعظ والنذر، وفهم السياق الحكيم الذي جاءت من أجله، من صفات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّحْشَاهَا﴾^(١).

١٣ - إذا وقعت المنكرات، وجهر بها واستمرأت ولم تغير، فسنة الله تعالى تجري على المستهزئين بنذره، والمكذبين برسله، بحلول العقوبات والمصائب عليهم.

١٤ - تدل النصوص الشرعية على أن العقوبة إذا حلت شملت الجميع، الصالح والطالح إلا من رحم الله.

١٥ - إن سبب العقوبات التي تحل بالجميع، والكوارث التي تأكل في طريقها الأخضر واليابس، هو السكوت وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٦ - العقوبات التي تحل بالمكذبين للنذر، والمعاندين للرسول، أنواع عديدة: منها حسي ظاهري كالكوارث الطبيعية، والأمراض والأوبئة،

ومنها عقوبات معنوية كتسلط الأعداء، وتداعي الأمم، وقبض العلم والعلماء.

١٧- الله سبحانه وتعالى يحدث بعض الآيات والعقوبات تخويفاً لعباده إذا غفلوا عنهم يرجعون: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾^(١).

١٨- الدعاء والصلاة، والتوبة والاستغفار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهد في سبيل الله، وصلاح القلب واستقامته، من أهم أسباب النجاة من العقوبات والنكبات.

❁ **وأما الفصل الثاني:** فقد تحدث عن الإنذارات بين القبول والرفض، وبين الباحث فيه أنّ طبائع الناس شتى، وأهوائهم ومشاربهم متباينة، كما أن درجة تقبلهم واستماعهم لكلام الله عز وجل وإنذاراته مختلفة، فمنهم من تكفيه الإشارة، ومختصر العبارة فيسارع بالتصديق، ويستقر الإيمان سريعاً في سويداء قلبه؛

ومنهم من يحتاج لوقت طويل وإنذارات مخيفة، وقوارع تحمل قريباً منه، حتى يرعوي للحق، وينصاع للدين.

ومنهم من لا يتأثر بالنذر بل ويرفضها، ويقف في وجه دعائها ومبلغها، مواقف متشنجة وعنيفة، لأنها تضر بسيادته، أو تمس مصالحه الدنيوية، أو تكبح جماح شهواته الحيوانية.

وكانت أهم نتائج هذا الفصل مايلي:

١- الناس طبائع متباينة تجاه إنذارات رب العالمين، فمنهم من تكفيه الإشارة، ومنهم من لا يفهم إلا بالشرح وتوضيح العبارة، ومنهم من لا ينقاد إلا إذا زجر زجراً، وآخر لا يعتبر إلا إذا رأى قارعة حلت بداره أو نزلت بجاره.

٢- وهناك صنفان من شرار الخلق: أحدهما لا يرعوي إلا حين الغرغرة إذا عاين الموت

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبِّتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ

يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١)؛

والصنف الثاني ﴿أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ

بَعْدِ اللَّهِ﴾^(٢). وهذان الصنفان لا تنفعهم موعظة، ولا تؤثر فيهم نذارة.

٣- لم يحدث في تاريخ المسيرة البشرية، أن آمن كل أفراد القرية المنذرة، إلا ما كان من أمر

قوم يونس عليه السلام.

٤- في الغالب ما تؤمن ثلثة من القوم، وهي دائماً من المستضعفين وفقراء القوم، لأنه لم

تحل بينهم وبين إنذارات الله سدود المال والسلطان، أو بريق الجاه والترف والهيلمان.

٥- هذه الثلثة المؤمنة، الصابرة المجاهدة، لم يتركها قومها على طول المسيرة البشرية بل

جوبهت بالتعذيب والإهانة والاضطهاد.

٦- إن فقه التحقير والانتقاص الذي وضعه الشيطان ورعاه كفار قوم نوح في بداية الطريق.

كان بجميع المقاييس كارثة على المسيرة البشرية فيما بعد لأنه كان عموداً عتيقاً على طريق

الانحراف والصد عن سبيل الله، وأسس لفقه المواجهة لدعاة الحق ونذر رب العالمين،

والمؤمنين المستجيبين لهم.

٧- باستعراض التاريخ البشري نجد أنه لا يمكن أن يعادي الحق الذي يعرضه منهاج الله،

ويعادي حملة هذا الحق ودعاته ومنذريه إلا المجرمون الظالمون المفسدون في الأرض.

١- سورة النساء- الآية ١٨

٢- سورة الجاثية - الآية ٢٣

- ٨- إن هؤلاء المجرمين والمعاندين للنذر الإلهية، وضعوا مصالحهم المادية فوق كل شيء، وقدموا جبلة الطين على الهدايا السماوية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ تَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿١﴾.
- ٩- حب الدنيا وتقديمها على الآخرة، والصد عن سبيل الله، والاستهزاء بالرسول وأتباعهم، وإثارة الشكوك والشبهات، والإيذاء الحسي والتعذيب الجسدي للرسول وأتباعهم، وإخراجهم وطردهم من ديارهم، كلها خيوط بالية في ثوب خلق للكفار المترفين.
- ١٠- منذ اللحظة الأولى لبعثة الرسول محمد ﷺ وبدء دعوته الجهرية جوبه بظلم ذوي القربى، وتكذيبهم (تباً لك ألهذا جمعنا).
- ١١- لم ييأس الرسول ﷺ رغم هذه البداية الظالمة من أهله وأقرب الناس له، وأحراهم بقبول دعوته والاستماع لندارته، فحمل هم الدعوة، معتصراً أمله في قلبه.
- ١٢- بدأ الرسول الكريم ﷺ دعوته بالأقربين، ولكن ليس كل الأقربين وإنما كان يختار اختياراً، وينتقي من يتوسم فيه الخير ورجاحة العقل، وطهارة القلب، وسوية السلوك.
- ١٣- رغم إيمان هذه الثلة الكريمة إلا أن رياح التكذيب والعناد قد عصفت بكل عنف وشدة في وجه دعوة الرسول ﷺ، وندارته.
- ١٤- صدم النبي الكريم ﷺ من قومه بمكة بالتكذيب تارة، والاستهزاء تارة، والعناد تارة، والازدراء والاحتقار تارة، والتعجيز والتبكيك تارة أخرى.

١٥- لم يكن معنى الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة هو التخلص من فتنة الردة عن الدين، والاستهزاء والاضطهاد القرشي فحسب، بل كانت تعاوناً على إقامة نواة لمجتمع إسلامي جديد في بلد آمن.

١٦- وكان الهدف الأساس من ولادة هذا المجتمع المسلم في المدينة، أن يتمكن الرسول ﷺ من إيصال كلمة الحق إلى كل بقاع المعمورة، وقرع أسوار العالم بالإنذار المبين.

١٧- انقسم الناس في المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها إلى ثلاثة أصناف: صنف آمن برسالته، وصدق بإنذاراته وهؤلاء مثلوا السواد الأعظم من سكان المدينة.

١٨- أما الصنف الثاني: فهم المشركون من صميم قبائل المدينة، وهؤلاء لقلة عددهم، ولم يكن لهم سيطرة على المسلمين، فمنهم من توقع على نفسه، ولم يكن له شأن يذكر، ومنهم من لم يطل شكه فسارع للإيمان والتصديق.

١٩- وأما الصنف الثالث: فهو صنف جديد، ظهر لأول مرة في المدينة وهم المنافقون، وزعيمهم عبدالله بن أبي بن سلول، وهؤلاء كان خطرهم أشد فتكاً على الإسلام ودعائه من الكفار أنفسهم.

٢٠- اتبع المنافقون للإضرار بالإسلام وأهله أحط الوسائل وأخسها، كإشعال الفتنة بين المهاجرين والأنصار، والإساءة والتشهير بالنبي وأهل بيته، والغدر وخيانة وتخذيل الجيش الإسلامي، وموالاته أعداء الإسلام من اليهود والكفار، إضافة لبنائهم لمسجد الضرار، ومحاولتهم اغتيال النبي ﷺ، ولكن الله أفسد خططهم ورد كيدهم في نحورهم.

٢١- واجه النبي ﷺ كذلك أهل الكتاب، وخصوصاً اليهود الذين كانت (يُشرب) مسرحاً لإظهار قوتهم الإقتصادية، وبسط نفوذهم الديني على الأوس والخزرج البسطاء، فكان ظهور النبي العربي ﷺ بمثابة صفعه قاسية في وجه تعنتهم وكبرهم، فناصره العداة.

٢٢- الدعوة الإسلامية، بشقيها الترغيبي والترهيبي، هي دعوة للعالم أجمع عربي وعجمه، هذه الدعوة التي حددها الخالق عز وجل في كون محمد ﷺ بعث بشيراً للناس كافة دون استثناء أو تخصيص.

✽ وأما الفصل الثالث: فقد تناول نماذجاً للإنذارات الفردية في القرآن الكريم، وهذا النوع من الإنذار من أعظم وسائل صناعة الداعية الرباني، إذ تدفع بالداعية دفعاً إلى أن يكون قدوة صالحة لمن يدعوه، بحيث يتمثل بكل كلمة يقولها للمدعو، فيسبق فعله قوله، ويترجم حاله مقاله، إذ أنه يعلم أن لسان الحال أبلغ بكثير من لسان المقال، وأن فعل رجل في ألف رجل، أقوى أثراً من قول ألف رجل لرجل، وقد استعرض الباحث في هذا الفصل أربعة نماذج قرآنية للإنذار الفردي :

أولها: إنذار نوح عليه السلام لولده الكافر.

والثاني: إنذار إبراهيم عليه السلام لأبيه الكافر.

والثالث: إنذار الصاحب المؤمن لصاحبه الكافر.

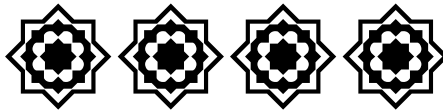
والرابع: إنذار الأخ المؤمن لإخوته أصحاب الجنة.

وكانت أهم نتائج هذا الفصل مايلي :

١- المجتمع الإسلامي في نظر الإسلام وحدة واحدة لا تتجزأ، فالفرد يكمل الجماعة، والجماعة تكمل الأمة.

٢- لا يجوز أن يترك جزء من المجتمع المسلم، أو أن يهمل ليصاب بالعطب أو الفساد.

- ٣- لا بد أن يقوم كل فرد من الأمة بعمله، فيحفظ المصيب والمجتهد ويبشر بالنصر والتمكين، وينذر المسيء والمقصر ويحذر من مغبة التكذيب والعناد.
- ٤- جعل الله الفرد مسئولاً شخصياً عن نفسه، ومسئولاً عن مجتمعه، فينذرهم الأقرب فالأقرب، وعليه تحمل تبعات مهمته هذه والصبر على تبعاتها ومشاقها.
- ٥- الدم ليس هو الصلة الحقيقية بين الناس، فابن النبي هو ابنه في العقيدة، وهو من يتبع النبي ويستمتع لإنذاراته، وقس على الناس العاديين ما يقاس على الأنبياء المكرمين.
- ٦- لا بد أن يتواضع الداعية لمن هم أكبر منه سناً، وأن يتميز أسلوبه بالجاذبية، وخطابه باللين والإقناع.
- ٧- التواضع والقناعة والشكر وابتغاء ما عند الله عناصر أساسية في بناء الشخصية المنذرة المستقيمة، ووقود محرك لقطار الدعوة والتبليغ.
- ٨- الكبر والطمع وكفر النعمة، من أساسيات الشخصية المنحرفة والمعاندة للإنذار، وهي عقبات كثود في وجه تقبل النذر والتصديق بها.
- ٩- ينبغي للداعية المنذر أن يتحين الفرص المناسبة، ليعرض فيها بضاعته الربانية، فيدعو الناس لاتباع شرع الله، وينذرهم سوء عاقبة التكذيب والعناد.



فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
٩٢	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ	١١	البقرة
١٧٢	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	٢١	البقرة
١٦٠	أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ	٧٥	البقرة
١٦٠	وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ	٧٨	البقرة
١٤٩	وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا	٨٩	البقرة
١٠١	وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا	٩٦	البقرة
١٦٠	أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	١٠٠	البقرة
١٥٢	وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ	١٠٩	البقرة
٣٩	إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ	١١٩	البقرة
٤٠	رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ	١٢٩	البقرة
١١٦	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخْخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ	١٦٥	البقرة
١١٦	إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ	١٦٦	البقرة
١١٦	وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ	١٦٧	البقرة
١٧٢	يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا	١٦٨	البقرة
٥٧	وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ	١٧٧	البقرة
٣٨	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ	٢١٣	البقرة
١١٥	وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ	٢١٧	البقرة
٩٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا	٢٧٨	البقرة
٢٧	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقِّ	٢١	آل عمران
١٦٠	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ	٢٣	آل عمران
١٤٤	قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ	٧٥	آل عمران
١٧٣-١٦٠	وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ	٧٥	آل عمران

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
١٦١	وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ	٧٨	آل عمران
١٨٠	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ	٨١	آل عمران
١٧١-١٧٠	وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ	٨٥	آل عمران
١٢٠	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدِّقُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ	٩٩	آل عمران
١٥٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	١٠٠	آل عمران
٩٥	وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	١٠٤	آل عمران
١٦٠	لَيْسُوا سَوَاءً مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَقُلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آتَاءَ اللَّيْلِ	١١٣	آل عمران
١٢٠	وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ	١١٩	آل عمران
١٥٩	وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ	١١٠	آل عمران
٣٢	قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ	١٣٧	آل عمران
٨١	لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ	١٥٦	آل عمران
١٢٩	وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ	١٣٢	آل عمران
٣٠	لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يِحْمَدُوا	١٨٨	آل عمران
١٦٠	لَيْسُوا سَوَاءً مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَقُلُونَ آيَاتِ اللَّهِ	١٩٩	آل عمران
٣٩	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا	٤١	النساء
١٧٣	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا	٥٨	النساء
٥٦	وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا	٨٤	النساء
٢٨	بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا	١٣٨	النساء
١٤٠	إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا	١٤٠	النساء
١٤٠	مُذَبِّبِينَ ذَلِكُمْ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ	١٤٣	النساء
١٤٢	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ	١٤٥	النساء
٥٠	فَلَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ	١٥٣	النساء
٣٨	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ	١٦٥	النساء
٨٨	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرْآنِ	١٩	المائدة
١٥٩	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْتُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ	٥٩	المائدة

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
١٥٩	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وُلِعُوا بِمَا قَالُوا	٦٤	المائدة
١٥٩	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ	٦٥	المائدة
١٥٩	تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا	٨٠	المائدة
٩٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْهَسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ	١٠٥	المائدة
١٢٩	وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ	١٠	الأنعام
٦٦	قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ	١٩	الأنعام
١٧٠-٦٦	وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ	١٩	الأنعام
١٢٩	قَدْ تَعَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ لِسَانَهُ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ	٣٣	الأنعام
١٣٠	وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ	٣٥	الأنعام
٨٣	فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبِاسِ وَالضَّرَّاءِ	٤٢	الأنعام
٩٧-٨٩	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبِاسِ وَالضَّرَّاءِ	٤٢	الأنعام
٩٧-٩٠	فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ	٤٣	الأنعام
٧٣	وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ	٥١	الأنعام
١٠٦	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبِاسِ وَالضَّرَّاءِ	٥٤	الأنعام
٣٤	قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ	٦٥	الأنعام
٦٧	وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ	٩٢	الأنعام
١٣٦	لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ	١٥١	الأنعام
٥٠-٣٠	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ	٣٤	الأعراف
١٢٢	لِنُحَرِّجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لِنَعْمُدَنَّ	٨٨	الأعراف
٩٨	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبِاسِ وَالضَّرَّاءِ	٩٤	الأعراف
١٠٧	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّن	٩٦	الأعراف
١٠١	أَفَامِنَ أَهْلِ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ	٩٩	الأعراف
٣٤	فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا	١٣٦	الأعراف
٥١	وَخَرَّ مُوسَى صَبِقًا	١٤٣	الأعراف
١٧٠	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا	١٥٨	الأعراف

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
١٦٠	وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ	١٥٩	الأعراف
٥٧	عذاب بييس	١٦٥	الأعراف
٩٥	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَبْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ	١٦٥	الأعراف
٣٥	فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ	١٦٦	الأعراف
٣٤	وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِثْلَهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ	١٦٨	الأعراف
١٣٨	وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا	٢	الأنفال
٣٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ	٢٤	الأنفال
٩٦	وَاتَّقُوا هَيْئَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً	٢٥	الأنفال
١٢٤	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ	٣٠	الأنفال
-١٠١ ١٠٢	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ	٣٣	الأنفال
٩٤-٢٨	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ	٥٣	الأنفال
٢٧	وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ	٣	التوبة
٣٠	أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ	٧٠	التوبة
١٢٦	أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ	٢	يونس
٢٩	إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ	٤٤	يونس
٨٦-٢٤	لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ	٤٧	يونس
١٠٥	حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ	٩٠	يونس
١٠٥	الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ	٩٢	يونس
١٠٦	فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا	٩٨	يونس
٤٥	وَمَا تَعْنَىٰ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ	١٠١	يونس
١٢٦	فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ	١٢	هود
٣٢	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ	٢٦	هود
٥٦	فَلَا تَكْفُرْ	٣٦	هود
٣٤	وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّنْ سَجِيلٍ مُّنْضُودٍ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ	٨٢	هود

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
٩٨	وَاسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ	٩٢	هود
٩٤	وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ	١٠١	هود
٩٣	فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ	١١٦	هود
٩٣	وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ	١١٦	هود
١١٢-٩٣	فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ	١١٦	هود
٩٣	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ	١١٧	هود
١٢٧	إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ	٧	الرعد
١٢٧	وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ	٧	الرعد
٤٨	وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ	١٣	الرعد
٨٩	وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً	٣١	الرعد
١١٧	اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	٢	إبراهيم
١١٧	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ	٩	إبراهيم
١٢٠	قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	١٠	إبراهيم
١١٦	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ	١٣	إبراهيم
١٦٩-٧٦	هَذَا بَلَاءٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ	٥٢	إبراهيم
١٩	قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ	٨٩	الحجر
٥٩	أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ	١	النحل
٨٦-٢٥	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ	٣٦	النحل
٩٠	أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسِبَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ	٤٥	النحل
١٣٠	وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ	١٢٧	النحل
٨٧-٢٥	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا	١٥	الإسراء
٢٧	وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ	١٧	الإسراء
٢٠٤-١٠٥	وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيفًا	٥٩	الإسراء
٩٠	أَفَأَمِثُّمْ أَنْ يَحْسِبَ بِكُمْ جَادِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا	٦٨	الإسراء
٣٧	وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا	١٠٥	الإسراء

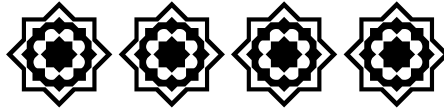
الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
٥٧-٥٥	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا	١	الكهف
٧٤-٥٥	فِيمَا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ	٢	الكهف
٨٠	أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ	٣٨	مريم
٨٠-١٥	أَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ	٣٩	مريم
١٠٤	وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ	١١٣	طه
٨٧	وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا	١٣٤	طه
٦٢	اقترب للناس حسابهم	١	الأنبياء
٣٢	فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ	١٥	الأنبياء
٧٧-٧١	قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمْعُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذِرُونَ	٤٥	الأنبياء
١٦٩	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	١٠٧	الأنبياء
٨٩	وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ	٧٦	المؤمنون
١٦٨	تَبَارَكَ الَّذِي دَرَأَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا	١	الفرقان
١٢٨	مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ	٧	الفرقان
٨٦-٢٤	وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا	٥١	الفرقان
١٠٠	يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١٠٠﴾ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ يَتَّقِ اللَّهَ يَصْلِحْ	٨٩	الشعراء
٣١	أَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ	١١٩	الشعراء
٥٣	وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ	١٣٠	الشعراء
٣١	فَلَخَذْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ	١٥٨	الشعراء
١٢٣-٦٣	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٢٣﴾ وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ	٢١٤-٢١٥	الشعراء
٢٠٢-٨٧	وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ	٢٠٨	الشعراء
٩٧	أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ	١٢	النمل
٩٨	قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ	٤٦	النمل
١٢١	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ	٥٦	النمل
٩٠	قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ	٦٥	النمل
٨٧	لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَبِّحَ آيَاتِكَ	٤٧	القصص

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
٩٦-٢٥	وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا	٥٩	القصص
٣٣	فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ	٨١	القصص
٣٢	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ	١٤	العنكبوت
٣٤	وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاسِكِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ	٣٨	العنكبوت
١٦٠	وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ	٤٧	العنكبوت
٩٧	فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	٦٥	العنكبوت
٨٦-٢٣	فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	٣٠	الروم
٨٩	يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَتَرَوُنَّ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ	٣٠	الروم
٢٧	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ	٤١	الروم
٢٨	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ	٤٢	الروم
٢٦	وَإِذَا تَنَجَّيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا	٧	لقمان
١٨-١٥	لِنُنذِرَ قَوْمًا	٣	السجدة
٣٧-١٦	إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا	٤٥	الأحزاب
١١٥	وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا	٦٧	الأحزاب
١٥٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آدَوَا مُوسَىٰ	٦٩	الأحزاب
١٦٨-٣٧	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا	٢٨	سبأ
١١٥	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ	٣١	سبأ
-١١٥-١١٢ ٨٨-٢٠٦-١١٦	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا	٣٤	سبأ
١٥	إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ	١٨	فاطر
٢٠٢-٨٦-٢٤	إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ	٢٤	فاطر
١٥	وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ	٣٧	فاطر
٣٠	اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ	٤٣	فاطر
١٨	لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ	٦	يس
٨٠	يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ	٣٠	يس
١٦٨	لِنُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ	٧٠	يس

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
١٦٩	إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ	٨٧	ص
٨١-٨٠	يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ	٥٦	الزمر
٥٠-٤٩-١٨	فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَذْنَبْتُمْ صَاعَةً مِثْلَ صَاعَةِ عَادٍ وَتَمُودَ	٦٨	الزمر
١٥	وَأَذْنَبْتُمْ يَوْمَ الْأَزِفَةِ	١٨	غافر
٣٨	حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	١	فصلت
٥٠-٤٩-١٨	أَذْنَبْتُمْ صَاعَةً مِثْلَ صَاعَةِ عَادٍ وَتَمُودَ	١٣	فصلت
٤٦-٣٢	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ	١٦	فصلت
٩٤	وَمَا رُبُّكَ بَظْلَامٌ لِلْعَبِيدِ	٤٦	فصلت
١٨	كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ	٧	الشورى
١١٣	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا	١٣	الشورى
٩٣-٣١-٢٩	وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ	٣٠	الشورى
١١٦	وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ	٢٣	الزخرف
٥٣	يَوْمَ تَبُطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ	١٦	الدخان
٢٦	وَيَلِّ لِكُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٌ ﴿١٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُخْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ	٨ - ٧	الجاثية
٢٠٥-١٠٥	أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ	٢٣	الجاثية
١٢٦-١٨	وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذُنُوا مُعْرِضُونَ	٣	الأحقاف
١٢٦	مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ	٣	الأحقاف
١٨	وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ	٩	الأحقاف
١٨	وَأذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أذْنَرَهُ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ	٢١	الأحقاف
٩٩	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا	٢٤	الأحقاف
١٧٠	وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَهْرًا مِّنَ الْجَنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ	٣٠	الأحقاف
٣٧-١٥	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا	٨	الفتح
١٧٢	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا	١٣	الحجرات
٧٩	هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ	٥٦	النجم
٤٤	اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَاشْتَقَّ الْقَمَرُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا	٢ - ١	القمر

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
١٤	كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ	١٦	القمر
٤٦	كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ	١٨	القمر
٤٧	كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ﴿١٠﴾ قَالُوا أَبَشَرًا مِثَّا وَاحِدًا كَذَّبْتُمُ	٢٤	القمر
٥٣	كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ﴿١١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا	٣٣	القمر
٥٣	وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ	٣٦	القمر
٨٤	بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ	١٤	الحشر
٣٢	فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ	٥	الصف
١٦٨	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ	٦	الصف
١٦٩	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ	٩	الصف
١٣٨	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ	٢	الجمعة
٩٠	أَمْثَلْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَحْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ	١٦	الملك
١٤	فَسَتَلِمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ	١٧	الملك
٣٣	فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ	٥	الحاقة
٣٣	وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ	٦	الحاقة
٨٠	وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ	٥٠	الحاقة
٤٠	إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ	١	نوح
٤٠-١٨	إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ	٢	نوح
٩٩	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا	١٣	نوح
١٧٠	قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَهِي أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَهْرٌ مِّنَ الْجِنِّ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا	٢	الجن
١١٧	إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا	٥	المزمل
٣٠	ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمدودًا	١١	المدثر
٣٢	وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ	٣١	المدثر
٨٣	إِنَّهَا لِلَّذِينَ الْكَبَرِ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ	٣٥	المدثر
٨٣	نَذِيرًا لِلْبَشَرِ	٣٦	المدثر
٥١	يوم ينظر المرء ما قدمت يداه	٤٠	النبأ

الصفحة	نص الآية	رقم الآية	السورة
٢٠٤	إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مِّن يَّحْشَاهَا	٤٥	النازعات
٥٢	كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا	٥٦	النازعات
٩٠	إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ	٣-٢-١	التكوير
٩٠	إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ	٣-٢-١	الانفطار
٥٣	إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ	١٢	البروج
٩٢	سَيِّدًا كَرِيمًا يَّحْشَى	١٠	الأعلى
٩٢	الَّذِينَ طَفَعُوا فِي الْأَبْلَادِ * فَاصْتَكَبُوا فِيهَا الْفَسَادَ	١٢-١١	الفجر
١٨	فَأَنْذَرْتُمْ تَارًا تَلَطَّى	١٤	الليل
٩٠	إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا	٢-١	الزلزلة



فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة	المصدر	الحديث	مسلسل
٦٦	ابن حبان	أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل..	١
٨٥	مسند أبي يعلى	أريت الجنة والنار فلم أرى كالיום في الخير والشر..	٢
١٧٥	صحيح البخاري	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي..	٣
١٧٦	صحيح مسلم	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي..	٤
١٠١	صحيح مسلم	اللهم إني أسألك خيرا وخير ما فيها وخير ما أرسلت به..	٥
١٠٣	صحيح البخاري	المسلم أخو المسلم لا يظلمه..	٦
٢٠-١٩	صحيح البخاري	أنا النذير العريان	٧
١٧٦	سنن ابن ماجه	أنا سيد ولد آدم ولا فخر	٨
١٩	أخبار مكة	أنا مثلي ومثل الناس ، كالنذير العريان أتيتكم بالويل..	٩
٨٦	مسند ابن حنبل	أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار	١٠
١١٩	البخاري	أو مخرجي هم؟!..	١١
١٤٦	البخاري	أي رجل فيكم عبد الله سلام؟..	١٢
٨٣	مسند ابن حنبل	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت..	١٣
١٠٦	البخاري	إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله وإنهما ..	١٤
٩٧	الترمذي	إن الناس إذا عمل فيهم بالمعاصي فلم يغيروا..	١٥
١٧٥	مسند ابن حنبل	بعثت إلى الأسود والأحمر	١٦
٦٧	مصنف عبدالرازق	بلغوا عن الله فمن بلغه آية من كتاب الله..	١٧
١٦٧	تفسير القرطبي	دعه فإن يرد الله به خيرا يهده...	١٨
١٠٠	سنن الترمذي	..رب اغفر لي وتب علي..	١٩
١٠٠	مسلم	سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه	٢٠
١٠٣	معجم الطبراني	صنائع المعروف تقي مصارع السوء..	٢١
١٣٦	سيرة ابن هشام	قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا..	٢٢
١٧	الزيدي	كان إذا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ..	٢٣

الصفحة	المصدر	الحديث	مسلسل
٥٨	شعب الإيمان	كان يكره البؤس والتباؤس والتبؤس	٢٤
٩٩	المستدرك	لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد	٢٥
٨٤	البخاري	لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار..	٢٦
٩٩	المستدرك	لا يرد القدر إلا الدعاء	٢٧
٩٤	سنن ابن ماجه	ليشرين ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها..	٢٨
١٢٥-٦٥	تفسير الألوسي	ما اشتكيتُ شيئاً ، ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين	٢٩
١٦٥	البخاري	مالك يا ثمام؟..	٣٠
٩٧	سنن أبي داود	مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرن..	٣١
٦٦	سنن الدارقطني	مرحبا بكم! حياكم الله! آواكم الله! نصركم الله!..	٣٢
٦٠	البخاري	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	٣٣
١٣٣	تفسير الألوسي	من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي..	٣٤
٩٩	المستدرك	من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد..	٣٥
١٠٣	سنن أبي داود	من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله..	٣٦
٩٩	المستدرك	والدعاء ينفع مما قد نزل ومما لم ينزل..	٣٧
٩٧	سنن الترمذي	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ..	٣٨
١٧٥	مجمع الزوائد	والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله..	٣٩
١٢٣	سنن الترمذي	والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله..	٤٠
٩٩	المستدرك	يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا..	٤١

فَهْرَسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- ١- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ٢- الإتيقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م.
- ٣- إتمام المنة بشرح اعتقاد أهل السنة ، لإبراهيم بن محمد البريكان ، دار السنة.
- ٤- أحكام أهل الذمة ، حقه وعلق حواشيه صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م.
- ٥- إحياء علوم الدين ، لأبي حامد محمد الغزالي ، مع شرحه إتحاف السادة المتقين ، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار الفكر.
- ٦- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرق ، تحقيق رشدي الصالح ، مطابع دار الثقافة مكة المكرمة ، الطبعة الرابعة.
- ٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للعلامة أبي السعود (محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ.
- ٨- أساس البلاغة ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.
- ٩- أسباب نزول القرآن ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق السيد أحمد

صقر، دار القبلة للثقافة، جدة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٠- الأساس فى التفسير، للشيخ سعيد حوى، دار السلام، بيروت، الطبعة

الأولى، ١٤٠٥هـ.

١١- الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، فيصل مولوي، دار الرشاد

الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م

١٢- الإسلاميون وأزمة الانتماء، أحمد محمد الدغشي، ورقة عمل مقدمة لندوة

الأصوليات الدينية وحوار الحضارات المنعقدة في صنعاء في الفترة من ١٢-١٦ حزيران /

يونيو ٢٠٠٢م، مجلة الموقف، العدد (٢٨)، صنعاء، المركز العام للدراسات والبحوث

الإصدار

١٣- الأشباه والنظائر، لأبي عبد الله صدر الدين محمد بن عمر ابن الوكيل، تحقيق أحمد

بن محمد العنقري، الناشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٤- الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عادل أحمد عبد

الموجود و علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،

١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٥- الأشباه والنظائر، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء الكتب

العربية.

١٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني

الشنقيطي، مطبعة المدني، طبع على نفقة محمد عوض بن لادن، الطبعة

الأولى ١٣٨٦هـ.

١٧- أعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر

المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة

الثانية، ١٣٩٧هـ.

١٨- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.

١٩- أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام، لمحمد العروسي

عبدالقادر، دار المجتمع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٠- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم

دمشق.

٢١- الأمثال في القرآن الكريم، لمحمد جابر الفياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

٢٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبدالله الشيرازي البيضاوي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

٢٣- الإسلام والآخر: من يعترف بمن، ومن ينكر من؟، محمد عمارة، مكتبة الشروق

الدولية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

٢٤- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي أبي عبد الله محمد بن عمر بن

الحسين، مراجعة علي سامي النشار، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٢هـ،

١٩٨٢م.

٢٥- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار المنار للطباعة والنشر،

بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٦- البداية والنهاية، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير ، الناشر مكتبة

المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م،

٢٧- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، لأبي الفضل عباس بن منصور التريني

السكسكي الحنبلي، تحقيق بسام علي سلامة العموش، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء،

الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٢٨- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب

الفيروز آبادي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٢٩- بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، لعفت الشرقاوي، دار النهضة

العربية، بيروت، ١٩٨١هـ.

٣٠- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحبّ الدين أبو الفيض محمد بن محمد مرتضي

الزبيدي الحسيني الواسطي الحنفي، طبعة دار الفكر، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٣١- تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، المترجم محمود فهمي حجازي، الهيئة

المصرية العامة للكتاب.

٣٢- تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر العربي، بيروت.

٣٣- تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)، لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري،

تحقيق فهميم محمد شلتوت، دار التراث والدار الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ،

١٩٩٠م.

٣٤- التبيان في تفسير القرآن، لمحمد بن الحسن الطوسي، تصحيح أحمد شوقي، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٦٧هـ.

٣٥- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م

٣٦- تفسير العياشي، لمحمد بن مسعود العياشي، تحقيق غلام رضا البروجردي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣٧- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م

٣٨- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣٩- تفسير القرآن العظيم، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق عبد العزيز غيم ومحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، كتاب الشعب، القاهرة، مصر.

٤٠- التفسير الكبير، للفخر الرازي أبي عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٤١- تفسير المراغي، للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة،

- ٤٢- التفسير المنير، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٤٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية بالرياض.
- ٤٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤ م.
- ٤٦- الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث الأزهر، القاهرة.
- ٤٧- الجامع الصحيح، للإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مع شرحه فتح الباري، المطبعة السلفية.
- ٤٩- الجامع الصحيح، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م.
- ٥٠- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد الأنصاري القرطبي، تصحيح أحمد عبدالعليم البردوني، وزملائه، الطبعة الثانية، ١٣٧٢ هـ.
- ٥١- الجامع لشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبدالعلي حامد، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ٥٢- الجمع بين الصحيحين مع حذف السند والمكرر من البين، للعلامة أبي حفص عمر بن بدر الموصلي، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي.

٥٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم
ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق علي بن حسن الناصر، وعبدالعزیز إبراهيم العسكر،
وحمداً بن محمد الحمداً، دار العاصمة للنشر.

٥٤- الحقيقة الشرعية في تفسير ألفاظ القرآن العظيم والسنة النبوية، لمحمد بن عمر بزمول،
دار الهجرة، الظهران، الثقبه، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٥- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد بن عبدخالق عظمة، دار الحديث، القاهرة.

٥٦- الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة، لمحمد تقي الدين الهلالي، دار الطباعة الحديثة، الدار
البيضاء، المغرب.

٥٧- دلائل النبوة، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعه
جي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٨- الدلالات السياسية والأيدولوجية للولاء والبراء في القرآن الكريم، عبدالرحمن
حللي، صحيفة المستقلة، العدد (١٤٦)، دار المستقلة للنشر، لندن، ٧ شوال، ١٤١٧هـ.

١٩٩٧/٢/٢٤م

٥٩- ديوان البحري، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، طبعة دار المعارف بالقاهرة،
الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م.

٦٠- ديوان المتنبي مع شرحه، لعبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت،
لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

- ٦١- الرد على النصارى، لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفرى، تحقيق محمد محمد حسانين، مكتبة المدارس، الدوحة، قطر.
- ٦٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٦٣- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام، لأبي عبد الرحمن السهيلي، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٠هـ.
- ٦٤- رياض الصالحين، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- ٦٥- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامى، بيروت ودمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- ٦٦- زاد المعاد في هدى خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقى، تحقق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- ٦٧- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية.
- ٦٨- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقى، وفي ذيله «الجوهر النقى» لابن التركمانى، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٦٩- السنن الكبرى، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخرساني، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٠- السنن، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاکر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبدالباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة (٤، ٥)، وفي آخره العلل الصغير، للترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧١- السنن، لعلي بن عمر الدارقطني، وبذيله التعليق المغني على سنن الدارقطني، لشمس الحق العظيم آبادي، عني بتصحيحه وتنسيقه وترقيمه وتحقيقه عبدالله بن هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة، القاهرة..

٧٢- السنن، للإمام محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ.

٧٣- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقاء وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة البابي الحلبي، بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م..

٧٤- شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق خليل الميس، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى.

٧٥- شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، تحقيق أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٦- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ،

- ٧٧- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٤م.
- ٧٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٧٩- صحيح ابن خزيمة، للإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه وقدم له محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ٨٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- ٨١- صحيح سنن أبي داود باختصار السند، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- ٨٢- صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى.
- ٨٣- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٨٤- صحيح سنن النسائي باختصار السند، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٨٥- طبقات المفسرين، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٨٦- عمدة القارى شرح البخاري، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

٨٨- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأحمد عبدالرحمن البنا، مع مختصر شرحه "بلوغ الأماني"، نشر دار الحديث، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

٨٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٩٠- فقه السيرة، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد الغزالي (٤٥٠، ٥٠٥)، خرّج أحاديث الكتاب محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة، السابعة ١٩٧٦م.

٩١- فقه السيرة، لمحمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة السابعة.

٩٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق القاهرة وبيروت، الطبعة الشرعية السادسة عشرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

- ٩٣- في رحاب أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة.
- ٩٤- القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط، للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- ٩٥- الكامل في التاريخ، لابن الأثير (علي بن أبي الكرم)، دار صادر، بيروت ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- ٩٦- الكتاب المقدس عند النصارى، (كتب العهد القديم والعهد الجديد)، الناشر جمعية الكتاب المقدس، لبنان، الإصدار الرابع، ١٩٩٣م، الطبعة الثالثة، والإصدار الثاني، ١٩٩٥م، الطبعة الرابعة.
- ٩٧- كشف اصطلاحات الفنون، للعلامة محمد علي بن علي بن محمد التهانوي، مع حاشية أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٩٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
- ٩٩- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثم المصري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ١٠٠- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، وابنه محمد، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.

١٠١- محاسن التأويل، للإمام جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، بدون

تاريخ

١٠٢- المحيط في اللغة، لكافي الكفاة الصاحب إسماعيل بن عباد، تحقيق محمد حسن آل

ياسين، عالم الكتب، بيروت.

١٠٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين أبي عبد

الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد المعتصم بالله

البغدادي، توزيع دار النفائس، الرياض، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة

الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٠٤- مذكرة (آداب البحث والمناظرة) لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي،

مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم، بجدة.

١٠٥- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، بذيله

«التلخيص» للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، دار الكتاب

العربي، بيروت، لبنان.

١٠٦- المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مع فهرس الألباني،

المكتب الإسلامي.

١٠٧- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق النمر وضميرية

والحرش، دار طيبة، ١٤١١هـ.

- ١٠٨- معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، مطبوعات معهد البحوث العلمية ومركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ١٠٩- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- ١١٠- المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ١١١- معجم البيان في تفسير القرآن، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٤٠٣هـ، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٣٣٣هـ.
- ١١٢- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي.
- ١١٣- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بمصر، بإشراف عبد السلام هارون، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١١٤- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.

- ١١٥- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني، تحقيق عبد الأمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م، ١٤١٤هـ.
- ١١٦- موسوعة أهل السنة، لعبد الرحمن الدمشقية، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.
- ١١٧- الموسوعة العربية الميسرة، لجماعة من الأساتذة، بإشراف محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دار الشعب، القاهرة، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- ١١٨- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ١١٩- النظائر، لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ١٢٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبدالرزاق غالب المهدي، توزيع دار الباز، مكة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ١٢١- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، لمحمد رجب البيومي، طبعة دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٢٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق وتعليق أحمد حجازي سقا، المكتبة القيمة للطباعة.

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع
٢	الإهداء
٣	شكر و عرفان.....
٥	المقدمة.....
٦	أهمية الموضوع وبواعث اختياره.....
٧	أهداف البحث.....
٨	الجهود السابقة.....
٩	منهج البحث وطبيعة عمل الباحث.....
١١	خطة البحث.....
١٦	التمهيد: وقفات مع الإنذار.....
١٦	الوقفة الأولى: معنى الإنذار لغة وشرعاً.....
٢١	الوقفة الثانية: لفظة الإنذار في السياق القرآني.....
٢٦	الوقفة الثالثة: نظائر الإنذار في القرآن الكريم.....
٣٧	الفصل الأول: الإنذار بين الأنبياء والرسل.....
٣٨	المبحث الأول: إنذار الرسل السابقين.....
٣٩	بين يدي المبحث.....
٤١	المطلب الأول: نماذج قرآنية على إنذار الرسل السابقين.....
٤١	النموذج الأول: سورة نوح عليه السلام.....
٤٥	النموذج الثاني: سورة القمر... نذر متتابعة.....
٥١	المطلب الثاني: طبيعة الإنذارات في ضوء القرآن الكريم.....
٥١	الإنذار بالصاعقة.....
٤٤	الإنذار بالعذاب القريب.....

الصفحة	الموضوع
٤٦	الإنذار بالبطشة.....
٥٠	الإنذار بالبأس الشديد.....
٥٢	الإنذار بلقاء يوم القيامة.....
٥٣	الإنذار بيوم الحسرة.....
٦١	الإنذار بكلمة التوحيد.....
٦٤	المبحث الثاني : إنذار الرسول ﷺ للناس.....
٦٥	بين يدي المبحث.....
٦٧	المطلب الأول : الإنذار بالقرآن الكريم.....
٨٠	المطلب الثاني : الإنذار بالرسالة.....
٨١	المطلب الثالث : الإنذار بيوم القيامة.....
٨٤	المطلب الرابع : الإنذار بالنار.....
٨٦	المبحث الثالث : الإنذار سنة إلهية ثابتة.....
٨٧	المطلب الأول : سنة الإنذار ثم الإهلاك.....
٩٠	المطلب الثاني : سبل النجاة من الإنذارات الربانية.....
٩٣	الابتعاد عن الذنوب والمعاصي.....
٩١	العقوبة الإلهية تشمل الجميع.....
٩٤	الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
٩٧	الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.....
٩٩	التوبة النصوح والاستغفار.....
١٠٠	الخوف من نقمة الله وعقوبته.....
١٠١	صلاح القلب واستقامته.....
١٠١	الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال.....
١٠٣	الفصل الثاني : الإنذارات بين القبول والرفض.....

الصفحة	الموضوع
١٠٤	المبحث الأول: أقوام الأنبياء السابقين.....
١٠٧	المطلب الأول: الأقوام التي استجابت للنذر.....
١١٣	المطلب الثاني: الأقوام التي أعرضت عن النذر.....
١٢٣	المبحث الثاني: موقف المنذرين في عهد الرسول ﷺ.....
١٢٤	المطلب الأول: أهل مكة (بين المستجيب والمنكر).....
١٣٣	المطلب الثاني: أهل المدينة (بين المؤمن والمنافق).....
١٤٢	المطلب الثالث: أهل الكتاب.....
١٦٤	المطلب الرابع: كفار العرب.....
١٦٨	المبحث الثالث: عالمية الإنذار والدعوة.....
١٦٩	المطلب الأول: أدلة عالمية الإنذار من القرآن الكريم.....
١٧٤	المطلب الثاني: أدلة عالمية الإنذار من السنة النبوية.....
١٧٦	المطلب الثالث: الأدلة على عالمية الرسالة من كتب أهل الكتاب.....
١٨١	الفصل الثالث: نماذج للإنذارات الفردية في القرآن الكريم.....
١٨٤	النموذج الأول: إنذار الأب لابنه (نوح عليه السلام وابنه الكافر).....
١٨٧	النموذج الثاني: إنذار الابن لأبيه (إبراهيم عليه السلام وأبيه الكافر).....
١٩٢	النموذج الثالث: إنذار الصاحب لصاحبه (قصة صاحب الجنتين).....
١٦٨	النموذج الرابع: إنذار الأخ لإخوته (قصة أصحاب الجنة).....
٢٠١	الخاتمة.....
٢١١	فهرس الآيات القرآنية.....
٢٢١	فهرس الأحاديث الشريفة.....
٢٢٣	فهرس المصادر والمراجع.....
٢٣٨	فهرس الموضوعات.....
٢٤١	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.....

The conclusion

In the name of God, Most Gracious Most Merciful

Praise be to God – by whom good deeds occurred. The grantor of warnings on his mankind and God's blessing and peace be upon his emissary as witness, bearer of glad tidings and a Warner and upon his family and companions and – upon those who follow his method, the method of missions.

The following thesis comes in preface and three chapters as it follows:

- The preface comes under the title:

"Dedications with warning"

The most important of its results were as it follows:

- ❖ The word "warning" in classic Arabic focused on Three meanings:
 - a. Knowledge and proclamation.
 - b. Intimidation from the unknown.
 - c. Precaution from scaring evil.

I derived, depending on the lingual meaning, the Idiomatic meaning which is "Knowledge and proclamation" that scare mankind and warn them from God's punishment and torment once they disobey and oppose his Shania.

- ❖ The Glorious Koran considers the warning and Its clear and marked words with its different analogous being mentioned in all its Sure – Is the only guide to show mankind the straight way, walk them out from darkness of unfaith and a theism and illumination of faith and monotheism.

- The first chapter took the title

"Warning the prophets and Apostles"

The most important of its results were:

- ❖ All prophets, starting from Adam. Peace upon him going through to heralds of firm will. All of them used one bow, the bow of plain warning, for their Kens whatever the natures of warning, missionary methods were in contrast with kin's inclination, the degree of their stubbornness and unfaith.

- ❖ The honorable prophet Mohamed peace be upon him, had left either no instrument of warnings or abandon any of Its methods to follow whether by revelation, by alarming from worldly God's torment and from his strong punishment on the day of Resurrection. Therefore, his mission was truly the final of missions, his warning was a conclusion of his precedent apostles and, his mission was a first fruit of all missions
- ❖ The warning is a steady and established God's Sunni all through history's decades. So, only those – who believe in the God, the great and Almighty and obey his messengers, calls and warnings – deserve the mercy and blessing in present life and in the afterworld. On the other hand, who declined, lied, obstinate, become an atheist and prefer his personal interests and pica desires on God's verses and apostles' warnings deserve eternal torment and destruction in present life prior to Revelation such Sunni is applicable also on our contemporary reality.

We are part of mankind creation, so what happened to them will absolutely be applicable to us. An example for that is clear is the destructive earthquakes, the sweeping floods and the frightening hurricanes.

The ٧th chapter took the title,

"The warning of prophets and Apostles"

Its most important results were as it follows:

- ❖ The inborn – characters of mankind are various, their caprices and inclinations are different besides, their hearing and reception to God's the great and almighty – verses and his warnings are varied. Yet, there are those who are satisfied with an advice and briefed phrase so they run to believe and faith firmly established at his heart. However, there are those who need long time and horrible warnings and calamities befall close to them in order to adhere to divine right and submit to religion. More over, there are those who are not affected by warnings and even refuse them, meanwhile they take convulsive and violent positions against its heralds and bearers because it hurts his command or it affects his worldly interests and controls his bestial caprices desires.
- ❖ We hear in the ampleness of the holy KUR'AN its universal call whatever longtime epoch detached us from it. We understand its Frankness and declarations. Islam is a creed that is not specifically marked by a people or a society. It does not pertain to specific country or a region The Islam is a religion that its laws prevail on individuals whatever their races, homelands and

languages are and there should not be a barrier to its influence among mankind For Islam it is universal in place and time

The ٣rd chapter comes under the title:

"The warnings ' educative and psychological consequences on man kind status".

Here in below, the most important result of chapter three:

- ❖ The psychology of a believer whose heart illuminated with certainty and satisfied with verses of God – sustainer of the world is making him divine creature who hears calls of revelation and the warnings of his messengers, then he starts to call others to follow the mission that settled in his heart so that he let others realize the overflowing happiness that he feels and to rescue them from talons of atheism, unfaith and wrongdoing. Thus, only him – the divine creature – knows how far the end of unbelievers and misdeed of liars
- ❖ The psychology of an unbeliever is some time mixed up between the doubt and disavowal of warnings besides being surprised and mocked of it and from its followers and bearers, or to deny, neglect and forget it
- ❖ For the hypocrite, he has distorted psychology because it resembles unbeliever's one and exceeds it with misguidance and deception. The unbeliever has clear adversity to stand against a Moslem, but the hypocrite conceals unfaith and hostility. He considers his allegedly Islam as protective "shield". Islam rules applicable on prima facie acts because, only God knows of inner thoughts.

It is worth to mention that the Moslem nation will not be stricken by, in the past, at present and in future, of more dangerous than hypocrisy and hypocrites. The Hypocrites are more harmful and dangerous on Islam and Moslem than unbelievers because they are our fellow tribesmen. They speak our language, rise up our slogans, pretend of our Islam and belong to our groups and communities; nevertheless they don't despair or hide their scheming against us. Mean while, they cooperate with our enemies and support them more then backing up the Moslems. Therefore, the God, his prophet and believers warned of their danger and pointed out to their harms and gave instructions for safety measures.